التوضيح والتبيين في شرح

أصل السنة واعتقاد الدين

المسمى

الحلل الإبريزية على العقيدة الرازية

تأليف الفقير إلى ربه
سعد بن شايم الحضيري العنزي

مدار الوطن للنشر

التوضيح والتبيين

في شرح

أصول السنة واعتقاد الدين

المسمى

الحلل الإبريزية على العقيدة الرازية

ح مدار الوطن للنشر ، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهـد الوطنية أثناء النشر
العنزي ، سعد شايم الحضيري
الحلل الإبريزية على العقيدة الرازية شرح على كتاب أصل السنة واعتقاد الدين./ سعد شايم الحضيري العنزي – الرياض، ١٤٤١هـ
٤٢٨ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ٥ - ٤٤ - ٨٢٤٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨
١. التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية أ. العنوان
ديوي ٢٤٠ ١٤٤١/٦٠٩٧

رقم الإيداع: ١٤٤١/٦٠٩٧
ردمك: ٥-٤٤-٨٢٤٢-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبعَةُ الأولى
(١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
(ولا يجوز نسخ أو إستعمال أي جزء من الكتاب
دون إذن خطي من المؤلف)

مدار الوطن للنشر
المملكة العربية السعودية - الرياض المقر الرئيسي
مخرج ١٥ مقابل جامع الراجحي ت : ٠١١٤٧٩٢٠٤٢
جوال : ٠٥٠٣٢٨٢٣١٨ ف : ٠١١٤٤٥٤١٢٤
مندوبي التوزيع
الرياض : ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦ الغربية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
الشرقية والشمالية والمدينة المنورة : ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
الجنوبية : ٠٥٠٤١٤٣١٩٨ مسؤول الجهات الحكومية :
٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧
الموقع الإلكتروني www.madaralwatan.com.sa
البريد الإلكتروني pop@madaralwatan.com.sa
madaralwatan@hotmail.com
madaralwatan2020@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد؛ فهذا شرح على كتاب **(أصل السنة واعتقاد الدين)** المروي عن أئمة السنة الرازِيينَ المعروف باعتقاد أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم القرشي الرازي وأبي حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي برواية الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي عنهما رضي الله عنهم جميعًا فيما رووه عن علماء أهل السنة والجماعة، وما أجمعوا عليه من الاعتقاد السلفي، وهذا الاعتقاد تلقاه العلماء بالقبول والرواية والاعتناء، ومما يمتاز فيه هذا الاعتقاد أنه حكاية لما أجمع عليه علماء السلف الصالح من الاعتقاد الصحيح، المنقول بالثبت عن النبي ﷺ وأصحابه الكرام وأهل بيته، وجماعة المسلمين، وأئمتهم في الفقه والحديث والقرآن وجميع العلوم، إذ لم يجعل الله الإمامة فيها إلا لأهل السنة، المتمسكين بما كان عليه السلف الصالح وما حكي عليه إجماعهم في هذا الاعتقاد الذي بين أيدينا ولله الحمد والمنة.

تمهيد

لابد قبل الشروع في الشرح من التمهيد بأمور مهمة:

الأول: في تعريف العقيدة:

أصل لفظ العقيدة، أو الاعتقاد، مأخوذ في اللغة من العقد، وهو الربط والحزم والشد والتوثيق. وأهل العلم من السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ أطلقوا هذا الوصف على أصول الإيمان لأنه مطلوب من المسلم أن يعقد عليها قلبه، ويوثق عليها جنانه، وأن يكون إيمانه بها إيمانًا جازمًا لا شك فيه ولا ريب ولا تردد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥] أي أيقنوا ولم يشكوا.

وعقيدة أهل السنة والجماعة، مبنية -ولله الحمد- على كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيه ﷺ وإجماع السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، ويكفي المسلم أن يتمسك بها إذا علم أنها ثابتة عنهم في الكتب الموثوقة.

وعلم العقيدة له إطلاقات عدة، فيسمى: بالسنة، وأصول السنة، والعقيدة، أو الاعتقاد، والتوحيد، وأصول الدين، ويسميه المتكلمون بعلم الكلام! وهو غلط فاحش، سببه أن هؤلاء المتكلمة بنوا اعتقادهم على علم الكلام المحرّم الباطل، الذي أجمع السلف على ذمه وذم متعاطيه، كما سيأتي عند قول المصنف: (**وينهيان عن مجالسة أهل الكلام، والنظر في كتب المتكلمين ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدًا**). اهـ[1]،

---

(١) انظر (ص:٤٠٨).

ويأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

واعلم أن كثيرًا من مؤلفات السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ موصوفة ومسماة بحسب مضمونها كأصول السنة للإمام أحمد أو أصل السنة وأصول الدين للرازيين، أو بتسمية مؤلفها لها كعقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، ولمعة الاعتقاد، لابن قدامة، أو بالإضافة إلى مؤلفيها، كعقيدة الرازيين، أو لبعض البلدان التي بعثت إليها: كالواسطية نسبة على بلدة واسط لأن سبب تأليفها أن أحد قضاة واسط طلب تأليفها من شيخ إسلام ابن تيمية فكتبها له، أو التدمرية بطلب من أهل تدمر، أو الحموية لأهل حماة أو الصفدية لأهل صفد، وهكذا.

الثاني: في أهمية علم العقيدة والتوحيد:

العقيدة هي أصل الدين، فهي للعلوم والأعمال كلها، بمثابة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار! فكما أن البناء لا يقوم إلا على أساسه، والشجر لا يقوم إلا على أصوله، فإن أعمال المرء وعلومه لا تنفع إلا إذا قامت على اعتقاد صحيح، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤]. وهي أول ما يسأل عنه العبد في قبره ففي حديث القبر عن البراء بن عازب، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةِ رجُلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبرِ ولَمّا يُلحَدْ، فجلسَ رسولُ الله ﷺ وجلسْنا حَولَه، كأنما على رؤوسنا الطَّير، وفي يَده عُودٌ يَنْكُتُ به في الأرض، فرفعَ رأسَه، فقال: «استعيذُوا بالله من عذابِ القبر» مرَّتين أو ثلاثًا، إلى أن قال: «**وإنّه لَيسمَعُ خَفْقَ نِعالِهم إذا وَلَّوا مُدبرينَ، حينَ يقالُ له: يا هذا، مَن ربك وما دينُك ومَنْ نبيُّك؟ ويأتيه ملكانِ فيُجلسانه فيقولان له: مَن ربك؟ فيقول: ربِّيَ الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلامُ، فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسولُ الله ﷺ،**

فيقولان: وما يُدريكَ؟ فيقول: قرأتُ كتابَ الله، فآمنتُ به، وصدقتُ فذلك قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [إبراهيم:٢٧] الآية، فينادي منادٍ من السماء: أنْ قد صَدَقَ عبدي، فأفرشُوه من الجنة، وافتحُوا له بابًا إلى الجنّة، وألبسُوه من الجنة» الحديثَ[١]، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَمَّا المُؤْمِنُ، فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ لَهُ: انظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ الله بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»[٢].

فالعناية بالعقيدة مقدمة على العناية بسائر الأمور من طعام وشراب ولباس؛ لأن العقيدة هي التي يحيا بها المؤمن الحياة الحقيقية، وتزكو بها نفسه، وتستقيم بها أعماله، وتُتَقبَّل بها طاعاته، وترتفع بها درجاته عند الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧]، وإذا اختلت العقيدة، أو فسدت، أو ذهبت، انعكس ذلك على شؤونه كلها، وأعماله جميعها، ولهذا فإن للعقيدة الفاسدة شؤمًا على صاحبها في أعماله وأخلاقه، وهي مردية ومهلكة له، بينما إذا صلحت العقيدة واستقام أمرها، وبنيت على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ. فإنَّ الإنسان يصلح؛ لأنَّ أساس الصلاح والاستقامة موجود فيه وهو صلاح الاعتقاد، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣) بسند صحيح، وأصله في مسلم مختصرًا (٢٨٧١).

(٢) رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم:٢٤]، فجعل سبحانه أصول الإيمان وأسسه -التي هي الاعتقاد- بمثابة الأصل الذي تقوم عليه الشجرة، وإذا كان الأصل راسخًا ثابتًا كان ذلك أكمل في الشجرة: في نمائها، وزكائها، وطيب ثمرها، بحسب صلاح هذا الأصل. قال شيخ الإسلام: ومن المعلوم أن العلم أصل العمل، وصحة الأصول توجب صحة الفروع. اهـ

ولهذا لزم أن تكون العناية بالعقيدة مقدمة على العناية بكل أمر، لاسيما والفساد في الاعتقاد قد كثر في الناس، وتعددت الانحرافات فيه في جوانب مختلفة، قال النبي ﷺ: «**إنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا**»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة**»[2]، وهذا الافتراق والانقسام هو بسبب الأهواء الباطلة المحدَثة التي تجر الناس إلى اعتقادات منحرفة، وأعمال باطلة ليست من دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فيتعين على المسلم أن يقف على المعتقد الحق الصحيح، الذي أُخِذ من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ، وبلَّغوه للتابعين، وبلَّغه التابعون لمن بعدهم، ولا يزال محفوظًا بحفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، له أنصاره وأعوانه ومؤيدوه، إلى أن يرث الله عَزَّ وَجَلَّ الأرض ومن عليها، كما قال النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[3].

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، بسند صحيح من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٨٣٩٦)، وأبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٠)، وابن ماجه (٣٩٩١)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسند صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (٤٩٣٢).

الثالث: في حفظ العقيدة السلفية والتأليف فيها:

والعقيدة السلفية باقية محفوظة بحفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقد أجمع السلف عليها، ونقلوها لنا عن النبي ﷺ محررةً موثّقةً بالنقل الصحيح، كمثل هذا الاعتقاد الذي بين أيدينا جمعه مؤلفوه مما أجمع عليه علماء أهل السنة والجماعة وتلقاه عنهم حفاظ الأمة وعلماؤها بالقبول.

وهذا من نعمة الله على عبادة وحفظه لدينه فإن من الوسائل -التي هيأها الله عَزَّوَجَلَّ لعباده لحفظ هذا المعتقد السلفي- هذه الكتب التي كتبها أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في بيان العقيدة، والدفاع عنها، والرد على أهل الباطل فيها، فلهم مؤلفات كثيرة في الاعتقاد تقريرًا وتأصيلًا، وردًّا على الباطل وإزهاقًا للشبهات التي يثيرها أهل الباطل، ولكثير منهم متون مختصرة، وكتابات مطولة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة. وهي جهود متضافرة، وأعمال مباركة، ومساعٍ مشكورة قام بها هؤلاء العلماء، وكان هذا من الأسباب التي قيَّضها الله عَزَّوَجَلَّ لعباده لحفظ هذه العقيدة الإسلامية والملة الحنيفية.

وعندما يؤلف الواحد منهم مختصرًا في الاعتقاد أعني -من كان على سَنن أهل السنة وطريقتهم- يؤلفه مبنيًا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ؛ لأن أمر العقيدة عند السلف ليس للناس، وإنما هو لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ولم يكن لأحد من أهل السنة والجماعة أن ينشئ للناس اعتقادًا من قِبَل نفسه، بل هم يتبعون ولا يبتدعون؛ يتبعون ما جاء عن رسول الله ﷺ ولا يبتدعون، ويقتدون ولا يبتدئون، كما وصفهم بذلك عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال: إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر[1].

---

(١) رواه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٠٦)

ولهذا درج كثير من السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ منهم من كان متقدمًا في القرون الثلاثة المفضلة - على تسمية أصول الإيمان بالعقيدة أو الاعتقاد. وإذا شئت مثالًا على ذلك فانظر مقدمة اللالكائي لكتابه شرح الاعتقاد، فقد ذكر رسائل مختصرة عديدة للسلف في الاعتقاد، كثير منها بهذا الاسم، وبعضهم في القرون الثلاثة المفضلة.

وعندما تضاف العقيدة إلى إمام من أئمة السلف، كأن يقال مثلًا: عقيدة أحمد بن حنبل، أو عقيدة ابن تيمية، أو عقيدة الرازيِين أو العقيدة الطحاوية أو الواسطية، وهكذا، فهذه الإضافة أيضًا صحيحة؛ لأنها إضافة نسبية، حيث أضيفت إليه إما باعتبار جمعه لها، وجمع أدلتها، وعنايته بترتيبها وتبويبها وتصنيفها. أو باعتبار أنه مؤمن بها، ويَدين الله عَزَّوَجَلَّ بمدلولها ومضمونها، فهي عقيدته التي يدين الله بها.

ومن هنا نعلم أنه لا وجه لمنع مثل هذا الإطلاق بحجة أنها عقيدة المسلمين أو عقيدة الإسلام، وليست خاصة بأحد! فنقول: نعم هي عقيدة الإسلام، لكن الإضافة هنا إضافة نسبية بالاعتبارين المذكورين، ودور الحفاظ الرازيين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ في هذه العقيدة إنما هو في جمعها، وترتيبها، وتنظيمها، وليس لهم فيها شيء أنشؤوه من قبل أنفسهم، بل حكوا فيها إجماع السلف ومن لقوه من أئمة الإسلام، وشاهد هذا أنك لا تجد فيها شيئًا إلا وهو مستند إلى دليل من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، كما سيأتي في الشرح إن شاء الله، فإن العقيدة الصحيحة إنما تبنى ويقام أمرها على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإن لم تكن كذلك أخذت بصاحبها إلى سبيل الردى والهلاك، نعوذ بالله تعالى.

وهذا بخلاف قول صاحب الهوى من المتكلمة وغيرهم من أهل البدع: هذه عقيدتي! فإن صاحب الهوى إذا أطلق هذه المقالة فمقصوده: أنَّ هذا هو التصور الذي عنده، وخلص إليه بعقله، ووصل إليه بفكره وما اعتمده من علم الكلام أو الفلسفة، فيقال: عقيدة فلان؛ لأن عقائدهم خلاصات للآراء والتجارب والتصورات، كالعقيدة

النظامية التي صنفها الجويني لنظام الملك فنسبت إليه، أو العقيدة الإصبهانية التي كتبها شمس الدين محمود الإصبهاني، على طريقة المتكلمين، وشرحها شيخ الإسلام ابن تيمية ونقض انحرافاتها بكتاب (شرح العقيدة الإصبهانية).

وأما عقيدة أهل السنة فمأخوذة من الكتاب والسنة وإجماع السلف، ودور مؤلفيها فيها هو الجمع والترتيب.

ولهذا ذكروا لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرةً المعتقد، فقال: أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة، مثل صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمة. اهـ[(١)]

ولَمّا ألحّ عليه بعضهم ألَّف كتابه العقيدة الواسطية، ولم يذكر فيها شيئًا إلا وعليه دليل من الكتاب والسنة والإجماع.

فهذا سَنن أهل السنة، ليس فيهم من ينشئ معتقدًا من قبل نفسه، وإنما معتقدهم هو الإيمان بما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأجمع عليه السلف.

وهذا التأصيل المبارك الذي نشأ عليه هؤلاء الكرام، ترتب عليه ثبات هذه العقيدة على مر الأيام، فلو نظرت في كتب أهل السنة في العقيدة، قديمها وحديثها، على اختلاف بلدانهم، وتباين ألسنتهم، وتباعد أزمانهم، تجدها عقيدة واحدة، وذلك لاتحاد وصفاء المنبع وسلامة المصدر الذي أخذت منه. فالعقيدة التي دعا إليها النبي ﷺ أصحابه وآمنوا بها، هي العقيدة التي يعتقدها أهل السنة في هذا الزمان، الذين يأخذون عقيدتهم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لأنها مأخوذة من منبع واحد.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٠٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٦١) والعقود الدرية (ص:٢٢٣).

قال الحافظ أبو المظفر السمعاني: ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق: أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة، أولها وآخرها، قديمها وحديثها، وجدتها مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها ولا يميلون عنها، قلوبهم في ذلك على قلب واحد، ونقلهم لا ترى فيه اختلافًا ولا تفرقًا في شيءٍ مّا وإن قل، بل لو جمعت ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه عن قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا. اهـ(١)

ولا يُعلَم أحدٌ منهم تنقَّل من دين إلى دين، أو من معتقد إلى آخر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما أهل السنة والحديث فما يعلم أحد من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن. اهـ(٢)

بينما أهل الأهواء، الذين جعلوا المنبع: الهوى، أو الرأي، أو الوجد، أو الذوق، أو العقل، أو المنطق، أو الفلسفة، أو غير ذلك، فتجد عقيدة التلميذ مخالفة لعقيدة الشيخ؛ لأن الكل عنده تصورات وقناعات، بل تجد الشيخ نفسه له عقيدة، وبعدها بأيام تتغير إلى عقيدة أخرى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أهل الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر. وهذا دليل عدم اليقين. اهـ(٣)

---

(١) انظر: مختصر الصواعق، لابن القيّم (٢/ ٤٢٥).

(٢) نقض المنطق (ص:٤٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٠).

ولهذا قال السلف في التحذير من أهل الأهواء: إياكم والتلون في دين الله، فإن دين الله واحد[1]؛ لأن التقلب صفة لأهل الأهواء، يتقلبون من معتقد إلى آخر.

قال معن بن عيسى: انصرف مالك بن أنس يومًا من المسجد وهو متكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الجويرية -كان يتهم بالإرجاء- فقال: يا أبا عبد الله اسمع مني شيئًا أكلمك به وأحاجك وأخبرك برأيي. قال: فإن غلبتني؟ قال: فإن غلبتك اتبعتني. قال: فإن جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا؟ قال نتبعه. قال مالك: يا عبد الله، بعث الله محمدًا ﷺ بدين واحد، وأراك تتنقل من دين إلى دين[2].

الرابع: في التعريف بالمؤلفين لهذا المتن الذي نحن بصدد شرحه:

هذا الكتاب اجتمع على تأليفه وتنقيحه وروايته ثلاثة من أئمة وحفاظ أهل الإسلام، ينبغي ذكر شيء من سيرهم بما يعطي من لا يعرفهم شيئًا من ذلك، وإلا فهم أعلام مشاهير.

١- الحافظ أبو زرعة الرازي[3]:

هو الإمام حافظ العصر أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ القرشي مولاهم الرازي، سمع كبار حفاظ الإسلام، منهم أبو نعيم الفضل بن دكين، وقبيصة، وخلاد بن يحيى، ومسلم بن إبراهيم، والقعنبي، ومحمد بن سابق، وطبقتهم، وأحمد بن حنبل، وطبقته من كبار الناس، بالحرمين والعراق والشام والجزيرة وخراسان ومصر، قال

---

(١) انظر: الإبانة، لابن بطة (٢/ ٥٠٥).

(٢) الإبانة، لابن بطة (٢/ ٥٠٨).

(٣) انظر: ترجمته مبسوطة في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: (١/ ٣٢٨-٣٤٩)، و(٥/ ٣٢٤-٣٢٦)، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٢٦-٣٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٦) وطبقات الحفاظ (٢٤٩-٢٥٠)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٥٧-٥٥٩)، والعبر (٢/ ٢٨-٢٩) للذهبي، والبداية والنهاية (١١/ ٣٧)، وتهذيب التهذيب (٧/ ٣٠-٣٤)، وشذرات الذهب (٢/ ١٤٨-١٤٩).

الذهبي في (التذكرة): وكان من أفراد الدهر حفظًا وذكاء ودينًا وإخلاصًا وعلمًا وعملًا. اهـ حدّث عنه من شيوخه حرملة، وأبو حفص الفلاس، وجماعة، ومسلم، وابن خالته الحافظ أبو حاتم الرازي، وابن أخته ابن أبي حاتم، والترمذي، وابن ماجه، والنسائي، وابن أبي داود، وأبو عوانة، وسعيد بن عمرو البرذعي، ومحمد بن الحسين القطان، وآخرون. قال البخاري سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل قال نزل أبو زرعة عندنا، فقال لي أبي: يا بني قد اعتضدت عن نوافلي بمذاكرة هذا الشيخ، قال صالح بن محمد: سمعت أبا زرعة يقول: كتبت عن ابن أبي شيبة مائة ألف حديث، وعن إبراهيم بن موسى الرازي مائة ألف، قلت: تقدر أن تملي علي ألف حديث من حفظك؟ قال لا، ولكني إذا ألقي علي عرفت. وعن أبي زرعة أن رجلًا استفتاه أنه حلف بالطلاق، أنك تحفظ مائة ألف حديث، فقال: تمسك بامرأتك! قال ابن عقدة عن مطين عن أبي بكر بن أبي شيبة، قال: ما رأيت أحفظ من أبي زرعة. وعن الصغاني قال: أبو زرعة عندنا يشبّه بأحمد بن حنبل. وقال علي بن الجنيد: ما رأيت أعلم من أبي زرعة. وقال أبو يعلى الموصلي كان أبو زرعة مشاهدته أكبر من اسمه، يحفظ الأبواب والشيوخ والتفسير. وقال صالح جزرة: سمعت أبا زرعة يقول: أحفظ في القراءات عشرة آلاف حديث. وقال يونس بن عبد الأعلى: ما رأيت أكثر تواضعًا من أبي زرعة. وقال عبد الواحد بن غياث: ما رأى أبو زرعة مثل نفسه، وقال أبو حاتم: ما خلّف أبو زرعة بعده مثله، ولا أعلم من كان يفهم هذا الشأن مثله، وقلّ من رأيت في زهده.

مات أبو زرعة في آخر يوم من سنة أربع وستين ومائتين وقد شاخ، رحمة الله عليه.

قال الذهبي في (السير): قال أبو العباس السراج: حدثنا محمد بن مسلم بن وارة، قال: رأيت أبا زرعة في المنام، فقلت له: ما حالك؟ قال: أحمد الله على الأحوال كلها، إني حضرت، فوقفت بين يدي الله تعالى، فقال لي: يا عبيد الله! لم تذرعت في القول في عبادي؟ قلت: يا رب! إنهم حاولوا دينك. فقال: صدقت. ثم أتي بطاهر الخلقاني،

فاستعديت عليه إلى ربي، فضرب الحد مائة، ثم أمر به إلى الحبس، ثم قال: ألحقوا عبيد الله بأصحابه، وبأبي عبد الله، وأبي عبد الله، وأبي عبد الله: سفيان، ومالك، وأحمد بن حنبل. رواها عن ابن وارة أيضًا ابن أبي حاتم، وأبو القاسم ابن أخي أبي زرعة. اهـ قلت: والله هذا إسناد صحيح.

قال الذهبي أيضًا: قال أبو جعفر محمد بن علي، ورَّاق أبي زرعة: حضرنا أبا زرعة بماشهران، وهو في السَّوق، وعنده أبو حاتم، وابن وارة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم، فذكروا حديث التلقين: «**لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله**»، واستحيوا من أبي زرعة أن يلقنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث. فقال ابن وارة: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، وجعل يقول: ابن أبي، ولم يجاوزه. وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السَّوق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد، عن صالح ابن أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة**»، وتوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢- أبو حاتم الرازي(١):

هو الإمام الحافظ الكبير محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أحد الأعلام، ولد سنة خمس وتسعين ومائة، ورحل وهو شاب أمرد فسمع عبيد الله بن موسى ومحمد بن عبد الله الأنصاري والأصمعي وأبا نعيم وهوذة بن خليفة وعفان وأبا مسهر وأمما سواهم. قال: كتبت الحديث سنة تسع ومائتين، وبقي في الرحلة زمانًا وقال: أول ما

(١) انظر: ترجمته في الجرح والتعديل (٧/ ١١٣٣)، وتهذيب الكمال (٣/ ١١٦٤)، وتهذيب التهذيب (٩/ ٣١)، والثقات (٩/ ١٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧)، وتذكرة الحفاظ للذهبي (٢/ ١١٢) ت: زكريا عميرات.

رحلت أقمت سبع سنين ومشيت على قدمي زيادة على ألف فرسخ، ثم تركت العدد، وخرجت من البحرين (يعني منطقة الأحساء وما والاها) إلى مصر ماشيًا، ثم إلى الرملة ماشيًا، ثم إلى طرسوس، ولي عشرون سنة. قال: وكتبت عن النفيلي نحو أربعة عشر ألفًا، وسمع مني محمد بن مصفى أحاديث. وحدَّث عنه: يونس بن عبد الأعلى، ومحمد بن عوف الطائي، وأبو داود، والنسائي، وأبو عوانة الإسفراييني، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان، وابنه أبو محمد عبد الرحمن، وخلق كثير.

قال موسى بن إسحاق الأنصاري القاضي: ما رأيت أحفظ من أبي حاتم. وقال أحمد بن سلمة الحافظ: ما رأيت بعد محمد بن يحيى أحفظ للحديث ولا أعلم بمعانيه من أبي حاتم، وقال النسائي: ثقة، وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: قلت على باب أبي الوليد الطيالسي: من أغرب عليَّ حديثًا صحيحًا فله درهم. وكان ثَمَّ خلق، أبو زرعة فمن دونه، وإنما كان مرادي أن يُلقى علي ما لم أسمع به، لأذهب إلى راويه فأسمعه، فلم يتهيأ لأحد أن يغرب عليَّ، وسمعت أبي يقول: قدم محمد بن يحيى الريَّ فألقيت عليه ثلاثة عشر حديثًا من حديث الزهري، فلم يعرف منها إلا ثلاثة أحاديث! وقال: بقيت بالبصرة سنة أربع عشرة فبعت ثيابي حتى نفِدت، وجعتُ يومين فأعلمت رفيقي، فقال: معي دينار، فأعطاني نصفه، وطلعنا مرة من البحر وقد فرغ زادنا فمشينا ثلاثة أيام لا نأكل شيئًا فألفينا بأنفسنا، وفينا شيخ فسقط مغشيًّا عليه، فجئنا نحرّكه وهو لا يعقل فتركناه، ومشينا فرسخًا فسقطتُ مغشيًّا عليّ، ومضى صاحبي فرأى على بُعدٍ سفينةً فنزلوا الساحل فلوَّح بثوبه فجاءوه فسقوه، فقال: أدركوا رفيقين لي، فما شعرت إلا برجل يرش على وجهي، ثم سقاني ثم أتوا بالشيخ فبقينا أيامًا حتى رجعت إلينا أنفسنا.

توفي أبو حاتم في شعبان، سنة سبع وسبعين ومائتين، وله اثنتان وثمانون سنة.

٣- ابن أبي حاتم[١]:

هو الإمام الحافظ الناقد شيخ الإسلام أبو محمد عبد الرحمن ابن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي:

ولد سنة أربعين ومائتين، وارتحل به أبوه، فأدرك الأسانيد العالية، سمع أبا سعيد الأشج، والحسن بن عرفة، وأحمد بن سنان القطان، ويونس بن عبد الأعلى، وحجاج بن الشاعر، ومحمد بن عبد الملك بن زنجويه، وابن وارة، وأبا زرعة، وخلائق بالأقاليم، روى عنه: حسينك التميمي، ويوسف الميانجي، وأبو الشيخ بن حيان، وأبو أحمد الحاكم، وإبراهيم وأحمد ابنا محمد بن يزداذ، وإبراهيم بن محمد النصراباذي، وعلي بن محمد القصار، وآخرون.

قال أبو يعلى الخليلي: أخذ علم أبيه وأبي زرعة، وكان بحرًا في العلوم ومعرفة الرجال، صنف في الفقه واختلاف الصحابة والتابعين، وكان زاهدًا يعد من الأبدال. وكتابه في (الجرح والتعديل) يقضي له بالرتبة المنيفة في الحفظ، وكتابه في (التفسير) من أعظم الكتب السلفية، وله مصنف كبير في (الرد على الجهمية) يدل على إمامته. قال علي بن أحمد الفرضي: ما رأيت أحدًا ممن عرف عبد الرحمن ذكر عنه جهالة قط، ويروى أن أباه كان يتعجب من تعبد عبد الرحمن، ويقول: من يقوى على عبادة عبد الرحمن؟ لا أعرف له ذنبًا، قال ابن أبي حاتم: لم يدعني أبي أطلب الحديث حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان، قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الرازي الخطيب في ترجمة عملها لعبد الرحمن: كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قد كساه الله بهاء ونورًا يسر به من نظر إليه، سمعته يقول: رحل بي أبي سنة خمس وخمسين وما احتلمت بعد، فلما بلغنا ذا الحليفة احتلمت فسر أبي حيث أدركت حجة الإسلام.

---

(١) انظر ترجمته في تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ٣٤) ط. عبيدات، وطبقات الحفاظ (٣٤٥، ٣٤٦)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٨، ٣٠٩). والطبقات للسبكي (٣/ ٣٢٤-٣٢٨) والبداية والنهاية (١١/ ١٩١).

قال أبو الحسن: وسمعت علي بن أحمد الخوارزمي يحكي عن ابن أبي حاتم قال: كنا بمصر سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، نهارنا ندور على الشيوخ، وبالليل ننسخ ونقابل، فأتينا يومًا أنا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو عليل؛ فرأيت سمكًا أعجبنا فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس بعض الشيوخ، فمضينا فلم يزل السمك ثلاثة أيام وكاد أن ينضى، فأكلناه نيًّا لم نتفرغ نشويه؛ ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد.

ثم قال أبو الحسن: رحل مع أبيه، وحج مع محمد بن حماد الطهراني سنة ستين ومائتين، ثم رحل بنفسه إلى الشام ومصر سنة اثنتين وستين، ثم رحل إلى أصبهان سنة أربع وستين، قال لي أبو عبد الله القزويني: إذا صليت مع ابن حاتم فسلم نفسك إليه يعمل بها ما شاء. قال أبو الوليد الباجي: ابن أبي حاتم ثقة حافظ.

قال عمر بن إبراهيم الهروي الزاهد: نا الحسين بن أحمد الصفار: سمعت ابن أبي حاتم يقول: وقع عندنا الغلاء، فأنفذ بعض أصدقائي حبوبًا من أصبهان فبعته بعشرين ألف، أو قال: اشتر لي بها دارًا؛ فأنفقتها على الفقراء، وكتبت إليه: اشتريت لك بها قصرًا في الجنة؛ فقال: رضيت إن ضمنت؛ فكتبت على نفسي صكًّا بالضمان، فأُريت في المنام: قد قبلنا ضمانك ولا تعد لمثل هذا.

مات في المحرم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

رواية اعتقاد الرازيين:

روى هذا الاعتقاد جماعة من العلماء منهم الحافظ أبو الحسن علي بن عبد العزيز ابن مردك بن أحمد البرذعي[1] عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، وقد وصلت إلينا

(١) هو الشيخ الحافظ علي بن عبد العزيز بن مردك بن أحمد بن سندويه بن مهران بن أحمد أبو الحسن البرذعي، البزاز، سكن بغداد، وحدث بها عن عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، وآخرين ترجمه الخطيب البغدادي

صورة منها، وقد رواها عنه جماعاتٌ:

منها: رواية الشيخ الجليل الزاهد الثقة، أبي الحسين، المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم، قال: أخبرنا الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكي، وأبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشران، قالا: حدثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن مردك بن أحمد البرذعي أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم فذكره.

ومنها: رواية الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ عن ابن أبي حاتم، رواها الحافظ أبو القاسم اللالكائي في (أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) (١/ ١٩٧-٢٠١)، قال أخبرنا محمد بن المظفر المقرئ قال حدثنا الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم فذكره.

وهي التي اعتمدناها في هذا الجزء بمقابلة نسختين منها مع مقابلتها برواية البرذعي.

وقد رمزت للأولى من نسختي اللالكائي بالرمز (أ)، وللثانية (ب)، ولرواية البرذعي (ج).

= في تاريخ بغداد (٦/ ٣٠) وقال: كان ثقة، سمعت القاضي أبا عبد الله الصيمري يقول: كان علي بن عبد العزيز بن مردك أحد الصالحين ترك الدنيا عن مقدرة واشتغل بالعبادة، قال: وكان أحد الباعة الكبار ببغداد، فاعتزل الناس، ولزم المسجد، وأُريد على الشهادة فامتنع من ذلك. اهـ

المتن

قال الحافظ أبو القاسم اللالكائي: اعتقادُ أبي زرعة، عبيد الله بن عبدالكريم، وأبي حاتم، محمد بن إدريس بن المنذر الرازيين.

أخبرنا محمد بن المظفر المقرئ، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ، حدثنا: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك فقالا:

أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازًا وعراقًا[1] وشامًا ويمنًا- فكان من مذهبهم:

١- الإيمان قول وعمل.

٢- يزيد وينقص.

٣- والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته.

٤- والقدر خيره وشره من الله عَزَّوَجَلَّ.

٥- وخير هذه الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

٦- وهم الخلفاء الراشدون المهديون.

---

(١) زاد في (ج): «ومصرًا».

٧- وأن العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ، وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله ﷺ، وقوله الحق.

٨- والترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ.

٩- والكف عما شجر بينهم.

١٠- وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه، بائنٌ من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، بلا كيف، ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

١١- وأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرى في الآخرة، ويراه أهل الجنة بأبصارهم.

١٢- ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء.

١٣- والجنة حق.

١٤- والنار حق.

١٥- وهما مخلوقتان.

١٦- لا يفنيان أبدًا[1].

١٧- والجنة ثواب لأوليائه.

١٨- والنار عقاب لأهل معصيته، إلا من رحم عَزَّوَجَلَّ.

١٩- والصراط حق.

٢٠- والميزان حقٌّ.

---

(١) وفي رواية البرذعي: «ونعيم الجنة لا يفنى أبدًا».

٢١- له كفتان.

٢٢- يوزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها[١].

٢٣- والحوض المكْرَم به نبينا ﷺ حق.

٢٤- والشفاعة حق.

٢٥- والبعث من بعد الموت حق.

٢٦- [وعذاب القبر حقٌّ.

٢٧- ومنكر ونكير والملائكة الكاتبون حق][٢].

٢٨- وأهل الكبائر في مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ.

٢٩- لا يُكَفَّر أهل القبلة بذنوبهم.

٣٠- ونكل سرائرهم[٣] إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

٣١- ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان.

٣٢- ولا نرى الخروج على الأئمة.

٣٣- ولا القتال في الفتنة.

٣٤- ونسمع ونطيع لمن ولاه [الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا][٤].

---

(١) زاد هنا في رواية اللالكائي (حق) وحذفها أولى، كما في نسخة (ج).

(٢) ما بين المعكوفين من (ج).

(٣) في (أ) (أسرارهم) والمثبت من (ب) و(ج).

(٤) ما بين المعكوفين سقط من (ج).

٣٥- ولا ننزع يدًا من طاعة.

٣٦- ونتبع السنة والجماعة.

٣٧- ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

٣٨- وأن[1] الجهاد ماضٍ مذ بعث الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين، لا يبطله شيء.

٣٩- والحج كذلك.

٤٠- ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

٤١- والناس مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم، ولا ندري ما هم عند الله عَزَّوَجَلَّ.

٤٢- فمن قال: إنه مؤمن حقًا فهو مبتدع.

٤٣- ومن قال: هو مؤمن عند الله فهو من الكاذبين.

٤٤- ومن قال: هو مؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ حقًا فهو مصيب.

٤٥- والمرجئة المبتدعة ضُلال.

٤٦- والقدرية المبتدعة ضلال[2].

٤٧- فمن أنكر منهم أن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما يكون قبل أن يكون[3] فهو كافر.

٤٨- وأن الجهمية كفار.

---

(١) في (أ): (فإن).

(٢) في (ج): «والمرجئة مبتدعة ضُلال، والقدرية مبتدعة ضلال».

(٣) في (أ، ب): «لا يعلم ما لم يكن قبل أن يكون» والمثبت من (ج) وهو أصح.

٤٩- وأن الرافضة رفضوا الإسلام.

٥٠- والخوارج مُرّاق.

٥١- ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر (بالله العظيم)[١] كفرًا ينقل من الملة.

٥٢- ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر.

٥٣- ومن شك في كلام الله فوقف شاكًا فيه! يقول: لا أدري مخلوق أم غير مخلوق فهو جهمي.

٥٤- ومن وقف في القرآن جاهلًا عُلِّمَ وبُدِّع [ولم][٢] يُكفَّر.

٥٥- ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي.

٥٦- أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي.

٥٧- قال أبو محمد: وسمعت أبيْ يقول: وعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر.

٥٨- وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حشْوية، يريدون إبطال الآثار.

٥٩- وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبِّهة.

٦٠- وعلامة القدرية: تسميتهم أهل السنة مجبرة.

٦١- وعلامة المرجئة: تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية.

٦٢- وعلامة الرافضة: تسمية أهل السنة نابتة.

٦٣- ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد.

---

(١) ليست في (ج).

(٢) سقطت من (ج)

٦٤- ويستحيل أن يجمعهم هذه الأسماء.

٦٥- قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع.

٦٦- ويغلظان في ذلك أشد التغليظ.

٦٧- وينكران وضع الكتب برأي بغير آثار.

٦٨- وينهيان عن مجالسة أهل الكلام.

٦٩- والنظر في كتب المتكلمين.

٧٠- ويقولان: لا يُفلح صاحب كلام أبدًا.

قال أبو محمد: وبه أقول أنا، وقال أبو علي بن حبيش المقرئ: وبه أقول، قال شيخنا ابن المظفر: وبه أقول، وقال اللالكائي: وبه أقول، وقال الطريثيثي: وبه أقول، وقال السلفي: وبه نقول.

ابتداء الشرح

اعتقاد أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم وأبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازيين:

أخبرنا محمد بن المظفر المقرئ، قال: حدثنا الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ، حدثنا: أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك فقالا:

أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازًا وعراقًا[1] وشامًا ويمنًا-............

قال الحافظ هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري أبو القاسم اللالكائي (ت:٤١٨) رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أخبرنا محمد بن المظفر المقرئ قال حدثنا الحسين بن محمد بن حبيش المقرئ: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم) قال: **(سألت أبي)** وهو الحافظ محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي **(وأبا زرعة)** وهو الحافظ عبيد الله بن عبد الكريم القرشي الرازي «رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا» آمين **(عن مذاهب)** أي اعتقاداتِ **(أهلِ السنةِ)** والجماعةِ، **(في)** مسائلِ **(أصولِ الدينِ)** أي العقيدة، وإنما جمع المذاهب باعتبار أصحابها، أو باعتبار أفراد المسائل، وإلا فهو معتقد واحد اتفقوا عليه، **(وما أدركا عليه العلماءَ)** من أهلِ السنة والجماعة في الاعتقاد،

---

(١) زاد في (ج): «ومصرًا».

(في جميع الأمصار)، أي البلدان التي طوّفوها، (و) عن (ما يعتقدانـ)ـهِ هما (مِن ذلكَ) أي: الاعتقاد؟ (فقالا) رحمهما الله:

(أدركنا العلماء) أي من أهل السنة والجماعة وأهلِ الحديثِ (في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا)، أي مذهب جميع علماء الأمصار من أهل السنة والحديث، وفي هذا حكاية إجماع علماء السنة والحديث على مضمون هذه العقيدة، فتمسكْ بهذا الإجماع، ومثله الإجماع الذي حكاه حرب الكرماني في (كتاب السنة)، حيث حكى إجماع من لقيه من علماء الأمصار منهم شيوخه الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم، وكذلك العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية فإنه حكى فيها عقيدة أهل السنة التي أجمعوا عليها.

(١)

الإيمـــان

فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص.

(فكانَ مِن مذهبِهم) أي علماء أهل السنة في الأصول التي أجمعوا عليها: (الإيمانُ قولٌ وعملٌ)، أي قول القلب وهو التصديق، وقول اللسان وهو النطق، وعمل القلب، وهو ما فيه من الحركة بالحب والرضاء والإخلاص، ونحو ذلك، وعمل الجوارح، أي بالطاعات.

وأن الإيمان (يزيد) بالطاعة، (وينقص) بالمعصية، وهذا نص صريح في ما كان السلف عليه مجمعين، من أن الأعمال الصالحة من الإيمان، وأنه يزيد وينقص، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]. وسمى الله تعالى الصلاة إيمانًا بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣]، وسبب نزولها في سؤال الصحابة عن إخوانهم الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس، فبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الله لن يضيع إيمانهم يعني صلاتهم، وفي الصحيحين عن البراء، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها، صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد

بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجالًا قتلوا لم ندرِ ما نقول فيهم، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٤٣](١). قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ اتفق العلماء على أنها نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، كما ثبت في البخاري من حديث البراء بن عازب، على ما تقدم، وخرج الترمذي عن ابن عباس قال: لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله، كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ الآية، قال: هذا حديث حسن صحيح. فسمى الصلاة إيمانا لاشتمالها على نية وقول وعمل. وقال مالك: إني لأذكر بهذه الآية قول المرجئة: إن الصلاة ليست من الإيمان. وقال محمد بن إسحاق: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ أي بالتوجه إلى القبلة وتصديقكم لنبيكم، وعلى هذا معظم المسلمين والأصوليين. وروى ابن وهب وابن القاسم وابن عبد الحكم وأشهب عن مالك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ قال: صلاتكم. اهـ(٢) وقال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامَۢا﴾ [الفرقان:٧٧]، فسمى الإيمان بجزء منه، وهو الدعاء والعبادة، كما سمى الصلاة بجزء منها بقوله ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ﴾ [طه:١٣٠] الآية، وقوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨] أي صلاة الفجر، قال ابن كثير: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧] أي: لا يبالي ولا يكترث بكم إذا لم تعبدوه؛ فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلًا، وقال مجاهد، وعمرو بن شعيب: ﴿مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي﴾

---

(١) رواه البخاري (٤٤٨٦)، ومسلم (٥٢٥).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٥٧).

يقول: ما يفعل بكم ربي، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾، يقول: لولا إيمانكم. اهـ(١)

وقال البغوي: ﴿لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡ﴾ إياه، وقيل: لولا إيمانكم، وقيل: لولا عبادتكم، وقيل: لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام، فإذا آمنتم ظهر لكم قَدْرٌ. وقال قوم: معناها: قل ما يعبأ بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم إياه يعني إنه خلقكم لعبادته، كما قال: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وهذا قول ابن عباس ومجاهد. وقال قوم: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ﴾ ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة، أو ما يفعل بعذابكم لولا شرككم، كما قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡ﴾ [النساء:١٤٧]. وقيل: ما يعبأ بعذابكم لولا دعاؤكم إياه في الشدائد، كما قال: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وقال: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام:٤٢]. وقيل: قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم، يقول: ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فأعطيكم وتستغفروني فأغفر لكم. اهـ(٢)

وكون الأعمال من الإيمان وأنه يزيد وينقص معلوم من النصوص بالضرورة، ولقد سماه النبي ﷺ شعبًا وفسرها فيما صح عنه في الصحيحين مرفوعًا: «**الإيمان بضع وسبعون -أو ستون- شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»(٣)، قال شيخ الإسلام في (الواسطية): ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب، واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. اهـ، وقال الحافظ اللالكائي في (اعتقاد أهل

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٣٤) ت. سلامة.

(٢) تفسير البغوي (٦/ ١٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واللفظ لمسلم.

السنة): وجدت في بعض كتب أبي حاتم: واختيارنا أن الإيمان قول وعمل، إقرار باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالأركان، مثل الصلاة والزكاة لمن كان له مال، والحج لمن استطاع إليه سبيلًا، وصوم شهر رمضان، وجميع فرائض الله التي فرض على عباده، العمل به من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص. اهـ

وروى اللالكائي[1] عن شعيب بن حرب، قال: قلت لأبي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري: حدثني بحديث من السنة[2] ينفعني الله عَزَّوَجَلَّ به، فإذا وقفت بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وسألني عنه، فقال لي: من أين أخذت هذا؟ قلت: يا رب حدثني بهذا الحديث سفيان الثوري، وأخذته عنه، فأنجو أنا وتؤاخذ أنت! فقال: يا شعيب! هذا توكيد وأيُّ توكيد! اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، من قال غير هذا فهو كفر، والإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ولا يجوز القول إلا بالعمل، ولا يجوز القول والعمل إلا بالنية، ولا يجوز القول والعمل والنية إلا بموافقة السنة. اهـ

وروى عبد الله بن أحمد في (السنة) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: **الإيمان يزداد وينقص**. وله: عن أبي الدرداء أنه كان يقول: **الإيمان يزداد وينقص**. وله: عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمير بن حبيب بن خماشة أنه قال: **الإيمان يزيد وينقص، فقيل له: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عَزَّوَجَلَّ وخشيناه، فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه**. وله: عن إبراهيم بن شماس، قال: **سئل فضيل بن عياض - وأنا أسمع عن الإيمان؟- فقال: الإيمان عندنا داخله وخارجه: الإقرار باللسان، والقبول بالقلب، والعمل به**. قال: وسمعت يحيى بن سليم يقول: **الإيمان قول وعمل**. وروى أن

(١) اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥١).

(٢) يعني: العقيدة.

ابن جريج قال: الإيمان قول وعمل. قال: وسألت أبا إسحاق الفزاري عن الإيمان، فقلت: الإيمان قول وعمل، قال: نعم. قال: وسمعت ابن المبارك يقول: الإيمان قول وعمل والإيمان يتفاضل. قال: وسمعت النضر بن شميل يقول: الإيمان قول وعمل والإيمان يتفاضل. وسألت بقية وابن عياش -يعني إسماعيل- فقالا: الإيمان قول وعمل.

وله: عن عبد الله بن نافع قال: كان مالك يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وله عن الحسن قال: الإيمان قول وعمل.

وله: عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة السبائي عن عبيد بن عمير الليثي أنه قال: ليس الإيمان بالتمني ولكن الإيمان قول يعقل وعمل يعمل[1].

فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، وأن هذه الثلاثة داخلة في مسمى الإيمان المطلق التام.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئًا، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٢-٤].

ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمان قابلًا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم، قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

---

(١) السنة، لعبد الله بن أحمد (١/ ٣١٤، وما بعدها).

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم:٧٦] وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء، فقال: **«يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار»** فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: **«تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»**، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: **«أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل»** قلن: بلى، قال: **«فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم»** قلن: بلى، قال: **«فذلك من نقصان دينها»**[1].

ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصه أن الله قسم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر:٣٢-٣٣]، فالسابقون بالخيرات هم الذين أدوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقربون. والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات. والظالمون لأنفسهم هم الذين اجترؤوا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم.

ومن وجوه زيادته ونقصه كذلك: أن المؤمنين متفاوتون في علوم الإيمان، فمنهم من وصل إليه من تفاصيله وعقائده خير كثير، فازداد به إيمانه، وتم يقينه، ومنهم من

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٧٩، ٨٠).

هو دون ذلك، حتى يبلغ الحال ببعضهم أن لا يكون معه إلا إيمان إجمالي لم يتيسر له من التفاصيل شيء، وهو مع ذلك مؤمن.

وكذلك هم متفاوتون في كثير من أعمال القلوب والجوارح، وكثرة الطاعات وقلتها.

وأما من ذهب إلى أن الإيمان مجرد التصديق بالقلب، وأنه غير قابل للزيادة أو النقص؛ كما يروى عن المرجئة؛ فهو محجوج بما ذكرنا من الأدلة مع الإجماع السلفي، قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**» متفق عليه[1]، وهذا نص صريح في تفرّع الإيمان إلى شعب متفاوتة الرتبة، لها أعلى وأدنى، وبين ذلك شعب كثيرة منها الحياء، وفيه أنها متنوعة إلى أعمالٍ قلبية ولسانية وبدنية.

والإيمان والإسلام الشرعيان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمان صحيح معتد به، وجد معه إسلام، وكذلك العكس، ولهذا قد يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما إذا أفرد بالذكر؛ دخل فيه الآخر، وأما إذا ذكرا معًا مقترنين؛ أريد بالإيمان التصديق والاعتقاد، وأريد بالإسلام الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل الجوارح.

فمن الأول ما رواه الشيخان عن ابن عباس قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «**من القوم؟ أو من الوفد؟**» قالوا: ربيعة. قال: «**مرحبا بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى**»، فقالوا: يا رسول الله، إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال:

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٣١).

«**أتدرون ما الإيمان بالله وحده**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، ونهاهم عن أربع: عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت**»، وربما قال: «**المقير**» وقال: «**احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم**»، فذكر الإيمان بفعل الأعمال من الشهادتين والصلاة والصوم وأداء الخمس.

ومن الثاني ما صح من حديث جبريل من ذكر الإيمان والإسلام في حديث واحد ففسر الإسلام بالأعمال الفعلية، والإيمان بالتصديقات القلبية وفيه: أنه قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت، الحديث وذكر الإحسان أيضًا[1].

ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان أي مسماه، أما الإيمان المطلق أي التام؛ فهو أخص مطلقًا من الإسلام، فقد يوجد الإسلام بدونه؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]. فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان المطلق عنهم؛ لأنهم لم يبلغوا الإيمان التام والعمل التام الذي يستحقون به تلك المنزلة من الدين ولذلك قال بعدها: ﴿وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾

---

(١) رواه مسلم (٨).

[الذاريات:٣٥-٣٦]، فالذين أخرجوا هم لوط وبناته وهم مؤمنون حقًا، دون امرأته، فإنها لما كانت في الظاهر مسلمة حكم على البيت بالإسلام، والله أعلم.

وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وما يخص به كل مسمى منها من الدين[(١)]، فدل على أن كلًّا منها أخص مما قبله.

تنبيه:

ذهب مرجئة الفقهاء إلى أن الإيمان هو قول اللسان وتصديق القلب دون العمل وتبعهم الطحاوي في العقيدة المشهورة فقال: والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان. اهـ، وهذا مما أخذ عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال شارحها الشيخ علي بن أبي العز الحنفي: ذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، وأهل الظاهر، وجماعة من المتكلمين: إلى أنه تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وذهب كثير من أصحابنا (يعني الحنفية) إلى ما ذكره الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان. ومنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويروى عن أبي حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وذهب الكرامية إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط! فالمنافقون عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، ولكنهم يقولون: بأنهم يستحقون الوعيد الذي أوعدهم الله به! وقولهم ظاهر الفساد.

وذهب الجهم بن صفوان وأبو الحسين الصالحي -أحد رؤساء القدرية- إلى أن الإيمان هو المعرفة بالقلب! وهذا القول أظهر فسادًا مما قبله! فإنَّ لازمه أن فرعون

(١) رواه مسلم (٨).

وقومه كانوا مؤمنين، فإنهم عرفوا صدق موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا قال موسى لفرعون: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [النمل:١٤]، وأهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ولم يكونوا مؤمنين به، بل كافرين به، معادين له، وكذلك أبو طالب عنده يكون مؤمنًا، فإنه قال:

ولقد علمتُ بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

بل إبليس يكون عند الجهم مؤمنًا كامل الإيمان! فإنه لم يجهل ربه، بل هو عارف به، ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر:٣٦]، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾ [الحجر:٣٩]، ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص:٨٢]، والكفر عند الجهم هو الجهل بالرب تعالى، ولا أحد أجهل منه بربه! فإنه جعله الوجود المطلق، وسلب عنه جميع صفاته، ولا جهل أكبر من هذا، فيكون كافرًا بشهادته على نفسه!

وبين هذه المذاهب مذاهب أخر، بتفاصيل وقيود، أعرضت عن ذكرها اختصارًا.

وحاصل الكل يرجع إلى أن الإيمان:

١- إما أن يكون ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح، كما ذهب إليه جمهور السلف من الأئمة الثلاثة وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، كما تقدم.

٢- أو بالقلب واللسان دون الجوارح، كما ذكره الطحاوي عن أبي حنيفة وأصحابه رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

٣- أو باللسان وحده، كما تقدم ذكره عن الكرامية.

٤- أو بالقلب وحده، وهو إما المعرفة، كما قاله الجهم.

٥- أو التصديق كما قاله أبو منصور الماتريدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفساد قول الكرامية والجهم بن صفوان ظاهر. اه

قلت: وقول الجهمية هو الذي اعتمده الأشاعرة ومشوا عليه، وفساد هذه الأقوال الضالة ظاهر، لمخالفته الأدلة والإجماع، وأما القول الذي اعتمده الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فهو مذهب الحنفية من مرجئة الفقهاء خلافًا للسلف وجماهير الأئمة، كمالك والشافعي وأحمد والأوزاعي وغيرهم، فإن هؤلاء زادوا على الإقرار والتصديق: العمل بالأركان، وهو الذي كان عليه إجماع السلف ودل عليه الكتاب والسنة.

وليس الخلاف بين المذهبين اختلافًا صوريًا لفظيًا! كما ذهب إليه شارح الطحاوية رحمه الله تعالى بحجة أنهم جميعًا اتفقوا على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج عن الإيمان! وأنه في مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه! فإن هذا الاتفاق -وإن كان صحيحًا- فإن مرجئة الفقهاء، لو كانوا غير مخالفين للجماهير من السلف مخالفة حقيقية -في إنكارهم أن العمل من الإيمان- لاتفقوا معهم على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن زيادته ونقصه بالمعصية! مع تضافر أدلة الكتاب والسنة والآثار السلفية على ذلك، ولكن الحنفية أصروا على القول بخلاف تلك الأدلة الصريحة في الزيادة والنقصان، وتكلفوا في تأويلها تكلفًا ظاهرًا بل باطلًا، ذكر الشارح نموذجًا منها؛ بل حكى عن أبي المعين النسفي أنه طعن في صحة حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة...»! مع احتجاج كل أئمة الحديث به، ومنهم البخاري ومسلم في (صحيحيهما)، وما ذلك إلا لأنه صريح في مخالفة مذهبهم! ثم كيف يصح أن يكون الخلاف المذكور صوريًا، وهم يجيزون لأفجرِ واحدٍ منهم أن يقول: إيماني كإيمان أبي بكر الصديق!؟ بل كإيمان الأنبياء والمرسلين وجبريل وميكائيل عليهم الصلاة والسلام! كيف وهم بناءً على مذهبهم هذا لا يجيزون لأحدهم أن يستثني ويقول:

أنا مؤمن إن شاء الله تعالى! مهما كان فاسقًا فاجرًا؛ بل له أن يقول: أنا مؤمن حقًا! والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٢-٤]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، وبناءً على ذلك كله اشتطوا في تعصبهم! فذكروا أن من استثنى في إيمانه فقد كفر! وفرَّعوا عليه أنه لا يجوز للحنفي أن يتزوج بالمرأة الشافعية! وتسامح بعضهم -زعموا- فأجاز ذلك دون العكس، وعلل ذلك بقوله: تنزيلًا لها منزلة أهل الكتاب!

(٢)

القرآن كلام الله غير مخلوق

والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته.

(و) كان من مذهب علماء السنة الذي أجمعوا عليه: (القرآن) الكريم الذي أنزله الله على رسوله ﷺ وتلاه على أمته هو (كلام الله) حقيقةً حروفه ومعانيه (غير مخلوق بجميع جهاته)، سواء قرئ تلاوةً أو سمعَ أو كتب في الألواح أو حفظ في الصدور، ليس منه شيء مخلوق، والمتلو غير التلاوة والمقروء غير القراءة فإن المتلو هو القرآن كلام الله، والتلاوة فعل العبد والصوت صوت القارئ والمتلو كلام الباري، وذكر اللالكائي أن في بعض كتب أبي حاتم قولُه: والقرآن كلام الله، وعلمه وأسماؤه وصفاته وأمره ونهيه، ليس بمخلوق بجهة من الجهات. اهـ

والقرآن منزل لقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]، ودليل أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]،وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق:٥]، ولأن كلام الله صفة من صفاته وصفاته غير مخلوقة. قال السيوطي في (الفرقان): وقد استدل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الإنسان في ثمانية عشر موضعًا وقال إنه مخلوق، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعًا ولم يقل إنه مخلوق، ولما جمع بينهما غاير فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ [الرحمن:١-٣]. اهـ[1]

(١) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٣٧).

قال الموفق ابن قدامة في (اللمعة): ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات، من قرأه فأعربَه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، وقوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨]، وهذا هو الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا: لن نؤمن بهذا القرآن[1]، وقال بعضهم: إن هذا إلا قول البشر[2]، فقال الله سبحانه: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]، وقال بعضهم هو شعر، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٦٩] فلما نفى الله عنه أنه شعر، وأثبته قرآنًا، لم يبق شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي، الذي هو كلمات وحروف وآيات؛ لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد: إنه شعر، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٣]، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدرى ما هو ولا يعقل، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ﴾ [يونس:١٥] فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ

(١) سبأ:٣١.
(٢) المدثر:٢٥.

كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩] بعد أن أقسم على ذلك، وقال تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١] ﴿حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى:١-٢]، وافتتح تسعًا وعشرين سورة بالحروف المقطعة، وقال النبي ﷺ: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف منه عشر حسنات ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة» حديث صحيح[١]. وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه»[٢]. وقال أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه، وقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: من كفر بحرف منه فقد كفر به كله، واتفق المسلمون على عد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفًا متفقًا عليه أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف. اهـ[٣]

وقد أجمع أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى على أن القرآن كلام الله تعالى منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، وسمعه جبريل من الله تعالى وأنه كلام الله تعالى حروفه ومعانيه، ليس كلامه الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، بل مجموع الحروف والمعاني هي كلام الله تعالى، وأنه كلام الله تعالى وإن

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٠٧)، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ بلفظ: «من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، وكفارة عشر سيئات، ورفع عشر درجات»، وفي سنده نهشل الورداني، وهو متروك، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٦)، وصححه السفاريني في لوائح الأنوار (١/ ٢١٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٩٧)، وأبو داود في سننه (٨٣٠) بسند حسن، عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، وفي الباب عن سهل بن سعد، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٣٨)، وأبو داود (٨٣١)، والبيهقي في الشعب (٢٤٠٤)، والطبراني في الكبير (٦/ ٦٠٢٤)، وصححه ابن حبان (٧٥٧، ٦٦٩٠-ت الحوت). والترقوة: الحلقوم، وقوله: «يتعجلون ولا يتأجلون» أي: يطلبون بقراءته العاجلة، أي: عرض الدنيا، والرفعة فيها، ولا يلتفتون إلى الأجر في الدار الآخرة.

(٣) لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي (ص:١٨).

كتب في الألواح، وقرأته الألسنة، وحفظ في الصدور، كل ذلك لا يخرجه عن أن يكون كلام الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

وأجمعوا على أن نسبته لجبريل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢٠]، وإضافته إلى النبي ﷺ في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة:٣٨-٤٠]، إنما هي إضافة تبليغ لا ابتداء، وهذا لا يخرجه عن أن يكون كلام الله على الحقيقة، لأن الكلام إنما ينسب حقيقة لمن قاله مبتدأً، لا لمن قاله مبلغًا.

وأجمعوا على بطلان قول من قال: إن القرآن الذي في المصحف ليس هو كلام الله تعالى حقيقة وإنما هو حكاية عن كلام الله تعالى أو عبارة عن كلام الله، كل ذلك باطل، وأجمعوا على كفر من اعتقد أن القرآن مخلوق، ونصوص السلف في ذلك لا تكاد تحصر.

قال البخاري في كتاب التوحيد من (صحيحه): باب قول الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان:٢٧]، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

ثم قال البخاري: باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة، وقال معمر: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل:٦] أي يلقى عليك وتلقّاه أنت، أي تأخذه عنهم، ومثله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧]، حدثني إسحاق: حدثنا عبد الصمد: حدثنا عبد الرحمن -هو ابن عبد الله بن دينار- عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إذا أحب عبدًا نادى جبريلَ: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض**»، حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون**».

ثم قال البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء:١٦٦]، قال مجاهد: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]: بين السماء السابعة والأرض السابعة، حدثنا مسدد: حدثنا أبو الأحوص: حدثنا أبو إسحاق الهمداني، عن البراء بن عازب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا فلان إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فإنك إن مت في ليلتك مت على الفطرة، وإن أصبحت أصبت أجرًا**»، حدثنا قتيبة بن سعيد: حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: قال رسول الله ﷺ -يوم الأحزاب-: «**اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب وزلزل بهم**».

ثم قال البخاري: باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق:١٣]: حق ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ [الطارق:١٤]: باللعب.

ثم قال: باب كلام الرب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، حدثنا يوسف ابن راشد: حدثنا أحمد بن عبد الله: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن حميد، قال: سمعت

أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة شفعتُ، فقلت: يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة، فيدخلون ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء**»، فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ، ثم ذكر حديث الشفاعة وغيره، وقال: حدثنا علي بن حجر: أخبرنا عيسى بن يونس، عن الأعمش، عن خيثمة، عن عدي بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان! فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**».

ثم قال البخاري: باب قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤]، حدثنا يحيى بن بكير: حدثنا الليث: حدثنا عقيل، عن ابن شهاب: حدثنا حميد بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**احتج آدم وموسى! فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة! قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، ثم تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن أخلق، فحج آدم موسى**».

ثم قال البخاري: باب كلام الرب مع أهل الجنة، حدثنا يحيى بن سليمان: حدثني ابن وهب قال: حدثني مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**». اهـ من (صحيح البخاري) ملخصًا.

وقد روى أئمة السنة عن السلف التصريح بأن القرآن كلام الله حقيقة غير مخلوق وأن ابتداءه من الله جَلَّ جَلَالُهُ، فروى اللالكائي في (اعتقاد أهل السنة) عن إبراهيم

ابن يزيد التيمي عن الحارث بن سويد قال: قال علي: يذهب الناس حتى لا يبقى أحد يقول لا إله إلا الله، فإذا فعلوا ذلك ضرب يعسوب الدين ذنبه فيجتمعون إليه من أطراف الأرض كما يجمع قرع الخريف، ثم قال علي: إني لأعرف اسم أميرهم ومناخ ركابهم يقولون القرآن مخلوق! وليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله منه بدأ وإليه يعود. اهـ[١]

وروى البيهقي في (الأسماء والصفات) عن الفرج بن يزيد الكلاعي، قال: قالوا لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حكّمت كافرًا ومنافقًا! فقال: ما حكمت مخلوقًا، ما حكمت إلا القرآن. قال البيهقي: هذه الحكاية عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شائعة فيما بين أهل العلم، ولا أراها شاعت إلا عن أصل- والله أعلم- وقد رواها عبد الرحمن بن أبي حاتم. اهـ[٢]

وعن عمران بن حدير، عن عكرمة قال: كان ابن عباس في جنازة، فلما وُضع الميت في لحده، قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له! فوثب إليه ابن عباس! فقال: مَه القرآن منه، وفي رواية: فقال ابن عباس: القرآن كلام الله، ليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود. اهـ[٣]

وللالكائي[٤] عن خالد الحذاء قال سمعت أبا العريان يقول: قال عبد الله بن عمر: القرآن كلام الله غير مخلوق.

وله[٥] عن القاسم بن العباس الشيباني قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٣٠).

(٢) الأسماء والصفات (١/ ٥٩٤).

(٣) رواه البيهقي الأسماء والصفات (١/ ٥٩١) واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٣٠).

(٤) شرح الاعتقاد (٢/ ٢٣٤).

(٥) شرح الاعتقاد (٢/ ٢٣٤).

دينار قال: أدركت تسعة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

وروى اللالكائي[١] عن ابن عيينة، قال: سمعت عمرو بن دينار يقول: أدركت مشايخنا والناسَ منذ سبعين سنة، يقولون: القرآن كلام الله، منه بدأ وإليه يعود، قال[٢]: ورواه عبد الرحمن بن أبي حاتم عن محمد بن عمار بن الحارث قال: حدثنا أبو مروان الطبري -بمكة وكان فاضلًا- قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: سمعت مشيختنا منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق، وقال محمد بن عمار: ومن مشيخته؟ إلا أصحاب رسول الله ﷺ ابن عباس وجابر، وذكر جماعة.

وروى اللالكائي[٣] عن سفيان بن عيينة قال أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقول القرآن كلام الله ليس بمخلوق.

روى اللالكائي[٤] عن محمد بن إسماعيل البخاري، قال: حدثنا الحكم بن محمد أبو مروان الطبري: سمع ابن عيينة، قال: أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة، منهم عمرو ابن دينار، يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق، قال: ولقد لقي ابن عيينة نحوًا من مائتي نفس من التابعين من العلماء، وأكثر من ثلاثمائة من أتباع التابعين، من أهل الحرمين والكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن.

وروى اللالكائي[٥] عن جعفر بن محمد عن أبيه قال سئل علي بن الحسين عن القرآن؟ قال: ليس بخالق ولا مخلوق، وهو كلام الله تعالى.

---

(١) شرح الاعتقاد (٢/ ٢٣٤).

(٢) شرح الاعتقاد (٢/ ٢٣٤).

(٣) (٢/ ٢٣٦).

(٤) (٢/ ٢٣٦).

(٥) (٢/ ٢٣٦).

وذكر اللالكائي[1] عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: حدثنا أحمد بن سنان الواسطي، قال لَمّا امتُحِن أبو نعيم، الفضل بن دكين، وأحمد بن يونس، وأصحابه، ثبت أبو نعيم، وقال: لقيت سبعمائة شيخٍ، ذكر الأعمش وسفيان وجماعتَهم، ما سمعت أحدًا منهم قال ذا القول، يعني بخلق القرآن، إلا رجلٌ واحد[2].

وتقدم ما رواه اللالكائي عن شعيب بن حرب عن سفيان الثوري قوله: القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود من قال غير هذا فهو كافر. اهـ[3]

وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدّقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦] فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥]، علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر. اهـ

وقوله: **كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولًا**، رد على المعتزلة وغيرهم، فإن المعتزلة تزعم أن القرآن لم يبدأ منه! قالوا: وإضافته إليه إضافة تشريف، كبيت الله، وناقة الله، يحرفون الكلم عن مواضعه! وقولهم باطل، فإن المضاف إلى الله تعالى معانٍ وأعيانٌ، فإضافة الأعيان إلى الله للتشريف، وهي مخلوقة له، كبيت الله، وناقة الله، بخلاف إضافة المعاني، كعلم الله، وقدرته، وعزته، وجلاله، وكبريائه، وكلامه، وحياته، وعلوه، وقهره، فإن هذا كله من صفاته، لا يمكن أن يكون شيء من ذلك مخلوقًا.

---

(١) (٢/ ٢٤٠).
(٢) الظاهر أنه يعني ما كان يحكى عن أبي حنيفة في أول الأمر ثم رجع عن ذلك وقال بقول الجماعة.
(٣) اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥١).

وأهل السنة كلهم، من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم من السلف والخلف، متفقون على أن كلام الله غير مخلوق.

وأنه لم يزل متكلما إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وأن نوع الكلام قديم.

وأن التوراة والإنجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة، وكلام الله تعالى لا يتناهى، فإنه لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولا يزال كذلك. قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧].

ولو كان ما في المصحف عبارة عن كلام الله، وليس هو كلامَ الله! لما حرم على الجنب والمحدث مسه، ولو كان ما يقرؤه القارئ ليس كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث قراءته، بل كلام الله محفوظ في الصدور، مقروء بالألسن، مكتوب في المصاحف، وهو في هذه المواضع كلها حقيقة، والفرق بين القراءة التي هي فعل القارئ، والمقروء الذي هو قول الباري، من لم يهتد له فهو ضال، ولو أن إنسانا وجد في ورقة مكتوبا: ألا كل شيء ما خلا الله باطل من خط كاتب معروف. لقال: هذا من كلام لبيد حقيقة، وهذا خط فلان حقيقة، وهذا كل شيء حقيقة، وهذا خبر حقيقة، ولا تشتبه هذه الحقيقة بالأخرى.

وحقيقة كلام الله تعالى الخارجية: هي ما يسمع منه أو من المبلغ عنه، فإذا سمعه السامع علمه وحفظه، فكلام الله مسموع له معلوم محفوظ، فإذا قاله السامع فهو مقروء له متلو، فإن كتبه فهو مكتوب له مرسوم، وهو حقيقة في هذه الوجوه كلها لا يصح نفيه، والمجاز يصح نفيه، فلا يجوز أن يقال: ليس في المصحف كلام الله، ولا: ما قرأ القارئ كلام الله، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، وهو لا يسمع كلام الله من الله، وإنما يسمعه من مبلغه عن الله. والآية

تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله، والأصل الحقيقة، ومن قال: إن المكتوب في المصاحف عبارة عن كلام الله، أو حكاية كلام الله، وليس فيها كلام الله؛ فقد خالف الكتاب والسنة وسلف الأمة، وكفى بذلك ضلالًا.

وقال الحافظ أبو عثمان الصابوني في (عقيدة السلف أصحاب الحديث): ويشهد أصحاب الحديث ويعتقدون: أن القرآن كلام الله وكتابه، ووحيه وتنزيله غير مخلوق، ومن قال بخلقه واعتقده فهو كافر عندهم، والقرآن الذي هو كلام الله ووحيه هو الذي ينزل به جبريل على الرسول ﷺ قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون، بشيرًا ونذيرًا، كما قال عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]، وهو الذي بلغه الرسول ﷺ أمته، كما أخبر به في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة:٦٧]، فكان الذي بلغهم بأمر الله تعالى كلامه عَزَّوَجَلَّ، وفيه قال ﷺ: «أتمنعوني أن أبلغ كلام ربي»[1]، وهو الذي تحفظه الصدور، وتتلوه الألسنة، أو يكتب في المصاحف، كيف ما تصرف بقراءة قارئ، أو لفظ لافظ، وحفظ حافظ، وحيث تلي، وفي أي موضع قرئ وكتب في مصاحف أهل الإسلام، وألواح صبيانهم وغيرها، كله كلام الله جَلَّجَلَالُهُ، غير مخلوق، ومن قال: مخلوق فهو كافر بالله العظيم، سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: القران كلام الله غير مخلوق، فمن قال: إن القران مخلوق، فهو كافر بالله

(١) أخرجه أحمد (١٥١٩٢)، وأبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥)، وابن ماجه (٢٠١)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وهو كما قال.

العظيم، لا تقبل شهادته، ولا يعاد إن مرض ولا يصلى عليه إن مات، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ويستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه. اهـ

وقول السلف: منه بدأ وإليه يعود، إنما قالوا: منه بدأ، لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل! فقال السلف: بل منه جَلَّجَلَالُهُ بدأ، أي هو المتكلم به ابتداءً، فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١]، وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة:١٣]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل:١٠٢].

ومعنى قولهم: وإليه يعود، أي يرفع من الصدور والمصاحف، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف.

وبهذا جاء الخبرُ عن رسولِ الله ﷺ وأصحابه.

فعَنْ حذيفةَ بن اليمان وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يُسْرى على كتاب الله لَيْلًا، فيُصْبحُ الناسُ ليس في الأرضِ، ولا جوفِ مسلمٍ منه آية**»(١)، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: يسرى على كتاب الله، فيرفع إلى السماء فلا يصبح في الأرض آية من القرآن، ولا من التوراة، والإنجيل، ولا الزبور، وينتزع من قلوب الرجال، فيصبحون ولا يدرون ما هو(٢).

وعن شداد بن معقل أن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لينتزعن هذا القرآن من بين أظهركم. قال: قلت: يا أبا عبد الرحمن! كيف ينتزع وقد أثبتناه في صدورنا، وأثبتناه في مصاحفنا؟ قال: يسرى عليه في ليلة، فلا يبقى في قلب عبد منه، ولا مصحف

---

(١) حديث صحيح، رواه ابن ماجه (٤٠٤٩) والحاكم (٤/ ٤٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووفقه الذهبي والألباني في الصحيحة (٨٧).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والضياء المقدسي في اختصاص القرآن بعوده إلى الرحيم الرحمن (ص:٣٦).

منه شيء، ويصبح الناس فقراء كالبهائم. ثم قرأ عبد الله: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٦]»[١].

وعن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود قال: أكثروا تلاوة القرآن قبل أن يرفع، قالوا: هذه المصاحف ترفع، فكيف بما في صدور الرجال؟ قال: يسرى عليه ليلًا فيصبحون منه فقراء، وينسون قول لا إله إلا الله، ويقعون في قول الجاهلية وأشعارهم، وذلك حين يقع عليهم القول[٢].

وقد تأوله بعض أهل السنة بعود تلاوته وقراءته التي هي كسب العبد. وهذا المعنى حق، فإنه تعالى قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] ولكن هذين الأثرين عن أبي هريرة وابن مسعود تضمنا الإخبار عن غيب، لا يقال إلا بتوقيف، مع ما صح من الحديث عن حذيفة مرفوعًا. فبهذا يظهر لك معنى قول من قال من السلف: القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والمصير إلى هذا التفسير واجب لدلالة ما ذكرنا من الأخبار.

قال شيخ الإسلام: فقالوا: (منه بدأ) ردًّا على الجهمية الذين يقولون: بدأ من غيره، ومقصودهم أنه هو المتكلم به، كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر:١] وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ [السجدة:١٣] وأمثال ذلك[٣]. وقال: وأما (إليه يعود) فإنه يسرى به في آخر الزمان، من المصاحف والصدور، فلا يبقى

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٦٣) والطبراني في الكبير (٩/ ١٤١) والحاكم، والضياء المقدسي في اختصاص القرآن (ص:٣٨) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في تلخيصه. وقال الهيثمي: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح»؛ غير شداد بن معقل، وهو ثقة. وله طرق كثيرة انظرها في تخريج سنن سعيد بن منصور للشيخ سعد الحميد (٣/ ٣٣٥ تفسير).

(٢) رواه الدارمي (٣٣٨٤)، والبيهقي في الشعب (١٨٦٨).

(٣) درء التعارض (٢/ ١١٣).

في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف[(١)].

قال ابن القيم في مقدمة النونية له: وأما القرآن فإني أقول: إنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به صدقًا، وسمعه منه جبرائيل حقًا، وبلغه محمدًا ﷺ وحيًا، وإن ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١] و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى:١-٢] و﴿الٓر﴾ [يونس:١] و﴿قٓ﴾ [ق:١] و﴿نٓ﴾ [القلم:١] عين كلام الله حقيقة، وإن الله تكلم بالقرآن العربي الذي سمعه الصحابة من النبي ﷺ وإن جميعه كلام الله، وليس قول البشر، ومن قال إنه قول البشر فقد كفر، والله يصليه سقر، ومن قال ليس لله بيننا في الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ، فإن الله بعثه يبلغ عنه كلامه، والرسول إنما يبلغ كلام مرسله، فإذا انتفي كلام المرسل انتفت رسالة الرسول ﷺ... إلخ[(٢)].

وسيأتي مزيد بحث في كفر من قال بخلق القرآن في أواخر هذه العقيدة عند قوله: «ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله... إلخ»، وكذا الكلام على إثبات صفة الكلام لله تعالى عند قوله: «ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء».

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٤-١٧٥) عن المناظرة في الواسطية.

(٢) النونية لابن القيم (ص:٢٩-٣٠) طبعة المكتب الإسلامي.

(٣)

القـــدر

والقدر خيره وشرُّه مِن الله عَزَّوَجَلَّ.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها العلماء في جميع الأمصار: (القدرُ خيرُه وشرُّه مِن الله عَزَّوَجَلَّ) كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أحد الأركان الستة التي يدور عليها فلك الإيمان؛ كما دل عليه قول النبي ﷺ: «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**» وسبب روايته ما رواه مسلم في (صحيحه) عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من تكلم في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين، أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر! فوفق الله تعالى لنا عبد الله بن عمر داخلًا في المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ، فقلت: أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قِبلنا أناس يقرءون القرآن، ويتقفّرون العلم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أُنف، فقال: **إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء، وأنهم مني برآء، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر**، ثم قال: حدثني عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال رسول الله ﷺ:

«**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتيَ الزكاة، وتصومَ رمضان، وتحجَّ البيت إن استطعت إليه سبيلًا**»، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**»، قال فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، قال: فانطلق. فلبثت ثلاثًا، وفي رواية: مليًا، ثم قال: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»(١).

ففي هذا الحديث أن الإيمان بالقدر من أصول الإيمان الستة المذكورة، فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد ترك أصلًا من أصول الدين وجحده، فيشبه من قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥]، الآية. وعن عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي، فقال: أجلسوني! قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم؛ فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**»، يا بني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار، وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار**»(٢).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، من صحيحه (٨).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣١٧) وأبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥، ٣٣١٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥) وقال الترمذي: حديث حسن غريب. وفي الباب عن ابن عباس.

وفي هذا الحديث ونحوه: بيان شمول علم الله تعالى وإحاطته بما كان ويكون في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق:١٢]. وقد قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما سئل عن القدر قال: القدر قدرة الرحمن. واستحسن ابن عقيل هذا من أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]، والمعنى: أنه لا يمنع عن قدرة الله شيء، ونفاة القدر قد جحدوا كمال قدرة الله تعالى فضلوا عن سواء السبيل. وقد قال بعض السلف كالشافعي وأحمد: ناظروهم بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن جحدوه كفروا. وقد ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»[2]. وفي المسند والسنن وصححه الحاكم عن ابن الديلمي -واسمه عبد الله بن فيروز- قال: أتيت أبي بن كعب فقلت في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا، ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت زيد بن ثابت، قال: فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك[3]، وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول**

= وسكت عنه المنذري وصححه الألباني لطرقه وشواهده.

(١) منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٢٥٤) وشفاء العليل لابن القيم (ص:٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٥٨٩، ٢١٦١١، ٢١٦٥٣)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، بسند صحيح.

الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره» رواه الترمذي[(١)].

وأخرج أبو داود عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: **«القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**[(٢)].

قال الخطابي: إنما جعلهم مجوسًا لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة. وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله، والشر إلى غيره. اهـ

وكل هذه الأحاديث وما في معناها فيها الوعيد الشديد على عدم الإيمان بالقدر، وهي الحجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم.

والذي عليه إجماع أهل السنة والجماعة: أن كل شيء بقضاء الله وقدره حتى الأعيان والصفات والأفعال، وأن الله تعالى خالق أفعال العباد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، ففيها التصريح بأن عمل العبد مخلوق ومقدور لله تعالى.

قال الحافظ عبد الغني في (عقيدته): وأجمع أئمة السلف من أهل الإسلام على الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، قليله وكثيره بقضاء الله وقدره، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يجري خير وشر إلا بمشيئته، خلق من شاء للسعادة واستعمله بها فضلًا، وخلق من أراد للشقاء واستعمله به عدلًا، فهو سر استأثر به، وعِلمٌ حجبه عن خلقه،

---

(١) رواه الترمذي (٢١٤٥)، وابن ماجه (٨١)، والطيالسي (١/ ٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩١)و ابن أبي عاصم في السنة (٣٣٨، ٣٣٩) وحسنه الألباني لشواهده وطرقه الكثيرة.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣]، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف:١٧٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة:١٣] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]. اهـ

وعلم الله ما هو كائن بعلمه الأزلي فكتبه وقدّره، وعلم ما الخلق عالمون فكتبه وقدره وإذا شاء أنشره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٢-٢٣]، قال السمعاني في تفسيره: أَي: لأسمعهم سَماع التفهم وَالْقَبُول لَو علم أَنهم يصلحون لذَلِك. فَإِن قيل: كَيفَ يَسْتَقِيم قَوْله: ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟﴾ [الأنفال:٢٣]؟ قيل مَعْنَاهُ: لَو علم فيهم خيرًا لأسمعهم سَماع التفهم، وَلَو أسمعهم سَماع الآذان لتولوا، وَقيل مَعْنَاهُ: وَلَو أسمعهم سَماع التفهم لتولوا؛ لما سبق لَهُم من الشقاوة، وَأَنَّهُمْ لَا يصلحون لذَلِك وَلَا خير فيهم. اهـ[1]، وقال البغوي: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣] أي: لأسمعهم سماع التفهم والقبول، ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك، ﴿لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره. اهـ[2]، وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ قيل: الحجج والبراهين، إسماع تفهم، ولكن سبق علمه بشقاوتهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ أي لو أفهمهم لما آمنوا بعد علمه الأزلي بكفرهم. اهـ[3]

وقال عبد الرحمن بن يزيد: قوله: ولو أسمعهم بعد إذ يعلم أن لا خير فيهم

---

(١) تفسير السمعاني (٢/ ٢٥٧).

(٢) تفسير البغوي (٣/ ٣٤٤).

(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٣٨٨).

ما نفعهم بعد أن ينفذ علمه بأنهم لا ينتفعون به[١]. وقال ابن أبي زمنين في (تفسيره)[٢]: قوله: ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ هِيَ كَقَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨]، فعلم الله السابق هو الماضي في العباد، ولا يظلم ربك أحدًا.

ومن كذب بالقدر فلا إيمان له ولا توحيد له، كما جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقض للتوحيد[٣]. وقال الإمام أحمد: القدر قدرة الله[٤]، فأي توحيد عند من ينكر قدرة الله.

وصح عن سلمان الفارسي قال: الإيمان بالقدر: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تقولن لشيء أصابك: لو فعلت كذا وكذا[٥].

ومن لم يؤمن بالقدر لا تقبل أعماله، فلا ينتفع لا بصلاة ولا بصيام ولا بصدقة ولا غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة:٥]. كما تقدم قول عبد الله بن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر، وتقدم مثله عن أبي بن كعب وحذيفة وابن مسعود وعبادة وزيد بن ثابت وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ، وهذا لا يكون إلا مرفوعًا.

فإيمان العبد ودينه لا يمكن أن ينتظم إلا إذا آمن بأقدار الله جَلَّ وَعَلَا، وأنَّ كلَّ شيء بقدر، وأن يؤمن بالقدر كلِّه حلوه ومره، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٧٩).

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/ ١٧٢).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٩٢٥)، واللالكائي في شرح الاعتقاد (١٢٢٤).

(٤) منهاج السنة لابن تيمية (٣/ ٢٥٤)، وشفاء العليل لابن القيم (ص:٥٣).

(٥) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١/ ٢٤١).

الفرق بين القضاء والقدر:

القضاء والقدر، من الألفاظ التي يقول عنها أهل العلم: إذا افترقت اجتمعت وإذا اجتمعت افترقت، مثل الإسلام والإيمان، والبر والتقوى، والفقير والمسكين، وغيرها من الألفاظ الشرعية. فإنَّها إذا اجتمعت في الذكر افترقت في المعنى، وإذا افترقت في الذكر اجتمعت في المعنى فينتظم كلٌ منها معنى الآخر. فالقدر إذا ذكر مفردًا انتظم معنى القضاء، وإذا ذكر القضاء مفردًا انتظم معنى القدر، لكن إذا ذكرا معًا، فمن أهل العلم من يجعل القدر هو التقدير السابق، والقضاء: هو الإبرام والإيجاد، فيكون القدر أسبق. ومنهم من يرى العكس، فيجعل القضاء هو السابق، والتقدير هو اللاحق[1].

مراتب القدر:

ثم اعلم أنَّ الإيمان بالقدر لا يصح إلا بالإيمان بمراتبه التي دل عليها كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهي أربعة:

الأولى: الإيمان بعلم الله عَزَّوَجَلَّ الأزلي المحيط الشامل لما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣] الآية وتقدم كلام المفسرين فيها. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠]، فأخبر أنه قدر ذلك لعلمه السابق سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتخاذ السبيل إلى ربكم أيها الناس ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ذلك لكم لأن الأمر إليه لا إليكم، وهو في قراءة عبد الله فيما ذُكر (وَما تَشاءُونَ إلا مَا شَاءَ الله)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فلن يعدو منكم أحد ما سبق له في علمه بتدبيركم. اهـ[2]

---

(١) انظر: شفاء العليل والدرر السنية (١/ ٣١٥)، وفتاوى ابن عثيمين.

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ١١٩) ت. شاكر.

الثانية: الإيمان بالكتابة، وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ كتب مقادير الخلائق، وكلَّ ما هو كائن، وهذه الكتابة تمت قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، كما ثبت في الحديث: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات بخمسين ألف سنة**»(١).

الثالثة: الإيمان بالمشيئة النافذة الشاملة، وأنَّ الأمور كلَّها بمشيئة الله، وأنَّه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فالملك ملكُ الله، ولا يمكن أن يكون فيه شيء إلا بمشيئته، لا ذرة ولا حركة ولا سكون إلا بمشيئته سبحانه، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]، ذكر الطبري وغيره من المفسرين أنه لما نزل ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، قال أبو جهل: ذلك إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

المرتبة الرابعة: الإيمان بالخلق والإيجاد، وأنَّ الله خلق كلَّ شيء، بما في ذلك أفعال العباد، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]. وقد جمع بعض أهل العلم هذه المراتب الأربعة في بيت من الشعر فقال:

علمٌ كتابةُ مولانا مشيئتُه ... وخلقُه وهو إيجادٌ وتكوينٌ

فمن لم يؤمن بمراتب القدر الأربعة فليس بمؤمن بالقدر. فلو قال قائل: أنا أؤمن بالعلم والكتابة والإيجاد، ولكن لا أؤمن بالمشيئة. عُدَّ كافرًا بالقدر. ولهذا يحسن بمن أراد تعريف الإيمان بالقضاء والقدر أن يذكر هذه المراتب الأربعة.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٥٣).

(٢) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٦٤) ت. شاكر.

ومن العلماء من سمى هذه المراتب درجات، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الواسطية): وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره. والإيمان بالقدر على درجتين؛ كل درجة تتضمن شيئين، فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق. فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢]، وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلًا، فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه؛ بعث إليه ملكًا، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، ونحو ذلك... فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، ومنكره اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية؛ فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو: الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات وما في الأرض من حركة ولا سكون؛ إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه. اهـ

فقسم الشيخ تقي الدين ابن تيمية القدر إلى درجتين وذكر في كل درجة شيئين، فهذه أربعة أشياء وهي مراتب القدر، فالدرجة الأولى تتضمن شيئين هما العلم والكتابة.

الأول: الإيمان بعلمه القديم المحيط بجميع الأشياء، وأنه تعالى علم بهذا العلم القديم الموصوف به أزلًا وأبدًا كل ما سيعمله الخلق فيها لا يزال، وعلم به جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

فكل ما يوجد من أعيان وأوصاف ويقع من أفعال وأحداث فهو مطابق لما علمه الله عَزَّوَجَلَّ أزلًا.

والثاني: الكتابة وهو أن الله كتب ذلك كله وسجله في اللوح المحفوظ، فما علم الله كونه ووقوعه من مقادير الخلائق وأصناف الموجودات وما يتبع ذلك من الأحوال والأوصاف والأفعال ودقيق الأمور وجليلها قد أمر القلم بكتابته؛ كما قال ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**»[١]، وكما قال ﷺ: «**إن أول ما خلق الله القلم؛ قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»[٢].

وقوله: «**أولَ**» هنا بالنصب على الظرفية، والعامل فيه «**قال**»؛ أي: قال له ذلك أول ما خلقه. وقد روي بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره القلم.

ولهذا اختلف العلماء في العرش والقلم؛ أيهما خُلق أوَّلًا.

وحكى العلامة ابن القيم في ذلك قولين، واختار أن العرش مخلوق قبل القلم قال في (النونية):

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمداني

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ٤٤٢-مع شرح النووي).

(٢) صحيح رواه أبو داود، والترمذي، وأحمد في المسند (٥/ ٣١٧).

والحق أن العرش قبل لأنه وقت الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت إيجاده من غير فصل زمان

وإذا كان القلم قد جرى بكل ما هو كائن إلى يوم القيامة بكل ما يقع من كائنات وأحداث؛ فهو مطابق لما كتب فيه، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ كما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره[1]، وعن جابر بن عبد الله مرفوعًا: **«لا يؤمن عبد، حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»**[2].

وهذا التقدير التابع للعلم القديم تارة يكون جملة؛ كما في اللوح المحفوظ؛ فإن فيه مقادير كل شيء، ويكون في مواضع تفصيلًا بما يخص كل فرد؛ كما في الكلمات الأربع التي يؤمر الملك بكتابتها عند نفخ الروح في الجنين؛ يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد فهذا تقدير خاص، قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، فكل شيء علمه الله عَزَّوَجَلَّ، وكتبه في اللوح المحفوظ.

وهذا التقدير السابق على وجود الأشياء قد كان ينكره غلاة القدرية قديما؛ مثل: معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، وكانوا يقولون: إن الأمر أنف.

---

(١) رواه أحمد (٢٨٠٤)، والترمذي (٢٥١٦)، والطبراني (ج١١/ ح١١٢٤٣)، والحاكم (٦٣٠٤)، بسند جيد.

(٢) رواه الترمذي (٢١٤٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٤٦١)، ورواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما؛ عن ابن عباس، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم مرفوعا وموقوفًا. انظر: جامع الأصول (٧٥٧٤، ٧٥٧٥، ٧٥٧٦)، وتقدم ذكرها.

ومنكر هذه الدرجة من القدر كافر؛ لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع، ولهذا كان الإمامان الشافعي وأحمد يقولان: ناظروا القدرية في العلم، فإن أقروا به خصموا، وإن نفوه كفروا، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، فقال: ﴿مَن يَضِلُّ﴾ بصيغة المضارع، أي أنه عالم بعلمه الأزلي السابق من سيكون من الضالين بفعله، فكتب عليهم الشقاء عدلًا منه سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وعبر عن أهل الهداية بالاسم الدال على الثبوت فقال: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾، وذلك يدل على أنه علم ذلك منهم فثبتهم عليه، وأن ذلك بفضله، ووصفهم بالاهتداء ليدل على أن لهم فعلًا واختيارًا اهتدوا به، وذلك كله لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته، كما قال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠]، فنبه باسميه العليم والحكيم، على علمه السابق بمن يستحق الهداية فيوفقه لها، وأنه حكيم في خلقه وقدره عَزَّوَجَلَّ.

وأما الدرجة الثانية من القدر فهي تتضمن شيئين أيضًا: أولهما: الإيمان بعموم مشيئته تعالى، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، وأن أفعال العباد من الطاعات والمعاصي واقعة بتلك المشيئة العامة التي لا يخرج عنها كائن؛ سواء كان مما يحبه الله ويرضاه أم لا. وثانيهما: الإيمان بأن جميع الأشياء واقعة بقدرة الله تعالى، وأنها مخلوقة له؛ لا خالق لها سواه، لا فرق في ذلك بين أفعال العباد وغيرها؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

ومع ذلك؛ فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد.

فيجب الإيمان بالأمر الشرعي، وأنه لا تعارض بين الشرع والقدر وأن الله تعالى كلف العباد، فأمرهم بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، ولا منافاة أصلًا بين ما ثبت من عموم مشيئته سبحانه لجميع الأشياء وبين تكليفه العباد بما شاء من أمر ونهي؛ لأن الشرع تابع لإرادته الشرعية وأمره الشرعي الذي بمعنى المحبة والرضا، وأما القدر فتابع لأمره الكوني وإرادته الكونية التي بمعنى المشيئة، وتلك المشيئة لا تنافي حرية العبد واختياره للفعل، ولهذا جمع الله بين المشيئتين بقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]. ولا تلازم بين تلك المشيئة وبين الأمر الشرعي المتعلق بما يحبه الله ويرضاه، فقد يشاء الله كونًا ما لا يحبه، وقد يحب ما لا يشاء كونه، فالأول: كمشيئته وجود إبليس وجنوده، والثاني: كمحبته الإيمان من الكفار، وطاعات الفجار، وعدل الظالمين، وتوبة الفاسقين، كما قال ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ﴾ [الزمر:٧]، فهو يحب الشكر من عباده كلهم، ولو شاء ذلك من الكل لوجد؛ فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وقدرتهم وإرادتهم؛ والعباد فاعلون حقيقة، والله خلق أفعالهم، والعبد هو المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم[1]، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨-٢٩].

وكذلك لا منافاة بين عموم خلقه تعالى لجميع الأشياء، وبين كون العبد فاعلًا لفعله؛ فالعبد هو الذي يوصف بفعله، فهو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم، والله خالقه، وخالق فعله؛ لأنه هو الذي خلق فيه القدرة والإرادة اللتين بهما يفعل.

(١) العقيدة الواسطية (٢٤٧-٢٤٩: شرح الهراس، ط١٤٣٤هـ).

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي غفر الله له وأجزل مثوبته[١]: إن العبد إذا صلى، وصام، وفعل الخير، أو عمل شيئا من المعاصي؛ كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، وذلك العمل السيئ، وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره، وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكان هذا هو الواقع؛ فهو الذي نص الله عليه في كتابه، ونص عليه رسوله؛ حيث أضاف الأعمال صالحها وسيئها إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدوحون عليها إن كانت صالحة ومثابون، وملومون عليها إن كانت سيئة ومعاقبون عليها. فقد تبين بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم، وأنهم إذا شاءوا فعلوا، وإذا شاءوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلًا وحسًا وشرعًا ومشاهدةً. ومع ذلك، إذا أردت أن تعرف أنها وإن كانت كذلك واقعة منهم كيف تكون داخلة في القدر، وكيف تشملها المشيئة؟!

فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرها؟ فيقال: بقدرتهم وإرادتهم؛ هذا يعترف به كل أحد، فيقال: ومن خلق قدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم؟

فالجواب الذي يعترف به كل أحد: أن الله هو الذي خلق قدرتهم وإرادتهم، والذي خلق ما به تقع الأفعال هو الخالق للأفعال.

فهذا هو الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر والقضاء والاختيار. ومع ذلك فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب وألطاف وإعانات متنوعة وصرف عنهم الموانع؛ كما قال ﷺ: **«أما من كان من أهل السعادة؛ فسييسر لعمل أهل السعادة»**[٢]، وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكلوا عليه،

---

(١) التنبيهات اللطيفة للسعدي (ص:٤٧)، وعنه الهراس في شرح الواسطية (ص:٢٤٩).

(٢) رواه البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٧٤)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فولاهم ما تولوا لأنفسهم. اهـ

خلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد:

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في القدر وأفعال العباد ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة من أن الله سبحانه هو الخالق لكل شيء من الأعيان والأوصاف والأفعال وغيرها، وأن مشيئته تعالى عامة شاملة لجميع الكائنات، فلا يقع منها شيء إلا بتلك المشيئة، وأن خلقه سبحانه الأشياء بمشيئته إنما يكون وفقًا لما علمه منها بعلمه القديم، ولما كتبه وقدره في اللوح المحفوظ، وأن للعباد قدرة وإرادة تقع بها أفعالهم، وأنهم الفاعلون حقيقة لهذه الأفعال بمحض اختيارهم، وأنهم لهذا يستحقون عليها الجزاء: إما بالمدح والمثوبة، وإما بالذم والعقوبة، وأن نسبة هذه الأفعال إلى العباد فعلًا لا ينافي نسبتها إلى الله إيجادًا وخلقًا؛ لأنه هو الخالق لجميع الأسباب التي وقعت بها.

وهذه الدرجة من القدر -وهي المشيئة وعموم القدرة- يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها.

الطوائف الضالة في القدر:

وضل في القدر طائفتان:

الطائفة الأولى: القدرية نفاة القدر، من المعتزلة القدرية الذين هم مجوس هذه الأمة؛ كما ورد ذلك في بعض الأحاديث مرفوعًا وموقوفًا، وهؤلاء ضلوا بالتفريط وإنكار القدر، وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسئوليته عنه، وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيئته؛ لأن ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسئولية العبد عن فعله، وهدم للتكاليف، فرجحوا

جانب الأمر والنهي، وخصصوا النصوص الدالة على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أن العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يزعمون أن الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية، فجعلوه خالقًا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله! تعالى الله عما يشركون.

والطائفة الثانية: الجبرية، وهؤلاء غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل؛ بل هو كالريشة في مهب الرياح، وإنما تسند الأفعال إليه مجازًا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون.

فالقدرية المعتزلة زعموا: أن الله شاء الإيمان من الكافر، ولكن الكافر شاء الكفر، وإنما فروا إلى هذا لئلا يقولوا: شاء الكفر من الكافر وعذبه عليه! ولكن صاروا كالمستجير من الرمضاء بالنار! فإنهم هربوا من شيء فوقعوا فيما هو شر منه! فإنه يلزمهم أن مشيئة الكافر غلبت مشيئة الله تعالى، فإن الله قد شاء الإيمان منه -على قولهم- والكافر شاء الكفر، فوقعت مشيئة الكافر دون مشيئة الله تعالى!! وهذا من أقبح الاعتقاد، وهو قول لا دليل عليه، بل هو مخالف للدليل، وعن محمد بن عبيد المكي، عن ابن عباس قال: قيل لابن عباس: إن رجلًا قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلوني عليه، وهو يومئذ أعمى، فقالوا له: ما تصنع به؟ فقال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته بيدي لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كأني بنساء بني فهم يطفن بالخزرج، تصطك ألياتهن مشركات»**، وهذا أول شرك في الإسلام، والذي نفسي بيده لا ينتهي بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يقدر الخير،

كما أخرجوه من أن يقدر الشر[1].

وقوله: وهذا أول شرك في الإسلام. إلى آخره، من كلام ابن عباس. وهذا يوافق قوله المتقدم: القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده.

والقدرية من أضل الناس في التوحيد فعن عمر بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة، وصحبنا فيها قدري ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أسلم، قال المجوسي: حتى يريد الله، فقال القدري: إن الله يريد، ولكن الشيطان لا يريد! قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان، فكان ما أراد الشيطان! هذا شيطان قوي! وفي رواية أنه قال: فأنا مع أقواهما!

ووقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد، فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت، فادعوا الله أن يردها عليّ، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقتْ، فارددها عليه! فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك! قال: ولم؟ قال: أخاف -كما أراد أن لا تسرق فسرقت- أن يريد ردها فلا ترد!.

ومن الأدلة من الكتاب والسنة على عموم مشيئة الله: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [السجدة:١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير:٢٩]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان:٣٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٣٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

---

(١) رواه أحمد (٣٠٥٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٩)، واللالكائي ، وفي سنده ضعف، وانظر شرح الطحاوية بتخريج الأرنؤوط (ص:٣٢٢)، وبتخريج الألباني (ص:٢٥٠).

يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

منشأ ضلال الناس في القدر:

اعلم أن منشأ الضلال كان من التسوية بين المشيئة والإرادة الكونية التي بمعنى المشيئة، وبين الإرادة الشرعية التي بمعنى المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا:

فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوبًا مرضيًا، فجعلوا كل مقدر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مرضيًا عنده محبوبًا له.

وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه. فجعلوا كل مكروه لله خارجًا عن تقديره ومشيئته؛ لأنهم جعلوا الإرادة مطلقًا والمشيئةَ شيئًا واحدًا، فما نُفِيَ مما لم يُرِدْهُ الله جَلَّجَلَالُهُ شرعًا، جعلوه مَنْفِيًّا كونًا! فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يرد الكفر، كما قال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، فجعلوه جَلَّجَلَالُهُ لم يشأ الكفر مطلقًا؛ لأنَّ الإرادة عندهم قسم واحد، وهو عَزَّوَجَلَّ لم يرد المعصية، فجعلوه لم يشأ المعصية.

ولم يفرقوا بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية! والإرادة كما ذكرنا منها إرادة شرعية ومنها إرادة كونية، والإرادة الكونية هي المشيئة، وأما الإرادة الشرعية فهي التي تدخل فيها صفة المحبة والرضا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. وأما المشيئة فإنها نوع واحد كوني قدري فقط، وليس هناك مشيئة شرعية.

الفرق بين المشيئة والإرادة الشرعية:

وقد دل على الفرق بين المشيئة والإرادة الشرعية التي بمعنى المحبة الكتاب والسنة والفطرة الصحيحة. أما نصوص المشيئة والإرادة من الكتاب، فقد تقدم ذكر بعضها.

وأما نصوص المحبة والرضا، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥]، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧]، وقال تعالى عقيب ما نهى عنه من الشرك والظلم والفواحش والكبر: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء:٣٨]، وفي (الصحيح) عن المغيرة عن النبي ﷺ: **«إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»**[1]، وفي (المسند): **«إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يكره أن تؤتى معصيته»**[2].

فإن قيل[3]: كيف يريد الله أمرًا ولا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يشاؤه ويكوِّنه، وهو لا يحبه ولا يرضاه؟ وكيف يجتمع إرادته له وبغضه وكراهته؟

قيل في الجواب: هذا السؤال والإشكال هو الذي افترق الناس لأجله فرقًا، وتباينت طرقهم وأقوالهم.

فاعلم أن المراد نوعان: مراد لنفسه، ومراد لغيره.

فالمراد لنفسه، مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد.

والمراد لغيره، قد لا يكون مقصودًا لما يريد، ولا فيه مصلحة له بالنظر إلى ذاته، وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده، فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته، مراد له من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده، كالدواء المرِّ الكريه، فإنه مراد لغيره، وهو الشفاء، مع أنه مكروه لذاته لمرارته، والاستشفاء الكي بالنار أو بالشرط والفصد، فيجتمع فيه الأمران: بغضه لذاته، وإرادته لغيره، وهو الشفاء. ولا تنافي بينهما لاختلاف متعلقهما. فالدواء الكريه، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه، قبله ورضي به، وكذا قطع العضو

---

(١) رواه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).

(٢) رواه أحمد (٥٨٦٦، ٥٨٧٣) عن ابن عمر مرفوعا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بسند حسن.

(٣) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ٣٢٨) ط. الرسالة العاشرة.

المتآكل، إذا علم أن في قطعه بقاء جسده، وكذا قطع المسافة الشاقة، إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه، كان ذلك محبوبًا.

بل العاقل يكتفي في إيثار هذا المكروه وإرادته بالظن الغالب، وإن خفيت عنه عاقبته، فكيف ممن لا يخفى عليه خافية سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؟

فهو سبحانه يكره الشيء، ولا ينافي ذلك إرادته لأجل غيره، وكونه سببا إلى أمر هو أحب إليه من فوته.

من ذلك: أنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ خلق إبليس، الذي هو مادة لفساد الأديان والأعمال والاعتقادات والإرادات، وهو سبب لشقاوة كثير من العباد، وعملهم بما يغضب الرب سبحانه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فيظهر آثار علمه السابق بأهل الشقاوة من أهل السعادة، ومع هذا فوجوده وسيلة إلى محاب كثيرة للرب تعالى ترتبت على خلقه، ووجودها أحب إليه من عدمها.

▪ منها: أنه تظهر للعباد قدرة الرب تعالى على خلق المتضادات المتقابلات، فخلق هذه الذات، التي هي أخبث الذوات وشرها، وهي سبب كل شر، في مقابلة ذات جبريل، التي هي من أشرف الذوات وأطهرها وأزكاها، فتبارك خالق هذا وهذا. كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والداء والدواء، والحياة والموت، والحسن والقبيح، والخير والشر. وذلك دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فإنه خلق هذه المتضادات، وقابل بعضها ببعض، وجعلها محال تصرفه وتدبيره. فخلو الوجود عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته.

▪ ومنها: ظهور آثار أسمائه القهرية، مثل: القهار، والمنتقم، والعدل، والضار، والشديد العقاب، والسريع الحساب، وذي البطش الشديد، والخافض، والمذل. فإن هذه

الأسماء والأفعال كمال، لا بد من وجود متعلقها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء.

▪ ومنها: ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وستره وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا بقوله: «**والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم**»[(١)].

▪ ومنها: ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة، فإنه الحكيم الخبير، الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها اللائقة بها، فلا يضع الشيء في غير موضعه، ولا ينزله غير منزلته التي يقتضيها كمال علمه وحكمته وخبرته. فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك. فلو قدر عدم الأسباب المكروهة، لتعطلت حكم كثيرة، ولفاتت مصالح عديدة، ولو عطلت تلك الأسباب لما فيها من الشر، لتعطل الخير الذي هو أعظم من الشر الذي في تلك الأسباب، وهذا كالشمس والمطر والرياح، التي فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر.

▪ ومنها: حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، فإن عبودية الجهاد من أحب أنواع العبودية إليه سبحانه. ولو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من الموالاة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والمعاداة فيه، وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعبودية الصبر ومخالفة الهوى وإيثار محاب الله تعالى، وعبودية التوبة والاستغفار، وعبودية الاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ويعصمه من كيده وأذاه. إلى غير ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن إدراكها.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤)

أفضل الصحابة

وخير هذه الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ السَّلَامُ: أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها العلماء في الأمصار: (**خيرُ هذه الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ السَّلَامُ: أبو بكر الصديق**)، واسمه عبد الله بن عثمان القرشي التيمي، (ثم) بعده أبو حفص الفاروق (**عمر بن الخطاب**) بن نفيل القرشي العدوي، (ثم) بعده أبو عبدالله ذو النورين (**عثمان بن عفان**) بن أبي العاص بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، (ثم) الرابع أبو السبطين الحسن والحسين (**علي**) بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي (**عليهم**) جميعًا من الله (**السلام**) وهذا التفضيل والترتيب مما أجمع عليه السلف من الصحابة فمن بعدهم إلا شيئًا قليلًا يحكى عن بعض تبع الأتباع من تقديم علي على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ثم رجع عن قوله فاستقر الإجماع على التثليث بعثمان والتربيع بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد ورد أن ذلك الفضل كان مشهورًا بين الصحابة في عهد النبي ﷺ وأصحابه، كما في حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كُنَّا نُخَيِّرُ بين الناس في زمانِ رسولِ الله ﷺ، نُخيِّرُ أبا بكر، ثم عمرَ، ثم عثمانَ، أخرجه البخاري، وله في رواية قال: كُنَّا زمنَ النبي ﷺ لا نَعْدِلُ بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نتركُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، لا نُفاضل بينهم»، ولأبي داود «كنا نقولُ ورسولُ الله ﷺ حَيّ: أَفْضَلَ أُمَّةِ النبيِّ ﷺ بعدَهُ: أبو بكر، ثم عمرُ، ثم عثمان»، وفي رواية الترمذي «كنا نقـول ورسـولُ الله ﷺ حـي:

أبو بكر، وعمرُ، وعثمانُ»(١).

وروى عبد الله بن أحمد في (السنة) عن نافع عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كنا نقول على عهد النبي ﷺ: أبو بكر وعمر وعثمان ويبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره علينا. وله: عن نافع عن ابن عمر كنا نفضل على عهد رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعثمان ثم لا نفضل أحدًا على أحد. وله عن أبي هريرة قال كنا نعد وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر(٢).

وعن محمد بن علي بن أبي طالب رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قلتُ لأبي: أيُّ الناس خَيْر بعد رسولِ الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلتُ: ثُمَّ مَن؟ قال: عمر، وخشيتُ أن أقول: ثم مَن؟ فيقول: عثمان، قلتُ: ثم أنتَ؟ قال: ما أنا إلا رَجُل من المسلمين»(٣).

قال شيخ الإسلام في (الواسطية) في ذكر عقيدة أهل السنة التي أجمعوا عليها: ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر. ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة. مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا -بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر- أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان: وسكتوا، أو ربّعوا بعلي، وقدم قوم عليًّا، وقوم توقفوا؛ لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان، ثم علي. وإن كانت هذه المسألة -مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة. لكن التي يضلل فيها: مسألة

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٤)، وأبو داود (٤٦٢٧، ٤٦٢٨)، والترمذي (٣٧٠٧) وانظر: فتح الباري في شرح هذا الحديث (٧/ ١٤، ١٥).

(٢) السنة (٢/ ٥٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٢٦) وأبو داود (٤٦٢٩).

الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي. ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء؛ فهو أضل من حمار أهله. اهـ

وقد ورد أن عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ذلك على منبر الكوفة، وسمعه منه الجم الغفير؛ وكان يقول: ما مات رسول الله ﷺ حتى علمنا أن أفضلنا بعده أبو بكر، وما مات أبو بكر حتى علمنا أن أفضلنا بعده عمر(١)، وصح عنه أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، ولو شئت أن أسمي لكم الثالث لفعلت(٢). وفي (صحيح البخاري) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم(٣).

فمذهب جمهور أهل السنة أن ترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل على حسب ترتيبهم في الخلافة، وهم لهذا يفضلون عثمان على علي، محتجين بتقديم الصحابة عثمان في البيعة على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقد انعقد الإجماع على هذا بعد خلاف كان في الصدر الأول في المفاضلة بين عثمان وعلي، أو التوقف بينهما دون تفضيل، زال ذلك الخلاف واستقر الإجماع على تقديم عثمان على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وعلى كل حال؛ فمسألة التفضيل ليست -كما قال ابن تيمية- من مسائل الأصول التي يضلل فيها المخالف، وإنما هي مسألة فرعية يتسع لها الخلاف.

وأما مسألة الخلافة؛ فيجب الاعتقاد بأن خلافة عثمان كانت صحيحة؛ لأنها كانت بمشورة من الستة، الذين عينهم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليختاروا الخليفة من بعده، وبإجماع الصحابة كلهم، فمن زعم أن خلافة عثمان كانت باطلة، وأن عليًا كان أحق بالخلافة منه؛

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٧٠)، وقال الألباني: إسناده ضعيف. اهـ

(٢) رواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٧٠) بسند صحيح.

(٣) انظر: تخريج فضائل الصحابة (١/ ٧٦) للإمام أحمد بن حنبل.

فهـو مبتدع ضال؛ مع ما في قـوله من إزراء بالمهاجرين والأنصـار وكلهم.

مناقب أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وأبو بكر الصديق هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي، يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، وهو أول من آمن برسول الله ﷺ مطلقًا -وعلى الأصح: بعد خديجة- أو من الرجال البالغين، وهو صاحب النبي ﷺ في الهجرة، ونائبه في الصلاة والحج، وخليفته في أمته، أسلم على يديه خمسة من المبشرين بالجنة عثمان، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وكلهم في صحيفته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ عن٦٣ سنة وهؤلاء الخمسة مع أبي بكر، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، هم الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام من الذكور، قاله ابن إسحاق.

ومناقبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا تحصى، ومزاياه ومآثره لا تستقصى، وهو أفضل الصحابة وخيرهم بإجماع أهل السنة، حكاه غير واحد منهم الرازيون هنا، والشافعي، والبيهقي، وابن أبي زمنين، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والسفاريني وغيرهم[(١)]، قال السفاريني: أجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة والناس بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم سائر العشرة، ثم باقي أهل بدر، ثم باقي أهل أحد، ثم باقي أهل بيعة الرضوان، ثم باقي الصحابة، هكذا إجماع أهل الحق، فأبو بكر الصديق أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ لا ينازع في ذلك إلا زائغ، وقد أخرج الإمام أحمد وغيره من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، وعمر[(٢)]. قال الحافظ الذهبي: هذا متواتر عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلعن الله

(١) انظر: أصول السنة، لابن أبي زمنين (ص:٢٧٠)، والاعتقاد، للبيهقي (ص:٣٦٩)، والنبوات، لابن تيمية (ص:٥٧٤) ولوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٣١٢).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١١٣، ١١٠، ١١٥) بإسناد صحيح.

الرافضة ما أجهلهم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى المصرية)[1]: قد نقل عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من نحو ثمانين وجهًا: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وذكر نحو ذلك لابن الحنفية -كما في البخاري- والرافضة تكذبه فهم مع علي كالنصارى مع المسيح، واليهود مع موسى عليهما السلام[2]. اهـ

سبب تسميته بالصديق:

قال السفاريني: وأخرج الحاكم عن النزال بن سبرة قال: قلنا لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن أبي بكر، فقال: ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل، وعلى لسان محمد ﷺ، كان خليفة رسول الله ﷺ، رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا. إسناده جيد[3].

وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي تحيا قال: لا أحصي كم سمعت عليًّا يقول على المنبر: إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صديقًا[4]. وأخرجه الطبراني[5] بسند صحيح عن حكيم بن سعد قال: سمعت عليًّا يحلف بالله لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق. وقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٣٣] هو أبو بكر، فأخرج البزار وابن عساكر أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال في تفسيرها: إن الذي جاء بالحق هو محمد، والذي صدق به هو أبو بكر[6].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٠٧).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣١٢).

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٦٢) والآجري في الشريعة (١١٧١، ١٧٧٦)، وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (١/ ٢٠١): إسْنَاده جيد.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (ج١/ ح١٤)، والحاكم (٣/ ٦٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٤١) وابن حجر في الفتح (٧/ ١١): رجاله ثقات.

(٥) المعجم الكبير (ج١/ ح١٤).

(٦) أخرجه البزار (٩٢٨)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٠/ ٤٣٨-٤٤٠)، وسنده ضعيف جدا.

قال ابن عساكر: هكذا الرواية بالحق، ولعلها قراءة لعلي. انتهى[(١)].

وقيل: إنه إنما سمي صديقًا، لأنه أول من صدّق بناء على أنه أول من آمن، ولهذا قال أبو محجن الثقفي فيه:

وسميت صديقًا وكل مهاجرٍ ... سواكَ يُسَمَّى باسمِه غيرَ منكَرِ

سبقت إلى الإسلام والله شاهدٌ ... وكنت جليسًا في العريش المشهَّرِ

وأول ما اشتهر أبو بكر بهذا الاسم صبيحة ليلة الإسراء، فقد أخرج الحاكم في (المستدرك) عن أم المؤمنين عائشة الصديقة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: جاء المشركون إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قالَ ذلك؟ قالوا: نعم. قال: لقد صدق، إني لأصدقه بأبعد من ذلك، بخبر السماء غدوة وروحة، ولذلك سمي أبو بكرٍ الصديقَ. إسناده جيد[(٢)]، وقد ورد ذلك من حديث أنس بن مالك وأبي هريرة عند ابن عساكر، ومن حديث أم هانئ أخرجه الطبراني. وأخرج سعيد بن منصور في سننه ثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال: لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به فكان بذي طوى قال: «**يا جبريل إن قومي لا يصدقوني، قال: يصدقك أبو بكر، وهو الصديق**»[(٣)]. وأخرجه الطبراني في الأوسط موصولا عن أبي وهب عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)]، وقد أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد، والطبراني في الكبير[(٥)] عن الشعبي قال: سألت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أي الناس كان أول إسلاما؟ قال:

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٢).

(٢) رواه الحاكم (٣/ ٦٢-٦٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٣) إسناد مرسل ضعيف، ورواه الفاكهي في إخبار مكة (٢٥٣٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧١٤٨، ٧١٧٣) وأبو وهب مجهول.

(٥) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص:١٣٩) وزوائد فضائل الصحابة (١١٩)، والطبراني في الكبير (١٢٥٦٢)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٢) بأسانيد ضعيفة

أبو بكر الصديق، ألم تسمع قول حسان[1]:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال: سألت ميمون بن مهران قلت: علي أفضل أم أبو بكر وعمر؟ قال: فارتعد حتى سقطت عصاه من يده، ثم قال: ما كنت أظن أني أبقى إلى زمان يعدل بهما، لله درهما، كانا رأس الإسلام. قلت: فأبو بكر كان أول إسلاما أم علي؟ قال: والله لقد آمن أبو بكر بالنبي ﷺ زمن بحيرا الراهب حين مر به، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه، وذلك كله قبل أن يولد علي[2].

وأخرج ابن إسحاق عن أبي ميسرة أن رسول الله ﷺ كان إذا برز سمع من يناديه: يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هاربًا، فأسرَّ ذلك إلى أبي بكر، وكان صديقًا له في الجاهلية[3]. وفي صحيح البخاري عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هل أنتم تاركون لي صاحبي، إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا، فقلتم: كذبت، وقال: أبو بكر صدقت**»[4].

قال الحافظ الذهبي وغيره من حفاظ الإسلام، وأئمتِهم: صحب أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النبي ﷺ إلى أن توفي، لم يفارقه سفرًا ولا حضرًا إلا فيما أذن له ﷺ في الخروج فيه من حج أو غزو، وشهد معه المشاهد كلها، وهاجر معه، وترك عياله وأولاده، رغبة في رسول الله

(١) ديوان حسان بن ثابت (ص:١٧٤).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ ٩٣)، والخلال في السنة (٥٢٩).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٤٠٤)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٦٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٦٤٠).

ﷺ وهو رفيقه في الغار قال تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة:٤٠]، وأنفق ماله على رسول الله ﷺ، وهو أجود الصحابة قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ [الليل:١٧-١٨] إلى آخر السورة، قال الحافظ ابن الجوزي: أجمعوا أنها نزلت في حق أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر الصديق»**، فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله[٢]. وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعا مثله[٣]. قال الحافظ ابن كثير: رويناه أيضًا من حديث علي وابن عباس وأنس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلًا، وزاد: وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه[٤]. وقد أخرج ابن عساكر[٥] من طرق عن عائشة وعروة بن الزبير أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسلم يوم أسلم، وله أربعون ألف دينار، فأنفقها على رسول الله ﷺ. وأخرج ابن سعد عن الزهري قال: قال رسول الله ﷺ لحسان بن ثابت: **«هل قلت في أبي بكر شيئًا؟»** قال: نعم. قال: قل وأنا أسمع، فقال:

وثـاني اثنـين في الغـار المنيـف وقـد ... طـاف العـدوُّ بـه إذ صـعد الجـبلا

وكـان حِـبَّ رسـول الله قـد علمـوا ... مـن البريـة لـم يعـدل بـه رجـلا

---

(١) انظر زاد المسير (٩/ ١٥٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٣، ٣٦٦)، وابن ماجه (٩٤)، والترمذي (٣٦٦١) وحسنه، وصححه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١٣).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٤٤١٨)، وعبد الله بن أحمد في زوائد الفضائل (٢٨)، والدارقطني في العلل (١٢/ ١١٦-١١٧)، وصححه.

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٣/ ٣٥٨)، وأحمد في فضائل الصحابة (٣٥)، بسند مرسل صحيح.

(٥) تاريخ دمشق (٣٠/ ٦٦-٦٨).

فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**صدقت يا حسان هو كما قلت**»[1]، وقد أجمع المسلمون أن المراد بقوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة:٤٠]، أن الصاحب المذكور هو أبو بكر[2]. وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي**»[3]. قال الحافظ أبو حفص بن شاهين: تفرد أبو بكر بهذه الفضيلة، لم يشركه فيها أحد. اهـ[4]

ومما جاء في فضله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذاتِ السَّلاسِل، قال: فأتيتُه فقلتُ: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشةُ**»، فقلتُ: مِنَ الرجال؟ فقال: «**أبوها**»، قلتُ: ثم مَنْ؟ قال: «**عُمرُ بنُ الخطاب**»، فعدَّ رجالًا، زاد في رواية: قال: فسكتُّ مخافةَ أن يجعلَني في آخرهم، أخرجه البخاري ومسلم[5].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَطَب النبيُّ ﷺ، وقال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ خَيَّرَ عبدًا بين الدنيا، وبين ما عندَه، فاختار ذلك العبدُ ما عندَه**»، قال: فبكى أبو بكر، فَعَجِبْنَا لبكائه أن يُخبِر رسولُ الله ﷺ عن عبد خُيِّرَ، فكان رسولُ الله ﷺ هو المُخَيَّرَ،

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٧٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٤، ٧٧، ٧٨)، بسند ضعيف.

(٢) لوامع الأنوار، للسفاريني (٢/ ٣١٧) ط. المكتب الإسلامي. وانظر: تفسير البغوي (٤/ ٤٩)، والشوكاني (٢/ ٥١٧)، والصواعق المحرقة، للهيتمي (١/ ١٩٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٦٥٢)، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائد فضائل الصحابة (٢٥٨)، وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة (٩٦)، وأبو نعيم في فضائل الخلفاء الراشدين (٣٠)، والطبراني في الأوسط (٢٥٩٤) والحاكم (٣/ ٧٣)، وقال: صحيح على شرط الشيخين! ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في الضعيفة (١٧٤٥).

(٤) شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص:١٣٣).

(٥) رواه البخاري (٧/ ١٩)، ومسلم (٢٣٨٤).

وكان أبو بكر هو أعلمنا، وقال رسولُ الله ﷺ: «**إن مِن أَمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنتُ مُتخذًا خليلًا غير ربي لاتخذتُ أبا بكر خليلًا، ولكن أُخُوَّة الإسلام ومودَّته، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ، إلا بابَ أبي بكر**» أخرجه البخاري ومسلم[1].

وقوله: «**مِن أمَنّ الناس عليَّ**» أي: أسمح بماله وأبذل له، ولم يُرِدْ به معنى الامتنان، لأن المنّة تُفسِدُ الصّنيعة، ولا مِنَّة لأحدٍ على رسول الله ﷺ؛ بل له المِنّة على الأمة قاطبة.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن عمرَ بنَ الخطاب قال: أبو بكر سيِّدُنا، وخيرُنا، وأَحبُّنا إلى رسول الله ﷺ[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما لأحد عندنا يَد إلا وقد كافأْناه، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يُكافئُه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحد قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكر، ولو كنتُ مُتَّخِذًا خليلًا من الناس لاتَّخَذْتُ أبا بكر خليلًا، ألا وإنَّ صاحبكم خليلُ الله**»[3].

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ جالسًا عند النبيِّ ﷺ إذْ أَقْبَل أبو بكر آخذًا بطرف ثوبه، حتى أبْدَى عن ركبته، فقال النبيُّ ﷺ: «**أمَّا صاحبُكم فقد غامر[4]**»، فسلّم، فقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء!، فأسرعتُ إليه، ثمَّ نَدِمْتُ فسألته أن يغفر لي، فأبى عليَّ!، فأقبلتُ إليك، فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**»، -ثلاثًا- ثمَّ إنَّ عمر نَدِمَ، فأتى منزل أبي بكر، فقال: أَثَمَّ أبو بكر؟ قالوا: لا، فأتى النبيَّ ﷺ، فجعل وَجْهُ

---

(١) رواه البخاري (٧/ ١٠-١١)، ومسلم رقم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٥٧)، وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب. وأخرجه البخاري (٥/ ٧) والترمذي (٣٦٥٦) بنحوه.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو كما قال، فإنه حسن بشواهده، وقد ذكره الحافظ في (الفتح) وسكت عليه.

(٤) (غامر) أي: خاصم.

النبيّ ﷺ يَتَمَعَّر[١]، حتى أَشْفَق أبو بكر، فجَثا على ركبتيه، وقال: يا رسول الله، وَالله أنا كنتُ أَظلم -مرتين- فقال رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ الله بعثني إليكم، فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقَ، ووَاسَاني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لي صاحبي؟»** -مرتين- فما أُوذِيَ بعدها. وفي أخرى: فقال النبيُّ ﷺ: **«هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ إني قلتُ: يا أيُّها الناس إني رسولُ الله إليكم جميعًا، فقلتم: كَذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ»** أخرجه البخاري[٢].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن رسولَ الله ﷺ قال لأبي بكر: **«أنتَ صاحبي على الحَوْض، وصاحبي في الغار»**[٣].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذُكِرَ عنده أبو بكر، فبكى، وقال: وَدِدْتُ أن عملي كلَّه مثلُ عمله يومًا واحدًا من أيامه، وليلة واحدة من لياليه، أما ليلتُه، فالليلةُ التي سار مع النبيِّ ﷺ إلى الغار فلما انتهيا إليه قال: والله لا تدخلَه حتى أدخله قبلكَ، فإن كان فيه شيء أصابني دُونَكَ، فدخل فكَسَحَه[٤]، فوجد في جانبه ثُقبًا، فَشَقَّ إزاره، وسدَّها به، فبقي منها اثنان، فألْقَمُهما رِجْليه، ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل، فدخل النبي ﷺ، وَوَضع رأسه في حَجْرِهِ ونام، فلُدِغَ أبو بكر في رِجْله من الجُحر، ولم يتحرَّكْ مخافةَ أن ينتبه النبيُّ ﷺ، فسقطت دُمُوعُه على وجه النبيِّ ﷺ، فقال: **«ما لك يا أبا بكر؟»** قال: لُدِغتُ، فِداكَ أَبي وأُمّي فتفل عليه النبيُّ ﷺ، فذهب ما يجده، ثم انتقض عليه، وكان سببَ موته، وَأما يومُه، فلما قُبض النبيُّ ﷺ ارتدت العرب، وقالوا: لا نُؤَدِّي زكاة،

---

(١) (التمعُّر): تغيُّر اللون من الغضب.

(٢) رواه البخاري (٧/ ١٧، ١٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٧١)، وفي سنده كثير بن إسماعيل النواء وهو ضعيف، ولبعضه شواهد، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) (الكسح): الكنس والمِكْسحة: المِكنسة.

فقال: لو منعوني عِقالًا لجاهدتُهم عليه، فقلتُ: يا خليفةَ رسولِ الله، تألَّفِ الناسَ، وارْفُقْ بهم، فقال لي: أجَبَّار في الجاهلية وخَوَّار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحيُ، وتَمَّ الدِّينُ، أَيَنْقُصُ وأنا حَيّ؟[1].

مناقب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

والحكم بأفضلية عمر الفاروق بعد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثابت بالنص والإجماع[2].

وعمر هو أبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن رِياح -بكسر الراء وبالياء التحتية فحاء مهملة- ابن عبد الله بن قُرط -بضم القاف وسكون الراء فطاء مهملة- ابن رَزَاح -بفتح الراء والزاي فحاء مهملة بعد الألف- ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، كنيته أبو حفص، كناه بذلك رسول الله ﷺ يوم بدر، لما نهى عن قتل رجال بني هاشم، فإنهم إنما خرجوا مكرهين، فقال أبو حذيفة: والله لئن لقيت العباس لألجمنه السيف، فبلغ النبي ﷺ ذلك فقال: «**يا أبا حفص يضرب وجه عم النبي ﷺ بالسيف!**» فقال: والله إنه لأول يوم كناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص[3]، والحفص في اللغة ولد الأسد[4].

وسبب تلقيبه بالفاروق، ما رواه الحافظ ابن الجوزي في (سيرة العمرين) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قال: سألت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأي شيء سميت بالفاروق؟ فذكر حديث

---

(١) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول من زيادات رزين وذكره المحب الطبري في كتاب (الرياض النضرة في مناقب العشرة) وقال: خرجه النسائي.

(٢) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٢٢).

(٣) رواه الحاكم (٣/ ٢٢٣)، وابن الجوزي في مناقب عمر بن الخطاب (ص:١٦)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٤) القاموس المحيط (ص:٧٩٤).

إسلامه، فقلت: يا رسول الله ألسنا على الحق؟ قال: «بلى»، قلت: ففيم الاختفاء؟ فخرجنا صفين أنا في أحدهما، وحمزة في الآخر، حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إلى حمزة، فأصابتهم كآبة شديدة، فسماني رسول الله ﷺ الفاروق يومئذ، وفرق بين الحق والباطل[١].

وأخرج ابن سعد عن ذكوان قال: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: من سمى عمر الفاروق؟ قالت: النبي ﷺ[٢].

وأخرج ابن ماجه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أسلم عمر نزل جبريل، فقال: يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم اليوم منا. وأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤][٣].

وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[٤].

وأخرج ابن سعد عنه أيضا قال: كان إسلام عمر فتحًا، وكانت هجرته نصرًا، وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصل إلى البيت حتى أسلم عمر، قاتلهم حتى تركوا سبيلنا[٥].

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١/ ٤٠) والدلائل (١/ ٢٤١-٢٤٣)، وابن عساكر في تاريخه (٤٤/ ٢٩-٣١) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٢٠٥).

(٣) أخرجه البزار (٢٤٩٥ كشف)، وعبد الله بن أحمد في زوائد الفضائل (٣٠٨)، والحاكم (٣/ ٨٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٨٤).

(٥) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٨٥)، وأبو نعيم في الإمامة (ص:٢٨٤).

وقال حذيفة: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل المقبل لا يزداد إلا قوة، ولما قتل كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدا. وكان إسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في السنة السادسة من البعثة، وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة، وكان إسلامه بعد تسعة وثلاثين رجلا أو أربعين أو خمسة وأربعين وإحدى عشرة امرأة، ففرح المسلمون بإسلامه، وظهر الإسلام بمكة عقب إسلامه.

واستخلفه أبو بكر على الأمة بولاية عهد، فقام بأعباء الخلافة خير قيام إلى أن قتل شهيدًا في ذي الحجة سنة ٢٣هـ عن٦٣ سنة.

وقد وردت الأحاديث الكثيرة، والأخبار الشهيرة بفضائله، ومما صح من فضائله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى جعل الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ**»، وقال ابن عمر: «ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر»(١).

وعن أبي ذر الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله وضع الحق على لسان عمر، يقول به**»(٢).

وعن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لو كان بعدي نبيّ لكان عمرَ بن الخطاب**»(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لقد كان فيمن كان قبلكم من**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٨٣)، وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، قال: وفي الباب عن الفضل ابن عباس، وأبي ذر، وأبي هريرة.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٤٥، ١٦٥، ١٧٧) وأبو داود (٢٩٦٢) وابن ماجه (١٠٨)، وهو حديث حسن، يشهد له حديث ابن عمر الذي قبله.

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، والترمذي (٣٦٨٦، ٣٦٨٧)، وابن حبان، والطبراني في الأوسط، والحاكم (٣/ ٨٥) وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو كما قال.

الأمم ناس مُحَدَّثون من غير أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكن في أُمَّتي أحد فإنَّه عمرُ»، أخرجه البخاري[(١)].

وأراد بقوله: محدَّثون: أقوامًا يصيبون إذا ظنوا وحدَسُوا، فكأنهم قد حُدِّثوا بما قالوا، وقد جاء في الحديث تفسيره: عن ابن وهب: تفسير «محدَّثون»: ملهَمون. وقال ابن عيينة: أي مُفهّمون. والملهَم: الذي يُلقَى في نفسه الشيء، فيخبِر به حَدْسًا وظَنًّا وفِراسَة، وهو نوع يختص الله به من يشاء من عباده الذين اصطفى، مثل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عمر قال: وافقتُ ربي في ثلاث، قلتُ: يا رسولَ الله، لو اتَّخَذْنا من مقام إبراهيم مُصلى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة:١٢٥]، وقلتُ: يا رسولَ الله: يدخل على نسائِكَ البَرُّ والفاجر، فلو أمرتَهنَّ أن يحتجِبْنَ؟ فنزلتْ آيةُ الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغَيرة، فقلتُ: «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيرًا مِنكُنَّ»[(٢)]، فنزلت كذلك»، أخرجه البخاري ومسلم[(٣)].

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إني لواقف في قوم يَدْعُون الله لعمر، وقد وُضِع عمرُ على سريره، فتكنَّفه[(٤)] الناس يَدْعُون ويصلُّون قبل أن يُرْفَعَ، وأنا فيهم، فلم يَرُعْني[(٥)] إلا رجل آخذ بمنكبي، وفي رواية: إذا رجل خلفي قد وَضَع مِرْفَقَه على مَنْكِبِي، فإذا عليّ، فترَّحم على عمر، وقال: ما خلَّفت أحدًا أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منكَ، وايْمُ الله، إن كنتُ لأظنُّ أن يجعلك الله مع صاحِبيك، لأني كنتُ كثيرًا

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٩).

(٢) التحريم: ٥.

(٣) رواه البخاري (١/ ٤٢٣)ومسلم (٢٣٩٩).

(٤) (فتكنَّفه) تكنفّت فلانًا: إذا أحطت به وصرت حوله.

(٥) (لم يَرُعْني) إلا وفلان قائم: أي لم أشعر، والرَّوْع: الفزَع، فكأنه فاجأه بغتة من غير مَوعِد ولا معرفة، فراعَهُ ذلك وأفزعه.

أسمعُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**»، فإن كنتُ لأرجو-أو لأظنَّ- أن يجعلَكَ الله معهما، أخرجه البخاري ومسلم[١].

وللبخاري عن المسور بن مخرمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما طُعِنَ عمر جعل يألَمُ، فقال له ابنُ عباس وكأنه يُجزِّعه[٢]: يا أمير المؤمنين، ولا كلَّ ذلك، لقد صَحبتَ رسولَ الله ﷺ، فأحسنتَ صحبتَهُ، ثم فارقك وهو عنك رَاض، ثم صحبتَ أبا بكر، فأحسنتَ صحبته، ثم فارقك وهو عنك رَاض، ثم صحبتَ المسلمين، فأحسنتَ صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون، قال: أمَّا ما ذكرتَ من صُحْبة رسولِ الله ﷺ ورِضاه فإنما ذلك مَنٌّ مَنَّ الله به عليَّ، وأما مَا ذكرتَ من صحبةِ أبي بكر ورضاه، فإنما ذلك مَنٌّ مَنَّ الله به عليَّ، وأما ما ذكرتَ من جَزَعي، فهو من أجلك ومن أجل أصحابك، والله لو أن لي طِلاع[٣] الأرض ذهبًا لافتديتُ به من عذاب الله قبل أن أراه[٤].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: ما زلنا أعِزَّة منذ أسلم عمر. أخرجه البخاري[٥].

ولمسلم عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رأيتُني دَخلْتُ الجنةَ، ورأَيتُ قصرًا بفِنائه جاريـة، فقلتُ: لمن هـذا؟ فقيل: لعمـر، فأردتُ أن أدخلَهُ،**

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٣٣)ومسلم (٢٣٨٩).

(٢) أي يظن أنه جزع، يقال: جَزَّعَتُ الرجل: أي نَسَبْتُه إلى الجزع، ويجوز أن يكون: أذهبْتُ عنه الجزع بما تسلِّيه.

(٣) (طِلاعُ الأرض): مِلؤها كأنه قد مَلأها حتى تطلع وتَسيل.

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٤٢-٤٣).

(٥) رواه البخاري (٧/ ٣٨) وقال الحافظ في (الفتح): وروى ابن شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن قال: قال عبد الله بن مسعود: كان إسلام عمر عزًا، وهجرته نصرًا، وإمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر.

فذكرتُ غَيْرَتَكَ»، فقال عمرُ: بأبي أنتَ وأُمِّي يا رسولَ الله، أعليك أغار؟[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيتُ الناس يُعْرَضون وعليهم قُمُص، فمنها ما يبلغ الثُّدِيَ، ومنها ما يَبْلُغُ دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ ابنُ الخطاب وعليه قميص يجترُّه»، قالوا: فما أوَّلته يا رسولَ الله؟ قال: «الدِّين» أخرجه البخاري ومسلم[(٢)].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم أُوتيتُ بقَدَح لبن، فشربتُ منه، حتى إني لأَرى الرِّيَّ يخرج من أظفاري، ثم أعْطَيْتُ فَضْلي عمرَ بنَ الخطاب»، قال مَنْ حولَه: فما أوَّلتَ ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «العِلْمُ» متفق عليه[(٣)].

وعن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج رسولُ الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انْصرَفَ جاءتْ جُوَيْرِية سَوْداءُ، فقالت: إني كنتُ نَذَرْتُ إنْ رَدَّكَ الله سالِمًا أنْ أضرِبَ بين يديك بالدُّفِّ وأَتَغَنَّى، فقال لها: إن كنتِ نذرتِ فاضربي، وإلا فلا، فقالت: نذرتُ، وجعلت تضرب. فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليٌّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر، فألْقَتِ الدُّفَّ تحتَ اسْتِها وقعدتْ عليه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان لَيَخافُ منكَ يا عمر، إني كنتُ جالسًا وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عليٌّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلتَ أنتَ يا عمرُ ألْقَتِ الدُّفَّ وجلستْ عليه»، أخرجه الترمذي[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٤).

(٢) رواه البخاري (١/ ٦٩)، ومسلم (٢٣٩٠).

(٣) رواه البخاري (٧/ ٣٦)، ومسلم (٢٣٩٠).

(٤) رواه الترمذي (٣٦٩١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قطُّ سالكًا فجًّا إلا سلك فَجًّا غير فَجِّك**» رواه مسلم[1]

من مناقب الشيخين أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بينما راعٍ في غنمه، عدا الذئبُ**[2]**، فأخذ منها شاة، فطلبها حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له: مَنْ لها يومَ السَّبْع**[3] **يوم ليس لها راعٍ غيري؟**» فقال الناسُ: سبحان الله! فقال رسولُ الله ﷺ: «**فإني أُومِنُ بِهِ، وأبو بكر وعمرُ**»، وما ثَمَّ أبو بكر وعمر. رواه البخاري. ولمسلم: «**بينما رَجُل يَسُوقُ بَقَرَة قد حَمَلَ عَليها، التَفَتَتْ إليه البقرةُ، فقالتْ: إني لم أُخْلَقْ لهذا، ولكني خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ**»، فقال الناس: سبحان الله! تَعجُّبًا وفزَعًا: أَبَقَرة تَكَلَّمُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**فَإِني أُومِن به، وأبو بكر وعمرُ**»، وفي رواية: وما هما ثَمَّ[4].

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إني لا أدري ما بقائي فيكم؟ فاقتدُوا باللَّذَيْنِ من بعدي: أبي بكر وعمرَ**» أخرجه الترمذي[5].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «**هذان سَيِّدا كُهُولَ أَهْلِ الجنة من الأوَّلين والآخرين، إلا النبيين والمرسَلين**» أَخرجه الترمذي[6].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٧).

(٢) (عدا عليه): اعتدى.

(٣) (يوم السَّبْع) قيل: السَّبع: الشدة والذُّعر، يقال: سَبَعْتُ الأسد: إذا ذعرته، والمعنى: من لها يوم الفزع؟ وقيل: مَن لها عند الفتن حين يتركها الناس هملًا لا راعيَ لها، نُهبةً للذئاب والسباع؟ فجعل السَّبُع لها راعيًا، إذ هو منفرد بها ويكون حينئذ بضم الباء، وهذا إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التي يهمل الناس فيها أنعامهم ومواشيهم فتستمكن منها السباع بلا مانع.

(٤) رواه البخاري (٧/ ٤٢)، ومسلم (٢٣٨٨).

(٥) رواه الترمذي (٣٦٦٤،٣٦٦٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهو كما قال.

(٦) رواه الترمذي (٣٦٦٦)، وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه،

وعن عبد الله بن حنطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأى رسولُ الله ﷺ أبا بكر وعمر، فقال: «**هذان السمعُ والبصرُ**» أخرجه الترمذي[1].

مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وعثمان هو أبو عبد الله أو أبو عمرو ذو النورين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، يلتقي مع النبي ﷺ في الجد الرابع، وهو عبد مناف، وأمه أروى بنت كريز العبشمية، وأمها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ.

ولد عثمان ﷺ في السنة السادسة من الفيل، وأسلم قديمًا على يد الصديق الأعظم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل البعثة، وماتت عنده في الثانية من الهجرة عند رجوع النبي ﷺ من غزوة بدر العظمى، ولم يشهد عثمان ﷺ بدرًا لتخلفه بأمر رسول الله ﷺ ليمرض رقية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فجاء البشير بنصر المؤمنين عند دفنها، فضرب له رسول الله بسهمه وأجره فكان كمن شهدها[2]، ولما ماتت رقية زوَّجه رسول الله ﷺ أختها أم كلثوم، وتوفيت عنده أيضًا سنة تسع من الهجرة[3]، قال العلماء: ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره، ولذلك سمي بذي النورين.

= ورواه الترمذي أيضًا (٣٦٦٥، ٣٦٦٧) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح بشواهده.

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٢) مرسلًا، فإن عبد الله بن حنطب لم يدرك رسول الله ﷺ، لكن للحديث شاهد عند الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو، ذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) وقال: وفيه محمد مولى بني هاشم، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات، ولذلك قال الترمذي: وفي الباب عن عبد الله بن عمرو، ورواه الحاكم (٣/ ٦٩) وصححه، وتعقبه الذهبي فقال: حسن.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٦).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٦).

فهو من السابقين الأولين، وأول المهاجرين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن، وكان أن الصديق جمعه أيضًا، وإنما تميّز عثمان بجمعه في المصحف على هذا الترتيب اليوم، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في غزوة ذات الرقاع(١)، وكان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ذا جمال مفرط، روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث وستة وأربعون حديثًا. وأخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال: ما رأيت أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا حدث أتم حديثًا ولا أحسنَ من عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إلا أنه كان رجلًا يهاب الحديث(٢).

تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب باتفاق أهل الشورى إلى أن قتل شهيدًا على أيدي الخوارج في ذي الحجة سنة ٣٥هـ.

وفضائله كثيرة، ويكفي من ذلك ورود صفته في القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [الزمر:٩]، قال ابن أبي حاتم في (تفسيره): حدثنا عمر بن شيبة، عن عبيدة النميري، حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى الخزاز، حدثنا يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر قرأ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ قال ابن عمر: ذاك عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وإنما قال ابن عمر ذلك، لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة، كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال الشاعر:

ضحوا بأشمط، عنوان السجود به … يقطع الليل تسبيحا وقرآنا(٣)

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٥٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (١٨٣٧٨).

وقال البغوي: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وحمزة: (أَمَنْ) بتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بتشديدها، فمن شدد فله وجهان:

أحدهما: أن تكون الميم في (أم) صلة، فيكون معنى الكلام استفهامًا، وجوابه محذوفًا، مجازه: أمن هو قانت كمن هو غير قانت؟، والوجه الآخر: أنه عطف على الاستفهام، مجازه: الذي جعل لله أندادًا خير أمن هو قانت؟ ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على (مَن)، معناه: أهذا كالذي جعل لله أندادًا؟ وقيل: الألف في (أمن) بمعنى حرف النداء، تقديره: يا مَن هو قانت، ويا من هو قانت آناء الليل إنك من أهل الجنة، قاله ابن عباس. وفي رواية عطاء: نزلت في أبي بكر الصديق[١].

وقال الضحاك: نزلت في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢]، وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان. وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان.

والقانت: المقيم على الطاعة. قال ابن عمر: القنوت: قراءة القرآن وطول القيام، وآناء الليل: ساعاته. اهـ[٣]

وهذا يدل على أنها صفة لأهل الجنة ذكر المفسرون من تنطبق عليه، وأن منهم الخلفاء الراشدين.

ومما جاء في فضل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء عثمانُ إلى النبيِّ ﷺ بألفِ دِينار في كُمِّه، حين جَهَّزَ جيشَ العُسْرة، فنثرها في حَجْره، قال عبد الرحمن: فرأيتُ النبيَّ ﷺ يُقلِّبها في حَجره، ويقول: «**ما ضَرَّ عثمانَ ما عمل بعد**

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول، (ص:٤٢٦).

(٢) انظر: البحر المحيط (٧/ ٤١٩).

(٣) تفسير البغوي (٧/ ١١١).

اليوم» مرتين[١].

وعن عبد الرحمن بن خباب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: شهدتُ رسولَ الله ﷺ وهو يَحُثُّ على تجهيز جيش العسرة، فقام عثمانُ بنُ عفان، فقال: يا رسولَ الله، عليَّ مائةُ بعير بأحْلاسِها وأقْتَابها[٢] في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمانُ فقال: يا رسولَ الله، عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان، فقال: عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيتُ رسولَ الله ﷺ ينزل عن المنبر، وهو يقول: «**ما على عثمان ما فعل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه؟**»[٣].

وعن الأحنف بن قيس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجنا حُجَّاجًا، فَقَدِمنَا المدينةَ ونحن نريدُ الحجَّ، فبينا نحنُ في منازلنا نَضَعُ رِحَالَنَا إذْ أتانا آت، فقال: إن الناسَ قد اجتمعوا في المسجد وفزِعوا، فانطلقنا، فإذا الناسُ مجتمعون على بئر في المسجد، فإذا عليّ والزبيرُ وطَلحةُ وسعدُ بنُ أبي وقاص؛ فإنَّا لكذلك إذْ جاء عثمان وعليه مُلاءَة صَفراءُ[٤]، قد قَنَّع بها رأسه، فقال: أَهاهنا عليّ؟ أهاهنا طلحة؟ أهاهنا الزبير؟ أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: فإني أنْشُدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَنْ يبتاع مِرْبَدَ[٥] بني فُلان غَفَرَ الله له؟**» فابتعتُه بعشرين ألفًا -أو بخمسة وعشرين ألفًا- فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، فقال: «**اجعله في مسجدنا وأجرُه لك؟**» قالوا: اللهم نعم، قال:

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٦٣) والترمذي (٣٧٠١)، وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) (الأحلاس): الأكسية التي تكون على ظهور الإبل تحت الرِّحال والأقتاب، واحدها: حِلس.

(٣) حديث حسن، أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وفي سنده مجهول، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفي الباب عن عبد الرحمن بن سمرة، يعني الحديث الذي قبله، فهو شاهد له بالمعنى، وهو به حسن.

(٤) (المُلاءة): الإزار يرتَدى به، ويُتَشَحُ به.

(٥) (المِرْبَد): موقف الإبل.

أَنْشُدُكم بالله[١] الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ يَبتاع بِئر رُومَةَ، غَفَرَ الله له؟» فابتعتُها بكذا وكذا، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: قد ابتعتُها بكذا وكذا، قال: «اجعلها سقاية للمسلمين وأجرُها لك؟» قالوا: اللهم نعم، قال: أنْشُدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، أتعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ نظر في وجوه القوم، فقال: «مَنْ يُجَهِّز هؤلاء غَفَرَ الله له؟» -يعني جيشَ العسرة- فجهزتُهم، حتى لم يَفقِدوا عِقالًا، ولا خِطامًا؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهدْ، اللهم اشهدْ، اللهم اشهدْ[٢].

وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال: لَمَّا حُصِرَ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أشرفَ عليهم فوق دَارِه، ثم قال: أُذكِّركم بالله، هل تعلمونَ أن حِراءَ حين انتفض قال له رسولُ الله ﷺ: «اثبُتْ حراءُ، فليس عليك إلا نبيّ أو صِدِّيق أو شهيد؟»، قالوا: نعم، قال: أُذكِّركم بالله، هل تعلمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في جيش العُسرة: «مَن يُنْفِقُ نفقة مُتَقَبَّلَة» -والناس مُجْهَدُونَ مُعْسِرُونَ[٣]- فجهزتُ ذلك الجيش؟ قالوا: نعم، ثم قال: أذكِّركم بالله، هل تعلمون أن رُومَةَ، لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن، فابتعتُها فجعلتُها للغني والفقير وابنِ السبيل[٤]؟ قالوا: اللهم نعم، وأشياءَ عدَّها[٥].

وفي رواية: أن عثمانَ حين حُوصِرَ أشْرَفَ عليهم، فقال: أَنْشُدُكم بالله - ولا أَنْشُدُ إلا أصحابَ رسولِ الله ﷺ، ألستُم تعلمون أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ جَهَّزَ جيش

---

(١) (أَنْشُدُكم) أي: أسألكم وأُقسم عليكم.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٧٠، ٥١١)والنسائي (٦/ ٤٦، ٤٧، ٢٣٤) وصححه ابن خزيمة (٢٤٨٧)، ويشهد له معنى حديث أبي عبد الرحمن السلمي الآتي فهو به حسن.

(٣) (جَهَدَ) الرجل فهو مجهود: إذا وجد مشقة، وهو من الجَهد، وجهد الناس: إذا قحطوا فهم مجهودون، فأما أجْهَد فهو مُجْهَد، فإنما يكون على تقدير أنه وقع في الجهد، وهو المشقة.

(٤) (وابنُ السبيل) السبيل: الطريق، وابن السبيل: هو المسافر، كأنه للزومه السفر والطريق نسب إليها.

(٥) رواه الترمذي (٣٧٠٠)، والنسائي (٦/ ٢٣٦، ٢٣٧) وإسناده حسن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

العسرة فله الجنة»، فجهَّزتُهم؟ ألستم تعلمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَن حفر بِئر رُومة فله الجنة»، فحفرتُها؟ قال: وصَدَّقوه بما قال[١].

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أَنَّ عثمانَ أَشْرَفَ عليهم حين حصروه، فقال: أنشُد بالله[٢] رجلًا سمع من رسولِ الله ﷺ يَقُولُ يَومَ الجبَل، حين اهتزَّ فركله برجله[٣]، فقال: «اسكُن، فإنه ليس عليك إلا نبيّ أو صديق أو شهيدان»، وأنا معه؟ فأَنشد معه رجال، ثم قال: أنشُد بالله رجلًا شهد رسولَ الله ﷺ يوم بيعة الرضوان يقول: «هذه يد الله، وهذه يد عثمان»، فانتشد له رجال[٤]، ثم قال: أنشد بالله رجلًا سمعَ رسولَ الله ﷺ يومَ جيش العسرة يقول: «مَنْ يُنفق نفقة متقبَّلَة»، فجهزتُ نصفَ الجيش من مالي؟ فانتشد له رجال، ثم قال: أنشُد بالله رجلًا سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ يزيد في هذا المسجد ببيت في الجنة؟» فاشتريته من مالي، فانتشد له رجال، ثم قال: أنشُد بالله رجلًا شهد رُومة تباع، فاشتريتها من مالي فأبحتها لابن السبيل، فانتشد له رجال[٥].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا أَمر رسولُ الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمانُ ابنُ عفان رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى أهل مكة، قال: فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ: «إن عثمان في حاجةِ الله وحاجةِ رسوله»، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ

---

(١) ذكره البخاري تعليقًا (٥/ ٣٠٥) في الوصايا، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا أو اشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، قال الحافظ في (الفتح): وقد وصله الدارقطني والإسماعيلي وغيرهما من طريق القاسم بن محمد المروزي عن عبدان بتمامه.

(٢) (نشده): إذا سأله وأقسم عليه.

(٣) (رَكَلَه برجله): رَفَسه وركضه.

(٤) (انتشد له): أجاب كأنه رفع نشيده، أي: أزاله، وهذه الألِفُ تسمى ألفَ الإزالة، تقول: قسط الرجل: إذا جار، وأقسط: إذا عدل كأنه أزال جوره.

(٥) أخرجه النسائي (٦/ ٢٣٦)، وإسناده حسن.

رسول الله ﷺ لعثمان خيرًا من أيديهم لأنفسهم[(١)].

مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وعلي هو أبو الحسن علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب، ابن عم النبي ﷺ، وهو أول من أسلم من الغلمان، أعطاه رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر ففتح الله على يديه، وبويع بالخلافة بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فكان هو الخليفة شرعًا إلى أن قتل شهيدًا في رمضان سنة ٤٠هـ عن ٦٣ سنة.

ومما جاء في فضله حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ خَلَّفَ عليَّ بنَ أبي طالب في غزوة تبوك، فقال: يا رسولَ الله، تُخَلِّفُني في النساء والصبيان؟ فقال: «**أما ترضى أن تكونَ مني بمنزلة هارون من موسى، غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي؟**». متفق عليه[(٢)].

وعن حبشي بن جنادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**عليٌّ مِنّي، وأنا من عليّ، ولا يؤدّي عنّي**[(٣)] **إلا أنا أو عليّ**» أخرجه الترمذي[(٤)].

وعن سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان عليّ قد تَخَلَّفَ عن النبيِّ ﷺ في خيبرَ، وكان رَمِدًا، فقال: أنا أتَخَلَّفُ عن رسولِ الله ﷺ؟ فخرج فَلَحِقَ بالنبي ﷺ، فلما كان مَسَاءَ الليلة التي فتحها الله في صباحها، قال رسولُ الله ﷺ: «**لأُعْطِيَنَّ الراية -أو لَيأْخُذنَّ الرايةَ- غدًا رجل يحبه الله ورسولُه -أو قال: يحب الله ورسولَه- يفتح الله عليه**»، فإذا نحن بعليٍّ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٠٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب وهو كما قال، وشاهده في الصحيح من حديث ابن عمر في فضائل عثمان.

(٢) رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٣) أي يبلغ عني.

(٤) رواه الترمذي (٣٧٢١) وأحمد (٤/ ١٦٤-١٦٥)، وهو حديث حسن.

وما نرجوه، فقالـوا: هذا عليّ، فأعطاه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الراية، ففتح الله عليه. متفق عليه[١].

وعن زر بن حبيش قال: سمعتُ عليًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: والذي فَلَقَ الحبَّة[٢]، وبرأ النسمة[٣]، إِنه لعهدُ النبيِّ الأُميِّ إليَّ: «**أن لا يحبُّني إلا مؤمن، ولا يُبْغِضُني إلا منافق**». أخرجه مسلم[٤].

وفضائل علي ومناقبه كثيرة جدًا قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: «ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ»[٥].

قال بعض العلماء: وسبب ذلك-والله أعلم-أن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يكون بعده مما ابتلى به علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته، ثم لما وقع الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحًا للأمة أيضًا، ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه حتى على المنابر، ووافقهم على ذلك الخوارج، اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت، نصحًا للأمة ونصرة للحق[٦].

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٥٨)، ومسلم (٤٤٠٧).

(٢) (الحبَّة) بفتح الحاء: حبة الحنطة والشعير ونحوهما، وبكسرها: البزورات. وفلقُها: شقها للإنبات.

(٣) (النسمة): بفتح النون والسين كل شيء فيه روح. (وبرأها): خَلَقَها.

(٤) رواه مسلم (٧٨).

(٥) انظر طبقات الحنابلة (١/ ٣١٩)، والمستدرك (٣/ ١٠٧).

(٦) انظر فتح الباري (٧/ ٩٠) وعنه السفاريني في اللوامع (٣/ ٤٩٢).

فضل أصحاب النبي ﷺ:

وأفضل الصحابة بعد هؤلاء بقية العشرة المبشرين بالجنة ثم المهاجرون السابقون؛ لجمعهم بين الهجرة والنصرة، ثم الأنصار ثم بقية أصحاب النبي ﷺ رضي الله عنهم أجمعين كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾.

واعلم أن أصحاب النبي ﷺ أفضل هذه الأمة بعد نبيها عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل أفضل أصحاب الأنبياء، وقد مدحهم الله بمدح عظيم وصفة جليلة في كتبه المنزلة، وبين أنه لا يغتاظ منهم إلا الكفار، فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩]، يخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، وأنهم ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أي: جادون ومجتهدون في عداوتهم، وساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: متحابون متراحمون متعاطفون، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، هذه معاملتهم مع الخلق، وأما معاملتهم مع الخالق فإنك ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ أي: وصفهم كثرة الصلاة، التي أجل أركانها الركوع والسجود. ﴿يَبْتَغُونَ﴾ بتلك العبادة ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ أي: هذا مقصودهم بلوغ رضا ربهم، والوصول إلى ثوابه. ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أي: قد أثرت العبادة -من كثرتها وحسنها- في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت بالجلال ظواهرهم. ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ أي: هذا وصفهم الذي وصفهم الله به، مذكور بالتوراة هكذا.

وأما مثلهم في الإنجيل، فإنهم موصوفون بوصف آخر، وأنهم في كمالهم وتعاونهم ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: أخرج فراخه، فوازرته فراخه في الشباب والاستواء. ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ ذلك الزرع أي: قوي وغلظ ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمع ساق، ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ من كماله واستوائه، وحسنه واعتداله، كذلك الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمنزلة قوة عروق الزرع وسوقه، وكون الصغير والمتأخر إسلامه، قد لحق الكبير السابق ووازره وعاونه على ما هو عليه، من إقامة دين الله والدعوة إليه، كالزرع الذي أخرج شطأه، فآزره فاستغلظ، ولهذا قال: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم، وحين يتصادمون هم وهم في معارك النزال، ومعامع القتال، ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ فالصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، قد جمع الله لهم بين المغفرة، التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة، والأجر العظيم في الدنيا والآخرة.

قال ابن كثير: قال مالك، رَحِمَهُٱللَّهُ: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك، فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾، و﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أي: فراخه، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: شده ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: شب وطال، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ أي: فكذلك أصحاب محمد ﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم.

ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ (من) هذه لبيان الجنس(١)، ﴿مَّغْفِرَةً﴾ أي: لذنوبهم. ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل. اهـ

وقال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. روى ابن أبي حاتم في (التفسير) عن أبي سنان بن سنان الشيباني عن ابن عباس، قال: أتاه رجل فذكر بعض أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم كأنه ينتقص بعضهم، فقال ابن عباس: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، أما أنت فلم تتبعهم بإحسان.(٢)

---

(١) أي: ليست هنا للتبعيض، قال ابن هشام في مغني اللبيب (ص:٤٢١) في ذكر معاني (من): بيان الجنس وكثيرًا ما تقع بعد (ما) و(مهما)، وهما بها أولى لإفراط إبهامهما نحو ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر:٢]، ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [البقرة:١٠٦]، ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الأعراف:١٣٢] وهي ومخفوضها في ذلك في موضع نصب على الحال ومن وقوعها بعد غيرهما ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف:٣١]، الشاهد في غير الأولى فإن تلك للابتداء وقيل زائدة ونحو ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج:٣٠]، وأنكر مجيء من لبيان الجنس قوم، وقالوا: هي في ﴿مِن ذَهَبٍ﴾ و﴿مِّن سُندُسٍ﴾ للتبعيض، وفي ﴿مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ للابتداء، والمعنى: فاجتنبوا من الأوثان الرجس، وهو عبادتها، وهذا تكلف، وفي كتاب المصاحف لابن الأنباري أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [المائدة:٩]، في الطعن على بعض الصحابة! والحق أن (من) فيها للتبيين لا للتبعيض، أي: الذين آمنوا هم هؤلاء، ومثله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢] وكلهم محسن ومتقٍ، ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣]، فالمقول فيهم ذلك كلهم كفار. اهـ

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٠٤).

وروى ابن جرير عن محمد بن كعب قال: مرّ عمر برجل وهو يقرأ هذه الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، قال: من أقرأك هذه الآية؟ قال: أقرأنيها أُبيّ بن كعب. قال: لا تفارقْني حتى أذهب بك إليه! فأتاه فقال: أنت أقرأت هذا هذه الآية؟ قال: نعم! قال: وسمعتها من رسول الله ﷺ؟! قال: نعم! لقد كنتُ أرانا رُفِعنا رفْعَةً لا يبلُغها أحدٌ بعدنا! فقال أُبيّ: تصديق ذلك في أول الآية التي في أول الجمعة، وأوسط الحشر، وآخر الأنفال. أما أول الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ﴾ [الجمعة:٣]، وأوسط الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠]، وأما آخر الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال:٧٥]، واستفهام عمر، عن قراءة الآية بخفض ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ بالواو في ﴿وَٱلَّذِينَ﴾، وقراءته هو برفع (الأنصارُ)، وبغير واو في قوله: (الذين اتبعوهم)، كما في رواية لابن جرير عن حبيب بن الشهيد، وعن ابن عامر الأنصاري: أن عمر بن الخطاب قرأ: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ)، فرفع (الأنصارُ) ولم يلحق الواو في (الذين)، فقال له زيد بن ثابت: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، فقال عمر: (الذين اتبعوهم بإحسان)، فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم! فقال عمر: ائتوني بأبيّ بن كعب. فأتاه، فسأله عن ذلك، فقال أبي: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، فقال عمر: إذًا نتابع أبيًّا[1].

وقال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة:٧-١٤]. قال البغوي: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: السَّابِقُونَ إِلَى الهِجْرَةِ هُمُ السَّابِقُونَ فِي الآخِرَةِ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ:

---

(١) رواه ابن جرير (١٧١١٦-١٧١١٨).

السَّابِقُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ. قَالَ ابْنُ سِيرِينَ: هُمُ الَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى الْقِبْلَتَيْنِ، دَلِيلُهُ: قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾، قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: السَّابِقُونَ إِلَى إِجَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الدُّنْيَا هُمُ السَّابِقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي الْعُقْبَى. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ مِنَ اللهِ، ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى زَمَانِ نَبِيِّنَا ﷺ وَالثُّلَّةُ: جَمَاعَةٌ غَيْرُ مَحْصُورَةِ الْعَدَدِ. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ يَعْنِي مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالَ الزَّجَّاجُ: الَّذِينَ عَايَنُوا جَمِيعَ النَّبِيِّينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَصَدَّقُوهُمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ عَايَنَ النَّبِيَّ ﷺ[١].

وذكر القرطبي عن سفيان عن أبان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ: «الثلتان جميعًا من أمتي» يعني ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كلا الثلتين من أمة محمد ﷺ، فمنهم من هو في أول أمته، ومنهم من هو في آخرها، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢]. وقيل: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي من أول هذه الأمة. ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾، يسارع في الطاعات حتى يلحق درجة الأولين، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «خيركم قرني» ثم سوى في أصحاب اليمين بين الأولين والآخرين. والثلة من ثللت الشيء أي قطعته، فمعنى ثلة كمعنى فرقة، قاله الزجاج[٢].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: يقول تعالى مخبرًا عن هؤلاء السابقين أنهم ﴿ثُلَّةٌ﴾ أي: جماعة، ﴿مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾. وقد اختلفوا في المراد بقوله: ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾، و﴿ٱلْآخِرِينَ﴾. فقيل: المراد بالأولين: الأمم الماضية، والآخرين: هذه الأمة. هذا رواية عن

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ٩).

(٢) تفسير القرطبي (١٧/ ٢٠١).

مجاهد، والحسن البصري، رواها عنهما ابن أبي حاتم. وهو اختيار ابن جرير وهذا الذي اختاره ابن جرير هاهنا، فيه نظر، بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن، فيبعد أن يكون المقربون في غيرها أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم. فالقول الثاني في هذا المقام، هو الراجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدثنا عفان، حدثنا عبد الله بن بكر المزني، سمعت الحسن: أتى على هذه الآية: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ فقال: أما السابقون، فقد مضوا، ولكن اللهم اجعلنا من أهل اليمين. ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا السري بن يحيى قال: قرأ الحسن: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ثلة ممن مضى من هذه الأمة. وحدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المنقري، حدثنا أبو هلال، عن محمد بن سيرين، أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ قال: كانوا يقولون، أو يرجون، أن يكونوا كلهم من هذه الأمة. فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة. ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها، فيحتمل أن يعم الأمر جميع الأمم كل أمة بحسبها؛ ولهذا ثبت في الصحاح وغيرها، من غير وجه، أن رسول الله ﷺ قال: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**» الحديث بتمامه[1]. فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا زياد أبو عمر، عن الحسن، عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره**»[2]، فهذا الحديث، بعد الحكم بصحة إسناده، محمول على أن الدين كما هو

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣٦٥١) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣١٩)، والبزار (١٤١٢)، وصححه ابن حبان (٧٢٢٦).

محتاج إلى أول الأمة في إبلاغه إلى من بعدهم، كذلك هو محتاج إلى القائمين به في أواخرها، وتثبيت الناس على السنة وروايتها وإظهارها، والفضل للمتقدم. وكذلك الزرع الذي يحتاج إلى المطر الأول وإلى المطر الثاني، ولكن العمدة الكبرى على الأول، واحتياج الزرع إليه آكد، فإنه لولاه ما نبت في الأرض، ولا تعلق أساسه فيها؛ ولهذا قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، إلى قيام الساعة»**، وفي لفظ: **«حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»**[1]. والغرض أن هذه الأمة أشرف من سائر الأمم، والمقربون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة؛ لشرف دينها وعظم نبيها. ولهذا ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ أنه أخبر أن في هذه الأمة سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب[2]. وفي لفظ: **«مع كل ألف سبعون ألفا»**. وفي آخر **«مع كل واحد سبعون ألفًا»**[3]، وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني[4]: حدثنا هشام بن مرثد الطبراني، حدثنا محمد -هو ابن إسماعيل بن عياش- حدثني أبي، حدثني ضمضم -يعني ابن زرعة- عن شريح -هو ابن عبيد- عن أبي مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **«أما والذي نفسي بيده، ليبعثن منكم يوم القيامة مثل الليل الأسود زمرة جميعها يحيطون الأرض، تقول الملائكة لما جاء مع محمد ﷺ أكثر مما جاء مع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»**. اهـ[5]

وقال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠]، وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديدًا، فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون، وأما بعد

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٩)، ومسلم (١٩٢١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨) من حديث عمران.

(٣) انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٨٧٩).

(٤) المعجم الكبير (٣/ ٢٩٧) وفي إسناده محمد بن إسماعيل بن عياش وهو ضعيف لم يسمع من أبيه.

(٥) تفسير ابن كثير (٧/ ٥١٩) ت. سلامة.

الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهورًا عظيمًا، ودخل الناس في دين الله أفواجًا؛ ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، والجمهور على أن المراد بالفتح هاهنا فتح مكة. وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح هاهنا: صلح الحديبية، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد يستدل لهذا القول بما رواه الإمام أحمد[1]: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا زهير، حدثنا حميد الطويل، عن أنس قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها؟ فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ فقال: **«دعوا لي أصحابي فوالذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد -أو مثل الجبال- ذهبًا، ما بلغتم أعمالهم»**، ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه بهذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة، وكانت هذه المشاجرة بينهما في بني جذيمة الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد بعد الفتح، فجعلوا يقولون: صبأنا، صبأنا، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم، فخالفه عبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر وغيرهما. فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك[2]. والذي في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**[3]. وقوله: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ يعني المنفقين قبل الفتح وبعده، كلهم لهم ثواب على ما عملوا، وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء، والحسنى الجنة، والجزاء الحسن، قال: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥]، وهكذا الحديث الذي في الصحيح: «المؤمن

---

(١) المسند (٣/ ٢٦٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧١٨٩) من حديث بن عمر، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير»[١]، وإنما نبه بهذا لئلا يهدر جانب الآخر بمدح الأول دون الآخر، فيتوهم متوهم ذمه؛ فلهذا عطف بمدح الآخر والثناء عليه، مع تفضيل الأول عليه؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي: فلخبرته فاوت بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن فعل ذلك بعد ذلك، وما ذلك إلا لعلمه بقصد الأول وإخلاصه التام، وإنفاقه في حال الجهد والقلة والضيق. وفي الحديث: «سبق درهم مائة ألف»[٢] ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبا بكر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، له الحظ الأوفر من هذه الآية، فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء، فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عَزَّ وَجَلَّ، ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها[٣].

قال شيخ الإسلام: ويفضلون من أنفق من قبل الفتح -وهو صلح الحديبية- وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل. ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر -وكانوا ثلاث مئة وبضعة عشر-: «اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم»[٤]، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة؛ كما أخبر به النبي ﷺ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربع مئة. اهـ[٥]

وأما تفسير الفتح بصلح الحديبية؛ فذلك هو الأصح، وقد صح أن سورة الفتح نزلت عقيبه كما رواه البخاري ومسلم. وسمي هذا الصلح فتحًا؛ لما ترتب عليه من نتائج بعيدة المدى في عزة الإسلام، وقوته وانتشاره، ودخول الناس فيه.

وكونهم يقدمون المهاجرين على الأنصار، لأن المهاجرين جمعوا الوصفين: النصرة

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) رواه النسائي في السنن (٥/ ٥٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) انظر تفسير ابن كثير (٨/ ١٤).
(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٣٠٤ فتح)، ومسلم (١٦/ ٢٩٠ النووي).
(٥) العقيدة الواسطية (ص:٢٦١ بشرح الهرّاس).

والهجرة، ولهذا كان الخلفاء الراشدون وبقية العشرة من المهاجرين، وقد جاء القرآن بتقديم المهاجرين على الأنصار في سورة التوبة بقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [التوبة:٢٠]، وقال في سورة الحشر: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، وهذا التفضيل إنما هو للجملة على الجملة، فلا ينافي أن في الأنصار من هو أفضل من بعض المهاجرين. وقد صح عن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال يوم السقيفة للأنصار: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء. رواه البخاري[١].

وروى مسلم، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها**»[٢]، وفي (الصحيحين) عن جابر بن عبد الله؛ قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «**أنتم خير أهل الأرض**»، وكنا ألفًا وأربع مئة، ولو كنت أبصر اليوم؛ لأريتكم مكان الشجرة[٣]. وقد ورد أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما أراد قتل حاطب بن أبي بلتعة وكان قد شهد بدرا لكتابته كتابا إلى قريش يخبرهم فيه بمسير الرسول ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: «**وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[٤].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨] الآية، فهذا الرضا مانع من إرادة تعذيبهم، ومستلزم لإكرامهم ومثوبتهم.

وأصحاب النبي ﷺ أفضل أصحاب الأنبياء مطلقًا لقول النبي ﷺ: «**خير الناس**

---

(١) رواه البخاري (٣٦٦٧).

(٢) رواه مسلم (٢٤٩٦).

(٣) رواه البخاري (٤١٥٤)، ومسلم (١٨٥٦)، وانظر: اللؤلؤ والمرجان (٢/ ٢٥٠).

(٤) رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) عن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قرني» الحديث متفق عليه عن جماعة من الصحابة، منها حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «**خَيْرُ الناس قَرْني**[(١)]**، ثم الذين يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونَهم**» -قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قَرْنِه، قرنين أو ثلاثة؟- «**ثم إنَّ بعدَهم قومًا يَشْهدون ولا يُسْتَشْهدون، ويَخُونون ولا يُؤْتَمنون، ويَنْذرون ولا يُوفُون، ويَظْهر فيهم السِّمَنُ**»[(٢)].

وعن الحسن، عن أبي برزة الأسلمي: أنه دخل على زياد فقال: إن من شر الرعاء الحطمة، فقال له: اسكت فإنك من نخالة أصحاب محمد، فقال يا للمسلمين وهل كان لأصحاب محمد نخالة!! بل كانوا لبابًا، والله لا أدخل عليك ما كان فيَّ الروح[(٣)].

وعن أبي أراكة قال: صليت مع علي الفجر يوم الجمعة فلما قضى صلاته، وضع يده على خده كئيبًا حزينًا، حتى إذا صارت على حائط المسجد قيد رمح أو رمحين، قلب يده ثم قال: لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ وما رأيت أحدًا يشبههم اليوم، ولقد رأيتهم يصبحون شعثًا غبرًا صفرًا قد باتوا لله ركعًا سجدًا[(٤)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يأتي على الناس زمان، يغزو فيه فِئام من الناس**[(٥)]**، فيقولون: هل فيكم مَن صَاحبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فَيُفْتَحُ لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فِئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صَاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فَيُفْتَحُ لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فِئام من الناس، فيقال: هل فيكم مَن صاحَب مَن صاحَب أصحابَ رسولِ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَح لهم**». متفق عليه[(٦)].

---

(١) هو جيل الصحابة الذين كان فيهم النبي ﷺ.

(٢) رواه البخاري (٥/ ١٩٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٣) رواه ابن الجعد في مسنده (١٣٥٠).

(٤) رواه أبو أحمد الحاكم في الأسامي والكنى (٢/ ٨٧).

(٥) الفئام: الجماعة من الناس.

(٦) رواه البخاري (٨/ ٤)، ومسلم (٢٥٣٢).

ولهما عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا أصحابي فلو أن أحدًا أنفقَ مثلَ أُحُد ذَهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَهُ»[١].

وعن عبد الله بن مغفل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لِيُبَلِّغ الحاضرُ الغائبَ، الله الله في أصحابي، لا تَتَّخِذُوهُم غَرَضًا بعدي[٢]، فمن أحبَّهم فَبحبِّي أحبَّهم، ومَنْ أبغضَهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني، فقد آذى الله، ومن آذى الله، فيوشك[٣] أن يأخذه، ومن يأخذه الله فيوشك أَن لا يُفْلِتَه»[٤].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عن النبي ﷺ أنه رفع رأسَهُ إلى السماء -وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء- فقال: «النجومُ أَمَنَةُ السماءِ[٥]، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَدُ[٦]، وأَنا أَمَنَة لأصحابي، فإذا ذهبتُ أَتى أَصحابي ما يوعَدون، وأصحابي أمَنة لأمَّتي، فإذا ذهبَ أصحابي أَتَى أُمَّتي ما يُوعَدُونَ». أخرجه مسلم[٧].

إشارة إلى وقوع الفتن، ومجيء الشر عند ذهاب أهل الخير، فإنه لما كان ﷺ بين أظهرهم كان يبيِّن لهم ما يختلفون فيه، فلما فُقِد جَالت الآراء واختلفت، فكان الصحابة يُسنِدون الأمر إلى رسول الله ﷺ في قول أو فعل أو دَلالة حال، فلما فُقد الصحابة قلَّ النور وقويت الظلمة، نسأل الله الهداية والثبات.

---

(١) رواه البخاري (٧/ ٢٧، ٢٨)، ومسلم (٢٥٤١). و(المُد): ربع الصاع، (والنصيف): نصف المدِّ، والتقدير: ما بلغ هذا القَدْر اليسير من فضلهم، ولا نصفه.

(٢) (الغرض): الهدف، أي: لا تجعلوهم هدفًا ترمونهم بأقوالكم.

(٣) أوشك، يوشك: إذا أسرع وقارب، والإيشاك والوَشْك: السرعة.

(٤) رواه أحمد في المسند (٤/ ٨٧)، والترمذي (٣٨٦١) وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٥) الأمَنَةُ: جمع أمين، وهو الحافِظُ.

(٦) إشارة إلى انشقاقها وذهابها.

(٧) رواه مسلم (٢٥٣١).

(٥)

الخـلافـة

وهم الخلفاءُ الراشدون المهديون.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها إجماع العلماء أن هؤلاء الأربعة المذكورين (هم الخلفاءُ الراشدون) الذين خلَفُوا رسولَ الله ﷺ في أمته خلافة النبوة، على سبيل الرشاد (المهديون) الذين هداهم الله للزوم طريقة النبي ﷺ فلم يحيدوا عنها، الذين قال فيهم النبي ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها عضوا عليها بالنواجذ»[١]، وقال ﷺ: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»[٢]، وهي مدة خلافتهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، كما سيأتي قريبًا إن شاء الله تعالى.

وأحقهم بالخلافة بعد النبي ﷺ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه أفضلهم وأسبقهم إلى الإسلام، ولأن النبي ﷺ قدمه في الصلاة، ولأن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعوا على تقديمه ومبايعته ولا يجمعهم الله على ضلالة، ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأنه أفضل الصحابة بعد أبي بكر، ولأن أبا بكر عهد بالخلافة إليه، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفضله، وتقديم أهل الشورى له وهم المذكورون في هذا البيت:

عـــلي وعـــثمان وســـعد وطلحـــة زبـــير وذو عـــوف رجـــال المشـــورة

ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لفضله، وإجماع أهل عصره عليه.

---

(١) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، قال الألباني: وإسناده حسن.

(٢) رواه أحمد (٢١٩١٩)، وأبو داود (٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦)، وصححه الألباني.

فخلافة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سنتان وثلاثة أشهر وتسع ليال من ١٣ ربيع الأول سنة ١١هـ إلى ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ.

وخلافة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عشر سنوات وستة أشهر وثلاثة أيام من ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣هـ إلى ٢٦ ذي الحجة سنة ٢٣هـ.

وخلافة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا من ١ محرم سنة ٢٤هـ إلى ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ.

وخلافة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أربع سنوات وتسعة أشهر من ذي الحجة سنة ٣٥هـ إلى ١٩ رمضان سنة ٤٠هـ.

فمجموع خلافة هؤلاء الأربعة تسع وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام.

ثم بويع الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يوم مات أبوه علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وفي ربيع الأول سنة ٤١هـ سلم الأمر إلى معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وبذلك ظهرت آية النبي ﷺ في قوله: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»، وقوله في الحسن: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، رواه البخاري[(١)].

خلافة أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: لما قُبض رسولُ الله ﷺ قالت الأنصار: مِنَّا أمير، ومنكم أمير، فأتاهم عمر، فقال: ألستم تعلمون أن رسولَ الله ﷺ قد أمر أبا بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن يُصَلِّيَ بالناس، فأيُّكم تَطيبُ نفسُه أن يتقدَّم أبا بكر؟ فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدَّم أبا بكر[(٢)].

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢١، ١٣٣) و(١/ ٤٠٥) والنسائي (٢/ ٧٤، ٧٥). وفي الكبرى (٧٦٤)، وإسناده حسن، وصححه الحاكم (٣/ ٦٧) ووافقه الذهبي.

روى الآجري عن أبي الجحاف، قال: قام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما بويع له وبايع له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه قام ثلاثا يقول: أيها الناس، قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره؟ قال: فيقوم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوائل الناس يقول: لا والله لا نقيلك، ولا نستقيلك قدمك رسول الله ﷺ، فمن ذا الذي يؤخرك[١].

ومن دلائل تقديم أبي بكر تقديم النبي ﷺ له في الصلاة فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَرِضَ النبيُّ ﷺ فَاشْتَدَّ مرَضُه، فقال: **«مُروا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس»**، قالت عائشةُ: يا رسولَ الله، إنَّه رجل رقيق[٢]، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلِّي بالناس، فقال: **«مُري أبا بكر فليصلِّ بالناس»**، فعادتْ، فقال: **«مُري أبا بكر فليصلِّ بالناس، فإنكنَّ صَواحِبُ يوسفَ»**، فأتاه الرسولُ، فصلَّى بالناس في حياةِ رسولِ الله ﷺ. أخرجه البخاري ومسلم[٣].

وعن عبد الله بن زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما اسْتُعِزَّ[٤] بالنبيِّ ﷺ وأنا عنده في نَفَر من الناس، دعاه بلال إلى الصلاة، فقال رسولُ الله ﷺ: **«مُرُوا أبا بكر يُصلِّي بالناس»**، قال: فخرجنا، فإذا عمرُ في الناس، وكان أبو بكر غائبًا، فقلتُ: يا عمر، قم فصلِّ للناس، فتقدَّم فكبَّر، فلما سمع النبيُّ ﷺ صوتَه -وكان عمر رجلًا مجْهَرًا[٥]- قال: **«فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون»**، فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس، وفي رواية قال: لَمَّا أَنْ

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (١١٩١، ١١٩٠).

(٢) (رقيق) رجل رقيق، أي: هيّن ليّن.

(٣) رواه البخاري (٦/ ٢٩٩)، ومسلم (٤٢٠).

(٤) (استُعِزَّ) بالمريض: إذا غلب على نفسه من شدة المرض، وأصله من العِزَّة، وهي الغلبة والاستيلاء على الشيء.

(٥) (مجهرًا) رجل مجهر، أي: صاحبُ جَهْرٍ ورفعٍ لصوته، يقال: جهر الرجل صوته وأجهر: إذا عرف بالجهر، فهو جاهر ومجهر.

سمع النبيُّ ﷺ صوت عمر، قال ابن زمعة: خرج النبيُّ ﷺ حتى أَطلع رأْسه من حجرته، ثم قال: «**لا، لا، لا، ليُصلِّ بالناس ابنُ أبي قحافة**»، يقول ذلك مغضَبًا[1].

قال ابن الأثير في (جامع الأصول): قوله ﷺ: «**يأبى الله ذلك والمسلمون**» فيه نوع دَلالة على خلافة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لأن هذا القول يُعلم منه: أن المراد به ليس نفي جواز الصلاة خلفَ عمر، كيف وهي جائزة خلفَ غيره من آحاد المسلمين ممن هو دون عمر؟ وإنما أراد به الإمامة التي هي الخلافة والنيابة عن النبي ﷺ، فلذلك قال فيه: «**يأبى الله ذلك والمسلمون**»، وعلى أنه يجوز أن يكون أراد بهذا القول: أن الله يأبى والمسلمون أن يتقدم في الصلاة أحد على جماعة فيهم أبو بكر، حيث هو أكبرهم قَدرًا ومنزلة وعلمًا، فإن التقدُّم عليه في مثل الصلاة التي هي أكبر أعمال الإسلام وأشرفُها مما يأباه الله والمسلمون، وهذا صريح في الدلالة، والأول مفهوم من اللفظ. اهـ

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُرِيَ الليلةَ رَجُل صَالح، كأنَّ أبا بكر نِيطَ برسول الله، ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر**»، قال جابر: فلما قُمنا من عند رسول الله ﷺ، قلنا: أمَّا الرجلُ الصالحُ، فرسولُ الله ﷺ، وأما نَوْطُ بعضهم ببعض، فهم وُلاةُ الأمر الذي بعث الله به نبيّه ﷺ[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**بينا أنا نائم رأيتُني على قَلِيب[3] عليها دَلْو، فنزعتُ منها ما شاء الله[4]، ثم أخذها ابن أبي قُحَافَةَ، فنزعَ منها ذَنُوبًا أو ذَنُوبَيْنِ[5]، وفي نَزْعه ضَعْف، والله يغفِرُ له، ثم اسْتَحَالَتْ**

---

(١) رواه أبو داود رقم (٤٦٦٠، ٤٦٦١) في السنة، باب استخلاف أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٥٥) وأبو داود (٤٦٣٦).

(٣) (القليب): البئر إذا لم تكن مطوية.

(٤) (نَزَعْت) الدَّلْو من البئر: إذا جذبتها واستقيت الماء بها.

(٥) (الذَّنوب) بفتح الذال: الدلو الملأى بالماء.

غَرْبًا[1]، فأخذها ابنُ الخطاب، فلم أرَ عَبْقَرِيًا[2] من الناس ينزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حتى ضرب الناسُ بعَطَنٍ[3]»، متفق عليه، ولمسلم أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم أُرِيتُ أني أَنْزِعُ على حوضي أسْقي الناسَ، فجاءني أبو بكر، فأخذ الدَّلْوَ من يدي ليُرِيحني، فنزع دَلْوَيْنِ، وفي نزعه ضَعْف، والله يغفر له، فجاء ابنُ الخطاب، فأخذه منه، فلم أرَ نزع رجل قطُّ أقوى حتى تولى الناسُ والحوض ملآنُ يتفجر»[4].

ولهما نحوه عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: «ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غربًا، فلم أرَ عَبْقَرِيًا من الناس يَفري فَرِيَّهُ[5]، حتى رَوِي الناس، وضربوا بعَطن»[6].

والمراد بقوله: «حتى ضرب الناس بعطن»، حتى رَوَوا وأرْوَوْا إبلهم، فأبركوها وضربوا لها عَطَنًا. وهذا الحديث أريه رسول الله ﷺ مثلًا لأيام خلافتهما، وأن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَصُرت مدة خلافته، ولم يفرُغ من قتال أهل الرِّدَّة، لافتتاح الأمصار، وأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طالت مدته حتى تيسرت له الفتوح، وأفاء الله عليه الغنائم، وكنوز الأكاسرة.

وعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسولَ الله، رأيتُ كأنَّ دَلْوًا دُلِّيَ من السماء، فجاء أبو بكر، فأَخذ بِعَراقِيْها[7]، فشرب شُرْبًا ضعيفًا، ثم جاء عمرُ، فأخذ

---

(١) (الغَرْب): الدلو العظيمة.

(٢) (العبقري): الرجل القوي الشديد، وفلان عبقري القوم، أي: سيِّدُهم وكبيرهم.

(٣) (العَطَن): الموضع الذي تُناخ فيه الإبل إذا رَوِيَت، يقال: عطَنَتِ الإبل، فهي عاطنة، وعواطن: إذا شربت فبركت عند الحوض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى.

(٤) رواه البخاري (١١/ ٣٦٥)، ومسلم (٢٣٩٢).

(٥) (يَفْرِيَ فَرِيَّه) أي: يعمل عمله، وفرى يفري: إذا قطع. وتقول العرب: فلان يفري الفَرْي: إذا عَمِل العمل وأجاده، تعظيمًا لإحسانه.

قال في (القاموس): وهو يفري الفريَّ كغنيّ، يأتي بالعجب في عمله. اهـ

(٦) رواه البخاري (٧/ ٣٦)، ومسلم (٢٣٩٣).

(٧) عراقي الدلو: عُراها، وهي جمع عَرْقُوة.

بعراقِيْها، فشرب حتى تَضلَّعَ، ثم جاء عثمانُ، فأخذ بعراقِيْها، فشرب حتى تضلَّعَ[(١)]، ثم جاء عليّ، فأخذ بعراقِيْها، فَانْتَشَطِتْ[(٢)]، وانْتُضِح[(٣)] عليه منها شيء[(٤)].

وفي سنن أبي داود وغيره، من حديث الأشعث عن الحسن عن أبي بكرة، أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «من رأى منكم رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت ميزانًا أنزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمر وأبو بكر، فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان، فرجح عمر، ثم رفع، فرأيت الكراهة في وجه النبي ﷺ، فقال: «**خلافة نبوة، ثم يؤتي الله الملك من يشاء**»[(٥)].

فبين رسول الله ﷺ أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة، ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه لم يجتمع الناس في زمانه، بل كانوا مختلفين، لم ينتظم له تمام الأمر.

وعن سعيد بن جمهان، عن سفينة. قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي الله ملكه من يشاء**»، أو «**الملك**»[(٦)].

فهذه إشارة وتنبيه من النبي ﷺ بتقديم أبي بكر الصديق في الخلافة، واحتج بها وبغيرها من يرى أنه نص عليه! وفي ذلك بعد.

---

(١) أي: حتى امتلأ رِيًّا.

(٢) الانتشاط: انحلال العقدة، الأنشوطة: العقدة، ومنه أنشطت عقال البعير: إذا حللته.

(٣) الانتضاح: رشاش الماء على الثوب ونحوه.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢١) وأبو داود (٤٦٣٧) في السنة، باب في الخلفاء، ورواه أيضًا الضياء في المختارة، وذكره الحافظ في (الفتح) وسكت عليه.

(٥) صحيح رواه أبو داود (٤٦٣٤، ٤٦٣٥)، انظر: ظلال الجنة، للألباني (١١٣١-١١٣٣، ١١٣٥، ١١٣٦).

(٦) رواه أبو داود (٤٦٣٥)، وقال الألباني: حسن.

واحتج من قال: إنه ﷺ لم يستخلف، بالخبر المأثور، عن عبد الله بن عمر، عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنه قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، يعني أبا بكر، وإن لا أستخلف، فلم يستخلف من هو خير من، يعني رسول الله ﷺ، قال عبد الله: فعرفت أنه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف، متفق عليه[١].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال في مرضه: «**لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، وأعهد؛ أن يقول القائلون أو يتمنى المتنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون**»[٢]، وفي رواية: قالت: قال لي رسول الله في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابًا، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»[٣].

قال النووي في شرح مسلم: وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة لفضل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإخبار منه ﷺ بما سيقع في المستقبل بعد وفاته، وأن المسلمين يأبون عقد الخلافة لغيره. اهـ

قال شارح الطحاوية: والظاهر -والله أعلم- أن المراد: أنه لم يستخلف بعهد مكتوب، ولو كتب عهدًا لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه، وقال: «**يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**»، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر، وأرشدهم إليه بأمور متعددة، من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهدًا، ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس،

---

(١) رواه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣).

(٢) رواه البخاري (٥٦٦٦، ٧٢١٧).

(٣) رواه مسلم (٢٣٨٧).

ثم لما حصل لبعضهم شك -هل ذلك القول من جهة المرض؟ أو هو قول يجب اتباعه؟- ترك الكتابة، اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بيانًا قاطعًا للعذر، لكن لما دلهم دلالات متعددة على أن أبا بكر المتعين، وفهموا ذلك، حصل المقصود. ولهذا قال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وسيدنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، ولم ينكر ذلك منهم أحد، ولا قال أحد من الصحابة: إن غير أبي بكر من المهاجرين أحق بالخلافة منه، ولم ينازع أحد في خلافته إلا بعض الأنصار، طمعًا في أن يكون من الأنصار أمير ومن المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي ﷺ بطلانه، ثم الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر، إلا سعد بن عبادة، لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط: إن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر، لا علي، ولا العباس، ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع! وروى ابن بطة بإسناده: أن عمر بن عبد العزيز بعث محمد بن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال: هل كان النبي ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال: أو في شك صاحبك؟ نعم، والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوثّب عليها.

وفي الجملة: فجميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر، لم يذكر حجة شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه، أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط، وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحب رسول الله ﷺ له. اهـ[1]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: والتحقيق في خلافة أبي بكر -وهو الذي يدل عليه كلام أحمد- أنها انعقدت باختيار الصحابة ومبايعتهم له، وأن النبي ﷺ أخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضا بها، وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه، وأنه دل الأمة

---

(١) شرح الطحاوية (ص:٤٧٤) ت. الألباني.

وأرشدهم إلى بيعته، فهذه الأوجه الثلاثة، الخبر والأمر والإرشاد، ثابتة من النبي ﷺ، فالأول كقوله: «رأيت كائن على قليب أنزع منها فأتى ابن أبي قحافة فنزع ذنوبا أو ذنوبين...» الحديث، وأما الأمر فكقوله: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»، والثالث: تقديمه له في الصلاة، وقوله: «سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر»، فالأول في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور:٥٥] الآية... والثاني قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ﴾ [الفتح:١٦] الآية. والثالث كقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل:١٧]... فثبتت صحة خلافته ووجوب طاعته بالكتاب والسنة والإجماع، وإن كانت إنما انعقدت بالإجماع والاختيار. اهـ[١]

وقال العلامة السفاريني في (شرح منظومته)[٢]: وقد قام الإجماع وإشارات الكتاب والسنة على حقيّة خلافته، فما ثبت للأصل الذي هو الصديق من حقيّة الخلافة، يثبت لفرعه الذي هو عمر بن الخطاب فيها، فلا مطمع لأحد من فرق الضلال في الطعن والنزاع في حقيّة الخلافة، وقد علم أهل العلم علمًا باتًّا ضروريًّا أن الصحابة الكرام أجمعوا على تولية الصديق الخلافة، ومن شذ لا يقدح في ذلك من غير مرية، فقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيئ، وقد رأى الصحابة [جميعًا أن يستخلفوا أبا بكر][٣]. فهذا صح عن ابن مسعود وهو من أكابر الصحابة وفقهائهم ومتقدميهم، فحكى الإجماع عن الصحابة على خلافة أبي بكر، ولذلك كان هو أحق بها عند جميع أهل السنة والجماعة في كل عصر ومصر، وكذلك عند المعتزلة وأكثر فرق

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٤٨).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٣/ ٤٦٣-٤٦٧) ط. دار التوحيد.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩)، والطيالسي (٢٤٦)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٨)، وصححه ووافقه الذهبي والألباني، وما بين المعكوفين من (المستدرك).

الأمة على أنه أحق بها من جميع الصحابة[١].

روى البيهقي[٢] عن الزعفراني قال: سمعت الشافعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: أجمع الناس على خلافة أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وذلك أنه اضطرب الناس رسول الله ﷺ فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرًا من أبي بكر فولوه رقابهم.

وأخرج أسد السنة عن معاوية بن قرة قال: ما كان أصحاب رسول الله ﷺ يشكّون أن أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ وما كانوا يسمونه إلا خليفة رسول الله[٣]. وما كانوا يجتمعون على خطأ ولا على ضلالة.

وقد ثبت في الصحيحين[٤] وغيرهما مما بلغ التواتر وعلم من الدين بالضرورة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بايعه واعتذر إليه عن تأخره لعدم مشورته، وأن له حقًّا في الشورى، حتى إن سيدنا عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بايع أبا بكر على المنبر لإزالة شبهة التخلف وفرح الناس بذلك. والنصوص المشيرة إلى خلافة الصديق كثيرة. اهـ

وروى البيهقي في الاعتقاد عن أبي سعيد الخدري قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين، إن رسول الله ﷺ كان إذا استعمل رجلًا منكم قرن معه رجلًا منّا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم والآخر منا! قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت، فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين، وإن الإمام يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فقال: جزاكم الله خيرًا يا معشر الأنصار،

---

(١) انظر: الفتاوى لابن تيمية (٣٥/ ٤٨).

(٢) في مناقب الشافعي (١/ ٤٣٤).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٣٠/ ٢٩٧).

(٤) البخاري (٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٨).

وثبت قائلكم، ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر، فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم ير عليًا، فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله ﷺ وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين! فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه، ثم لم ير الزبير بن العوام، فسأل عنه حتى جاءوا به، قال: ابن عمة رسول الله وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين! فقال مثله قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فبايعه[1].

قال الحافظ ابن كثير في (البداية): هذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري، وفيه فائدة جليلة وهي مبايعة علي بن أبي طالب، إما في أول يوم، أو في اليوم الثاني من الوفاة، وهذا حق، فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه.. وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهرًا سيفه يريد قتال أهل الردة.. ولكن لما حصل من فاطمة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا بنت رسول الله ﷺ عتب على الصديق بسبب ما كانت متوهمة من أنها تستحق ميراث رسول الله ﷺ، ولم تعلم بما أخبرها به الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أنه قال ﷺ: **«لا نورث ما تركنا فهو صدقة»**[2]، فحجبها وغيرها من أزواجه وعمه ﷺ من الميراث بهذا النص الصريح.. فسألته أن ينظر علي في صدقة الأرض التي بخيبر وفدك، فلم يجبها إلى ذلك؛ لأنه رأى أن حقًا عليه أن يقوم في جميع ما كان يتولاه رسول الله ﷺ، وهو الصادق البار الراشد التابع للحق رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، فحصل لها -وهي امرأة من البشر ليست براجية العصمة- عتب وغضب، ولم تكلم

---

(١) رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد (ص: ٤٩٠) بسند صحيح.

(٢) رواه البخاري (٦٢٣٠-٦٢٣٣)، ومسلم (٣٣٠٣).

الصديق حتى ماتت، واحتاج علي أن يراعي خاطرها بعض الشيء، فلما ماتت بعد ستة أشهر من وفاة أبيها ﷺ رأى علي أن يجدد البيعة لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويزيد ذلك صحة قول موسى بن عقبة في (مغازيه): عن سعد بن إبراهيم، حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر، وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير، ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس، وقال: ما كنت حريصا على الإمارة يومًا ولا ليلة، ولا سألتها في سر ولا علانية، فقبل المهاجرون مقالته، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا لأن أُخِّرنا عن المشورة، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلي بالناس وهو حي. إسناده جيد، ولله الحمد والمنة. اهـ[(١)]

خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

إن مما يعد لأبي بكر الصديق من الفضائل، وكمال نصحه لهذه الأمة، وتمام فراسته ومعرفته بالرجال استخلافه للفاروق عمر وعقد ولاية العهد له من بعده، لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد وقيام سوق الجهاد، وظهور الإسلام الظهور التام، وقمع أهل الكفر والبدع وعبدة الأصنام، روى الطبراني والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال: أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين استخلف عمر، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ [القصص:٢٦]، والعزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف:٢١][(٢)].

---

(١) البداية والنهاية (٤/ ٢٢٠-٢٢١)، وانظر: الاعتقاد للبيهقي (ص:٤٩٣-٤٩٦)، وشرح النووي على مسلم (١٢/ ٧٧-٧٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (ج ٩/ج ٨٨٢٩)، وابن الجعد في مسنده (٣٧١)، وابن سعد في الطبقات (٣/ ١٥٤)، والحاكم (٢/ ٣٤٥، ٣/ ٩٠)، والبيهقي في الاعتقاد (ص:٥٠٦)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

روى ابن سعد في الطبقات: أن أبا بكر الصديق لما ثقل به المرض دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب! فقال: ما تسألني عن أمر أنت أعلم به مني! فقال أبو بكر: وإن كان، فقال عبد الرحمن: هو -والله- أفضل من وراءك، ورأيك فيه أتم رأي، فدعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر! فقال: أنت أخبرنا به، وقال لعلي كذلك، فقال: علمك في ذلك؟ فقال علي للصديق: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضى ويسخط للسخط، الذي يسر خير من الذي يعلن، ولم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه. ثم دعا عثمان، فكتب عهده لعمر، ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختومًا، فبايع الناس ورضوا به، ثم دعا أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمر خاليًا، فأوصاه بما أوصاه، ثم خرج من عنده، فرفع أبو بكر يديه فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا إصلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما يرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضرني، فاخلفني فيهم، فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلح ولايته واجعله من خلائفك الراشدين، وأصلح له رعيته[(١)].

فكانت خلافة عمر بولاية العهد من الصديق وإشهاد الصحابة وبيعتهم عليها.

قال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: رحم الله أبا بكر وعمر، وأمرهما سنة[(٢)].

وفي الصحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قيل لعمر: ألا تستخلف! قال: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، أبو بكر، وإن أترك فقد ترك من هو خير

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ١٤٨-١٥٠).
(٢) أخرجه الفسوي في المعرفة والتاريخ (١/ ٤٨٠).

مني، رسول الله ﷺ.. الحديث[1]. قال النووي في شرحه: أجمع المسلمون على أن الخليفة إذا حضرته مقدمات الموت وقبل ذلك: يجوز له الاستخلاف، ويجوز له تركه، فإن تركه فقد اقتدى بالنبي ﷺ في هذا، وإلا فقد اقتدى بأبي بكر، وأجمعوا على انعقاد الخلافة بالاستخلاف، وعلى انعقادها بعقد أهل الحل والعقد لإنسان إذا لم يستخلف الخليفة، وأجمعوا على جواز جعل الخليفة الأمر شورى بين جماعة، كما فعل عمر بالستة، وأجمعوا على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة. اهـ

خلافة ذي النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يا عثمان، لعلَّ الله يُقَمِّصك قميصًا**[2]**، فإن أرادوك على خَلْعِه، فلا تَخْلَعْهُ حتى يَخْلَعُوه**»[3].

وقال عبد الله بن مسعود في مبايعة الصحابة لعثمان: إن الله اطلع في قلوب العباد، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبه فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيئ[4].

ويقال مثل ذلك في مبايعتهم لكل الخلفاء كما قال أبو بكر بن عياش: وأنا أقول: قد رأوا أن يولوا أبا بكر بعد رسول الله ﷺ[5].

---

(١) رواه البخاري (٧٢١٨)، ومسلم (١٨٢٣).

(٢) (قمّصتُه) هذا الأمر: أي فَوَّضْته إليه، وجعلتُه في عهدته، وألبسته إياه مثل القميص، وأراد به الخلافة.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٧٠٦)، وإسناده صحيح، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب.

(٤) رواه أحمد في المسند (٦/ ٨٤)، والفضائل (١/ ٣٦٧-٣٦٨) وابن الأعرابي في المعجم (٢/ ٤٤٣)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٨) وصححه.

(٥) التخريج السابق نفسه.

وأما ذكر خلافته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فتقدم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعلها شورى بين الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وهم سعد بن أبي وقاص وعبدالرحمن بن عوف وعلي وعثمان وطلحة والزبير. فلما فرغ الناس من دفن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عثمان. فقال عبد الرحمن بن عوف: أنا لا أريدها فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظر أفضلهم في نفسه، وليحرص على صلاح الأمة.

فسكت الشيخان علي وعثمان، فقال عبد الرحمن: اجعلوه إلي والله علي أن لا آلوكم عن أفضلكم، قالا: نعم. فخلا بعلي وقال له: لك من القدم في الإسلام والقرابة من رسول الله ﷺ ما قد علمت، الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم.

ثم خلا بالآخر فقال له كذلك، فلما أخذ ميثاقهما بايعه عثمان وبايعه علي، وكانت مبايعته بعد موت عمر بثلاث ليال[1]، وكان عبد الرحمن بن عوف قبل أن يتخلى عنها أحد قد خلا بعثمان فقال له: فإن لم نبايعك فمن تشير علي؟ قال: علي. وقال لعلي: إن لم نبايعك فمن تشير علي؟ قال: عثمان، ثم دعا الزبير فقال له: من تشير علي؟ فأما أنا وأنت فلا نريدها. فقال: عثمان.

ثم استشار عبد الرحمن أعيان المهاجرين والأنصار، فرأى هوى أكثرهم عثمان، فبايعوا جميعًا فثبتت بيعة عثمان بإجماع الصحابة عليها فإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جملة من بايعه وقد غزا معه، وكان يقيم الحد بين يديه كما أخبر بذلك عن نفسه

---

(١) انظر صحيح البخاري (٣٧٠٠).

رضوان الله عليه ، وخلافة عثمان فرع عن خلافة عمر التي هي فرع عن خلافة الصديق رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، واستشهد عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ في داره سنة خمس وثلاثين في أوسط أيام التشريق، وصلى عليه الزبير وكان أوصى إليه، ودفن في حش كوكب بالبقيع، وهو أول من دفن به -والحش بالحاء المهملة والشين المعجمة البستان وضم الحاء أجود من كسرها- وكوكب رجل من الأنصار(١).

وولي الخلافة إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا وثلاثة عشر يوّما، ومدة حصاره في داره إلى أن قتل سبعة وأربعون يومًا وقيل: شهران وعشرون يومًا، واستشهد وهو يومئذ صائم، وهذا يؤيد كون قتله بعد أيام التشريق أو قبلها، فقد قيل: كان قتله لثمان عشرة خلت من ذي الحجة، أو لسبع عشرة، وقيل: لثمان خلون منه يوم التروية، وقيل: لليلتين بقيتا منه

واختلف فيمن باشر قتله فقال كثير: إنه لا يعرف قاتله، وقيل: الأسود التجيبي من أهل مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم من مصر أيضًا، وقيل: سودان بن حمران، وقيل: رومان اليماني، وقيل: سودان بن رومان، وقيل: رومان بن سرحان رجل أزرق قصير، وقيل: قتله رجل من أهل مصر يقال له: حمار، أزرق أشقر، وقيل: قتله اثنان، وقيل غير ذلك، وله يومئذ من العمر اثنتان وثمانون سنة، وقيل: ثمان وثمانون، وقيل: تسعون، ويروى أنه كان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فوقعت قطرة من دمه أو قطرات على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧](٢).

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٢٦٢).

(٢) انظر تتمة جامع الأصول (١/ ١٢٤)، وتاريخ الخلفاء للسيوطي (ص:١٤٤)، وفتنة مقتل عثمان لمحمد الغبان (١/ ١٩٨)، والبداية والنهاية (٥/ ٢٧٢)، وسير النبلاء للذهبي (٣/ ١٦٢)، واستشهاد عثمان لخالد الغيث (ص:١٢٩)، والاستيعاب (٨/ ٤٥).

وأخرج الحاكم عن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: ما سمعت من مراثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار: لا تقتلوهم ... عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
فكيف رأيت الله صب عليهم الـ ... ـعداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس إدبار الرياح الجوافل[1]

وأخرج الإمام أحمد عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه دخل على عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو محصور، فقال: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وإني أعرض عليك خصالًا ثلاثًا، اختر إحداهن: إما أن تخرج فتقاتلهم، فإن معك عددًا وقوة وأنت على الحق وهم على الباطل، وإما أن تخرق لك بابًا سوى الباب الذي هم عليه، فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة، فإنهم لن يستحلوك وأنت بها، وإما أن تلحق بالشام فإن أهل الشام فيهم معاوية.

فقال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فأما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خالف رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأما أن أخرج إلى مكة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلحد رجل من قريش بمكة يكون عليه نصف عذاب العالم» فلن أكون أنا، وأما أن ألحق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله ﷺ[2].

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٥).
(٢) أخرجه أحمد (١/ ٦٧).

خلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

ثم بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هرع الناس إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقالوا له: نبايعك فمد يدك، فلابد للناس من أمير، فقال علي: ليس ذلك إليكم، إنما ذلكم إلى أهل بدر، فمن رضي أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليًّا، فقالوا: ما نرى أحدًا أحق بها منك، فمد يدك نبايعك، فمد يده فبايعوه.

وكان أول من بايعه طلحة بن عبيد الله، ثم خرج من المسجد فبايعه الناس، وانعقدت له الخلافة بأهل الحل والعقد، من أهل بدر وجلة أصحاب النبي ﷺ، وتوقف معاوية وأهل الشام مطالبة بدم عثمان، واشترط على المبايعة تسليم قتلة عثمان؛ لأنهم انضموا لولاية علي بن أبي طالب، لأجل أخذ القود والقصاص منهم.

ولا شك أن عليًّا أحق الناس بالخلافة بعد الثلاثة الخلفاء قبله أبي بكر وعمر وعثمان، وقد انعقدت باتفاق أهل الحل والعقد من أهل بدر وأحد والرضوان والمهاجرين والأنصار، كطلحة وسعد والزبير وغيرهم من أصحاب النبي ﷺ، قال الحسن بن صالح ابن حي: والله ما كانت بيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا كبيعة أبي بكر وعمر[١]. وقال أبو عبد الله بن بطة الحنبلي: كانت بيعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيعة اجتماع ورحمة، لم يدع إلى نفسه ولم يجبرهم على بيعته بسيف ولم يغلبهم بعشيرة، ولقد شرف الخلافة بنفسه وزانها بشرفه وكساها حلة البهاء بعدله ورفعها بعلو قدره، ولقد أباها فأجبروه وتقاعس عنها فأكرهوه[٢]. وقال الإمام أحمد بن حنبل: إن عليًّا لم تزنه الخلافة ولكنه زانها[٣].

(١) رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١/ ٣١٨).

(٢) الإبانة لابن بطة (١/ ٣٠١).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٤٢/ ٤٤٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومعاوية لم يدّع الخلافة، ولم يبايع له بها حين قاتل عليًّا، ولم يقاتله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أنه خليفة، ولا أنه كان يستحق الخلافة، ولا كانوا يرون أن يبدؤوا عليًّا بقتال، بل لما رأى عليّ أن لهؤلاء شوكة وهم خارجون عن طاعته، رأى أن يقاتلهم حتى يردوا إلى الواجب، وهم رأوا أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتل مظلومًا باتفاقٍ، وقتلته في عسكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهم غالبون لهم شوكة، وعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يمكنه دفعهم، كما لم يمكنه الدفع عن عثمان، فرأوا من الآراء الفاسدة: أن نبايع خليفة يقدر على أن ينصفنا ويبذل لنا الإنصاف، وكان في جهال الفريقين من يظن بالإمامين علي وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ظنونًا كاذبة، منهم من يزعم أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر بقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! وكان عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحلف -وهو البار الصادق بلا يمين- أنه لم يقتله ولا رضي بقتله، ولم يمالئ على قتله، وهذا معلوم من علي -رضوان الله عليه- فكان أناس من محبي عليّ ومن مبغضيه يشيعون ذلك عنه، فمحبوه يقصدون الطعن على عثمان، وأنه كان يستحق القتل وأن عليًّا أمر بقتله! ومبغضوه يقصدون الطعن على عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه أعان على قتل الخليفة المظلوم الشهيد الذي صبر نفسه ولم يدفع عنها ولم يسفك دم مسلم في الدفع عنه، فكيف في طلب طاعته وأمثال هذه الأمور التي تنسب إلى المشنعين العثمانية والعلوية، وكل من الطائفتين مقر بأن معاوية ليس بكفءٍ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

وقال أيضًا: الكل مقر بأنّ معاوية ليس كفؤًا لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الخلافة، ولا يجوز أن يكون معاوية خليفة مع إمكان استخلاف علي، لسابقته وعلمه ودينه وشجاعته وسائر فضائله، فإنها كانت عندهم ظاهرة معروفة، كفضل إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولم يكن بقي من أهل الشورى غيره وغير سعد[(٢)]، لكن سعدًا كان قد ترك هذا

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٢-٧٣).

(٢) يعني بعد مقتل طلحة والزبير يوم الجمل.

الأمر، وكان الأمر قد انحصر في علي وفي عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فلما توفي عثمان لم يبق لها معيّن إلا علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وإنما وقع ما وقع من الشر بسبب قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1].

وذكر السفاريني عن التفتازاني في (شرح المقاصد)[2] عن بعض المتكلمين قوله: انعقد على بيعة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الإجماع، ووجه انعقاده: ما انحصر الأمر فيه وفي عثمان زمن الشورى، على أنها له أو لعثمان، وهذا إجماع على عليّ لولا عثمان فلما توفي عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقيت لعليّ إجماعًا، ومن ثَمّ قال بعض محققي علماء الكلام[3]: لا اكتراث بقول من قال: لا إجماع على إمامة عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وقد تقدم في كلام شيخ الإسلام ما يفهم منه هذا المقام[4].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥/ ٧٣-٧٤).

(٢) شرح المقاصد (٥/ ٢٨٩).

(٣) يعني علماء العقيدة.

(٤) لوامع الأنوار (٣/ ٥١٠).

(٦)

العشرة المبشرون بالجنة

وأنّ العشرة الذين سماهم رسول الله ﷺ، وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله ﷺ، وقوله الحق.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها إجماع العلماء في الأمصار: (أنّ العشرة) من المهاجرين (الذين سماهم رسول الله ﷺ) وسماهم بأسمائهم (وشهد لهم بالجنة) نشهد لهم بها قطعًا لا شك فيه، (على ما شهد به رسول الله ﷺ، وقوله الحق) وهو وحي من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]، وخصوا بهذا الوصف لأن النبي ﷺ جمعهم في حديث واحد فقال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(١).

والشهادة بالجنة أو بالنار ليس للعقل فيها مدخل، بل موقوفة على الشرع، فمن شهد له الشارع بذلك شهدنا له، ومن لا فلا، لكننا نرجو للمحسن من المسلمين، ونخاف على المسيء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فمن ثبتت ولايته بالنص وأنه من أهل الجنة -كالعشرة وغيرهم- فعامة أهل السنة يشهدون له بما شهد له به النص.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩٣)، والترمذي (٣٧٤٧)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٥٦) وسنده صحيح.

وأمّا من شاع له لسان صدق في الأمة، بحيث اتفقت الأمة على الثناء عليه، فهل يشهد له بذلك؟ هذا فيه نزاع بين أهل السنة، والأشبه أن يشهد له بذلك. اهـ[١]

واعلم أن الشهادة بالجنة أو بالنار تنقسم إلى قسمين: عام، وخاص. فالشهادة العامة، هي المعلقة بالوصف المطلق، دون الشخص المعين، مثل أن نشهد لكل مؤمن بأنه في الجنة أو لكل كافر بأنه في النار أو نحو ذلك من الأوصاف التي جعلها الشارع سببًا لدخول الجنة أو النار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر:٣٢-٣٣]. قال ابن كثير: يقول تعالى: ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم، المصدق لما بين يديه من الكتب، الذين اصطفينا من عبادنا، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾، وهو: المفرط في فعل بعض الواجبات، المرتكب لبعض المحرمات. ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو: المؤدي للواجبات، التارك للمحرمات، وقد يترك بعض المستحبات، ويفعل بعض المكروهات. ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، وهو: الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، قال: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب. اهـ[٢] وجاء معناه مرفوعًا من طرق يشد بعضها بعضًا كما قال ابن كثير، فالحمد لله وحده، ثم قال بعدها: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٦).

عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر:٣٦]. فهذا وعيد عام لكل كافر على وجه العموم، والله أعلم بعباده.

وأما الشهادة الخاصة فهي المعلقة بشخص معين، مثل الشهادة لشخص معين بأنه في الجنة، أو لشخص معين بأنه في النار فلا نعين إلا ما عينه الله أو رسوله ﷺ.

والمعينون من أهل الجنة كثيرون غير العشرة.

وممن شهد له النبي ﷺ بالجنة الحسن، والحسين، وثابت بن قيس وعكاشة بن محصن وعبد الله بن سلام وبلال بن رباح وخديجة وفاطمة وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. قال النبي ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**»[١]. وقال ﷺ في ثابت بن قيس: «**إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة**»[٢]. وصح أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الحجرات:٢]؛ قال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتا على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار. فذكر ذلك سعد بن معاذ للنبي ﷺ، فقال: «**بل هو من أهل الجنة**»[٣]. ومنهم عكاشة بن محصن الأسدي لحديث السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قال: «**سبقك بها عكاشة**». متفق عليه[٤] ومنهم عبد الله بن سلام لحديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لحي يمشي على الأرض: «إنه في الجنة؛ إلا لعبد الله بن سلام». متفق عليه، واللفظ لمسلم[٥].

---

(١) رواه أحمد (١١٠١٢)، والترمذي (٣٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٤٨٤٦) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه مسلم (٢٤٨٣).

ومنهم خديجة بنت خويلد فقد بشرها رسـول الله ﷺ ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب(١)، وبلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال له النبي ﷺ: **«فإني سمعت دفّ نعليك بين يديّ في الجنة»**(٢). وغيرهم كثير.

فأهل السنة يشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ. وكذلك ما جاء ذكره من المؤمنين في القرآن مثل مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون كما في قوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم:١١] الآية.

وأما المعينون من أهل النار في الكتاب والسنة فمنهم: أبو لهب عبد العزى بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ، وامرأته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان لقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] إلى آخر السورة، وفرعون وهامان وقارون وامرأة نوح وامرأة لوط، وغيرهم مما جاء في القرآن.

ومن المعينين بالسنة: أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب لقول النبي ﷺ: **«أهون أهل النار عذابًا أبو طالب وهو منتعل نعلين يغلي منهما دماغه»**(٣)، ومنهم عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي قال النبي ﷺ: **«رأيته يجر قصبه في النار»**(٤). والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه البخاري (١١٤٩)، ومسلم (٢٤٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رواه البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري (٣٥٢١)، ومسلم (٢٨٥٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧)

الترحم على جميع الصحابة

والترحّم على جميع أصحاب محمد.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها جميع العلماء من أهل السنةِ والجماعة: (الترحّم على جميع أصحاب) النبي (محمد) ﷺ، والأصحاب جمع صاحب، وهو شرعًا من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ولو لحظة ومات على ذلك، ولو تخللته ردة على الأصح، كما قال الحافظ ابن حجر في (النخبة).

ومحبتهم والتراحم عليهم هو ما كان عليه السلف، وذكر اللالكائي عن أبي حاتم الرازي قوله: ونترحم على جميع أصحاب النبي ﷺ، ولا نسب أحدا منهم لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عن شعيب بن حرب قال: قلت: لمالك بن مغول أوصني، قال: أوصيك بحب الشيخين أبي بكر وعمر، فوالله إني لأرجو لك في حبهما ما أرجو لك في التوحيد[١]. وعن مسروق، قال: حب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة[٢]. قال شيخ الإسلام: أي من شريعة النبي ﷺ التي أمر بها فإنه قال: «اقتدوا بالذين بعدي أبي بكر وعمر»، ولهذا كان معرفة فضلهما على من بعدهما واجبًا لا يجوز التوقف فيه[٣].

---

(١) رواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين (٢/ ٢٤٤).

(٢) رواه الفسوي في المعرفة والتاريخ (٢/ ٨١٢، ٨١٣).

(٣) الفتاوى (٤/ ٤٣٥).

وقال ابن أبي زمنين المالكي: ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ، وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم وقد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ في غير موضع من كتابه ثناءً أوجب التشريف لهم بمحبتهم والدعاء لهم[(١)].

قال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في أصول السنة له: والترحم على أصحاب محمد ﷺ كلهم، فإن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠]، فلم يؤمن إلا بالاستغفار لهم، فمن يسبهم أو ينقصهم أو أحدًا منهم، فليس على السُّنَّة، وليس له في الفيء حق، أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس أنه قال: قسم الله تعالى الفيء فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر:٨]، قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر:١٠] الآية، فمن لم يقل هذا لهم، فليس ممن له الفيء. اهـ[(٢)]

وهذا الأثر ثابت عن الإمام مالك وتبعه عليه العلماء، رواه اللالكائي، وغيره من طريق معن بن عيسى، قال: سمعت مالك بن أنس يقول: من سب أصحاب رسول الله ﷺ فليس له في الفيء حق، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر:٨]، الآية، هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ الذين هاجروا معه، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ [الحشر:٩]، الآية، هؤلاء الأنصار، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠]، فالفيء لهؤلاء الثلاثة، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ فليس من هؤلاء الثلاثة، ولا حق له في الفيء[(٣)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا

---

(١) أصول السنة (ص:٢٦٣).

(٢) أصول السنة للحميدي (ص:٦).

(٣) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السُّنَّة (٢٤٠٠) وإسناده صحيح.

معروف عن مالك وغير مالك من أهل العلم، كأبي عُبيد القاسم بن سلام. اهـ[(١)]

وقد أمرنا الله أن نترحم على أصحاب نبيه ﷺ وأن نستغفر لهم وأن نسلم عليهم في عباده الذي اصطفى كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، لما ذكر من يستحق الفيء من المهاجرين ووصفهم بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر:٨]، ثم ذكر الأنصار وصفهم بالنصرة والإيثار على أنفسهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩]، ثم ذكر من تبعهم بإحسان وأن من صفتهم الاستغفار لمن سبق من المهاجرين والأنصار، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]، وفي قوله: ﴿رَّحِيمٌ﴾ تنبيه على طلب الرحمة لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فيبين الله تعالى حال الفقراء المستحقين لمال الفيء أنهم: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ [الحشر:٨] وهذه صفة المهاجرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾. ثم قال تعالى مادحا للأنصار، ومبينًا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم، وإيثارهم مع الحاجة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر:٩] أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم، كما قال عمر: وأوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ

---

(١) منهاج السُنَّة (٢/ ٢٠).

لهم كرامتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل، أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم. رواه البخاري[١].

وقوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من كرمهم وشرف أنفسهم، يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم، وروى الإمام أحمد عن أنس قال: قال المهاجرون: يا رسول الله، ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلًا في كثير، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله! قال: «**لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم**»[٢].

وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أفضل الصدقة جهد المقل**»[٣]، وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان:٨]. وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة:١٧٧]. فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه. وعن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال النبي ﷺ: «**ألا رجل يضيف هذا الليلة، رحمه الله؟**»، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله! فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيفُ رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئًا. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوِّميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة! ففعلت، ثم غدا

---

(١) رواه البخاري (١٣٩٢).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٢٠٠)، والترمذي (٢٤٨٧) وقال: حسن صحيح غريب، وهو كما قال.

(٣) أخرجه أحمد (٨٧٠٢)، وأبو داود (١٦٧٧) بسند صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: «لقد عجب الله، عَزَّوَجَلَّ -أو: ضحك- من فلان وفلانة»، وأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، رواه البخاري ومسلم، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

ومن هذا المقام تصدق الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجميع ماله، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله[٢].

وأما قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] فهذا صفة القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء، وهم التابعون بإحسان، كما قال في آية براءة: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة:١٠٠] فالتابعون لهم بإحسان، هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة، الداعون لهم في السر والعلانية؛ ولهذا قال في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ﴾ أي: قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾ أي: بغضًا وحسدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة: أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. وروى ابن أبي حاتم عن عائشة أنها قالت: أمروا أن يستغفروا لهم، فسبوهم! ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

---

(١) رواه البخاري (٤٨٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

(٢) رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) وقال: حسن صحيح، وهو كما قال.

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية. وفي رواية عن عائشة قالت: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرُها أوَّلها»، رواه البغوي[(١)].

وله شاهد عند مسلم عن عروة قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي، أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم[(٢)].

قال القرطبي: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ يعني التابعين ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قال ابن أبي ليلى: الناس ثلاثة منازل: المهاجرون، والذين تبوءوا الدار والإيمان، والذين جاءوا من بعدهم، فاجهد ألا تخرج من هذه المنازل. وروى مصعب بن سعد قال: الناس على ثلاثة منازل، فمضت منزلتان وبقيت منزلة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. وعن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جده علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه جاءه رجل فقال له: يا ابن بنت رسول الله ﷺ، ما تقول في عثمان؟ فقال له: يا أخي، أنت من قوم قال الله فيهم: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ﴾ [الحشر:٨] الآية!. قال: لا! قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية، فأنت من قوم قال الله فيهم: و﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [الحشر:٩] الآية!. قال: لا! قال: فوالله لئن لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الإسلام، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠] الآية. وقد قيل: إن محمد بن علي بن الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، روى عن أبيه: أن نفرًا من أهل العراق جاءوا إليه، فسبوا أبا بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأكثروا، فقال لهم: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا: لا! فقال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ فقالوا: لا!. فقال: قد تبرأتم

---

(١) معالم التنزيل للبغوي (٨/ ٨٠).

(٢) رواه مسلم (٣٠٢٢).

من هذين الفريقين! أنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾! قوموا، فعل الله بكم وفعل! ذكره النحاس.

وهذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة، لأنه جعل لمن بعدهم حظًا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحدًا منهم أو اعتقد فيه شرًا، أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن مالك وغيره. قال مالك: من كان يبغض أحدًا من أصحاب محمد ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ﴾ نصب في موضع الحال، أي قائلين: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، فيه وجهان: أحدهما: أمروا أن يستغفروا لمن سبق هذه الأمة من مؤمني أهل الكتاب! الثاني: أمروا أن يستغفروا للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار. قال ابن عباس: أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، وهو يعلم أنهم سيفتنون. وقالت عائشة: أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد فسببتموهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها**»، وقال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعن الله أشركم**»، وقال العوام بن حوشب: أدركت صدر هذه الأمة يقولون: اذكروا محاسن أصحاب رسول الله ﷺ حتى تألف عليهم القلوب، ولا تذكروا ما شجر بينهم فتجسروا الناس عليهم. وقال الشعبي: تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة! سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب موسى! وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب عيسى! وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد!، أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم

قدم، ولا تجتمع لهم كلمة كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، بسفك دمائهم وإدحاض حجتهم، أعاذنا الله وإياكم من الأهواء المضلة. اهـ[١]

هذا وقد أمرنا الله بالسلام عليهم في جملة المصطفين الأخيار، في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل:٥٩]، فإنهم أولى هذه الأمة بهذه المزية العظيمة، وقد فسرها بعض السلف بالسلام على الصحابة، كما جاء عن غير واحد منهم ابن عباس والثوري والسدي، فقد روى البزار عن ابن عباس: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾، قال: هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٢]. وعن وكيع عن الثوري في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾، قال: هم أصحاب محمد ﷺ[٣]. وعن الحكم بن ظهير قال سمعت السدي في قوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾، قال: هم أصحاب محمد ﷺ[٤].

قال ابن كثير: يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ أن يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، أي: على نعمه على عباده، من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى، وأن يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم، وهم رسله وأنبياؤه الكرام، عليهم من الله الصلاة والسلام، هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيره: إن المراد بعباده الذين اصطفى: هم الأنبياء، قال: وهو كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:١٨٠-١٨١]. وقال الثوري، والسدي: هم أصحاب محمد ﷺ رضي الله عنهم أجمعين، وروي نحوه عن ابن عباس.

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٣١) باختصار.

(٢) رواه البزار في مسنده (٢٢٤٣ كشف الأستار)، وضعفه الهيثمي.

(٣) رواه أبو الشيخ في طبقات المحدثين (٢/ ٢١٣).

(٤) رواه ابن عدي في الكامل (٢/ ٦٢٦).

ولا منافاة، فإنهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى، والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ما ذكر لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد، وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر، أن يحمدوه على جميع أفعاله، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار. وقد قال أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عمارة بن صبيح، حدثنا طلق بن غنام، حدثنا الحكم بن ظهير، عن السدي -إن شاء الله- عن أبي مالك، عن ابن عباس: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قال: هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. اهـ(١)

قلت: صدق ابن كثير: فإنه لا تنافي بين كون المصطفين هم الرسل والأنبياء وكون ذلك شامل لأصحاب النبي ﷺ، فإنه أفضل هذه الأمة وهي أمة مصطفاة بنص الكتب والسنة، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر:٣٢]، قال البغوي في تفسيره: ﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ قال ابن عباس: يريد أمة محمد ﷺ، ثم قسمهم ورتبهم فقال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾... إلخ(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٠١).

(٢) تفسير البغوي (٦/ ٤٢١-٤٢٢).

(٨)

الكف عما شجر بين الصحابة

والكف عمَّا شجر بينهم.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها إجماع علماء أهل السنة والجماعة: (الكفُّ عما شجر) من الفتن والقتال (بينهم) أي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الإمام أحمد بن حنبل في رسالته في (أصول السنة) رواية عبدوس العطار: ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة: ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساوئهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرَّض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم، فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا؛ بل حبهم سنة، والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة. اهـ(١)

وقال الطحاوي في (عقيدة أهل السنة): ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرِّط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. اهـ(٢)

وعن أيوب السختياني قال: من أحب أبا بكر فقد أقام الدين، ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله، ومن أحب عليًا فقد استمسك

---

(١) انظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٩) ط. الفقي.

(٢) العقيدة الطحاوية بشرح ابن أبي العز الحنفي (٢/ ٧٠٤).

بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] وطاعة النبي ﷺ في قوله: «**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**»[2]، ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم. اهـ

ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساوئهم، منها ما هو كاذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص، وغُيِّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون، وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره؛ بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر عنهم إن صدر؛ حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات مما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ: «إنهم خير القرون» و«أن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا ممن بعدهم»، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب! فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفِرَ له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ، الذي هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطؤوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

---

(١) رواه ابن حبان في الثقات (٩/ ٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠).

ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليلٌ، نزرٌ، مغفورٌ في جنب فضائل القوم ومحاسنهم، من الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما مَنَّ الله عليهم به من الفضائل، علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله[1]. اهـ

وقد مدحهم الله بمدح عظيم وصفة جليلة في كتبه المنزلة، وبين أنه لا يغتاظ منهم إلا الكفار، فقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح:٢٩]، فيخبر تعالى عن رسوله ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، أنهم بأكمل الصفات، وأجل الأحوال، كما تقدم ذكره في فضل الصحابة.

قال ابن كثير: ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ -في رواية عنه- بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة، قال: لأنهم يغيظونهم، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية. ووافقه طائفة من العلماء على ذلك. والأحاديث في فضائل الصحابة والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة، ويكفيهم ثناء الله عليهم، ورضاه عنهم. ثم قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم﴾ (من) هذه لبيان الجنس[2]، ﴿مَّغْفِرَةً﴾

(١) الواسطية (ص:٢٣٧، ٢٤٩) شرح الهراس.

(٢) أي: ليست هنا للتبعيض وتقدم ذكر ما قاله ابن هشام في مغني اللبيب (ص:٤٢١): وفي كتاب المصاحف لابن الأنباري أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

أي: لذنوبهم. ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: ثوابًا جزيلًا ورزقًا كريمًا، ووعد الله حق وصدق، لا يخلف ولا يبدل، وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل[١]. اهـ

والكف عما شجر بين الصحابة هو دأب الصالحين من هذه الأمة، فقد كان عمر بن عبد العزيز إذا سئل عن صفين والجمل قال: أمرٌ أخرج الله يدي منه لا أدخل لساني فيه[٢]

وعن أحمد بن الحسن الترمذي قال سألت أبا عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- قلت: ما تقول فيما كان من أمر طلحة والزبير وعلي وعائشة وأظن ذكر معاوية؟ فقال: من أنا أقول في أصحاب رسول الله ﷺ كان بينهم شيئًا! الله أعلم[٣].

وروى الخلال[٤]: عن حنبل قال: أردت أن أكتب كتاب صفين والجمل، عن خلف ابن سالم، فأتيت أبا عبد الله أكلمه في ذاك، وأسأله، فقال: وما تصنع بذاك؟ وليس فيه حلال ولا حرام، وقد كتبت مع خلف حيث كتبه فكتبت الأسانيد وتركت الكلام، وكتبها خلف! وحضرت عند غندر، واجتمعنا عنده، فكتبت أسانيد حديث شعبة وكتبها خلف على وجهها! قلت له: ولم كتبت الأسانيد وتركت الكلام، قال: أردت أن أعرف ما روى شعبة منها، قال حنبل: فأتيت خلف فكتبتها! فبلغ أبا عبد الله، فقال لأبي: خذ الكتاب

= ﴿الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [المائدة:٩]، في الطعن على بعض الصحابة! والحق أن (من) فيها للتبيين لا للتبعيض، أي: الذين آمنوا هم هؤلاء، ومثله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٧٢] وكلهم محسن ومتق، ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة:٧٣]، فالمقول فيهم ذلك كلهم كفار. اهـ

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٢-٣٦٣) ط. سلامة.

(٢) رواه الخلال في السنة (٢/ ٤٦١).

(٣) السنة للخلال (٢/ ٤٦٠).

(٤) كتاب السنة (٢/ ٤٦٠).

فاحبسه عنه، ولا تدعه ينظر فيه. وأخبرني[١] محمد بن أبي هارون ومحمد بن جعفر أن أبا الحارث حدثهم قال: سمعت أبا عبد الله يقول: قال ﷺ: «خير الناس قرني»، فلا يقاس بأصحابه أحد من التابعين، وقال أبو عبد الله: من تنقّص أحدًا من أصحاب رسول الله فلا ينطوِي إلا على بلية، وله خبيئة سوء، إذا قصد إلى خير الناس وهم أصحاب رسول الله حسبك. أخبرنا[٢] أبو بكر المروذي، قال: حدثني عبد الصمد، قال: قال بشر: قال عبد الله بن إدريس: لو أن الروم سبوا من المسلمين، من الروم إلى الحيرة، ثم ردهم رجل في قلبه شيء على أصحاب محمد ﷺ ما قبل الله منه ذلك. أخبرنا عبد الله بن محمد بن سهرة، قال ثنا عبدالرحمن بن عمر الزهري، قال: ثنا أبو عروة الزبيري، قال ذُكر عند مالك بن أنس رجلٌ ينتقص، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح:٢٩]، فقال مالك: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب محمد عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فقد أصابته الآية. وأخبرنا[٣] الحسين صالح العطار، قال: ثنا هارون بن يعقوب الهاشمي، قال: سمعت أبي يعقوب بن العباس، قال: كنا عند أبي عبدالله -سنة سبع وعشرين- أنا وأبو جعفر بن إبراهيم فقال له أبو جعفر: أليس نترحم على أصحاب رسول الله كلهم، معاوية وعمرو بن العاص وعلى أبي موسى الأشعري والمغيرة؟ قال: نعم كلهم، وصفهم الله في كتابه، فقال: ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩]، وقال الخلال[٤]: أخبرنا أبو بكر المروذي قال: قيل لأبي عبد الله -يعني

(١) كتاب السنة (٢/ ٤٦٠).

(٢) كتاب السنة (٢/ ٤٦٠).

(٣) كتاب السنة (٢/ ٤٦٠).

(٤) كتاب السنة (٢/ ٤٦٠).

أحمد بن حنبل- ونحن بالعسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة -وهو يعقوب- فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رحمهما الله؟ فقال أبو عبد الله: ما أقول فيها إلا الحسنى رحمهم الله أجمعين.

وقال: بشر بن الحارث الحافي: خطأُ أصحاب محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ موضوع عنهم[١].

قال أبو بكر المروذي: سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل: إن قوما يكتبون هذه الأحاديث الرديئة في أصحاب رسول الله ﷺ، وقد حكوا عنك أنك قلت: أنا لا أنكر أن يكون صاحب حديث يكتب هذه الأحاديث يعرفها؛ فغضب! وأنكره إنكارًا شديدًا! وقال: باطلٌ معاذَ الله! أنا لا أنكر هذا؟ لو كان هذا في أفناء الناس لأنكرته! فكيف في أصحاب محمد ﷺ! وقال: أنا لم أكتب هذه الأحاديث! قلت لأبي عبد الله: فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها أيهجر؟ قال: نعم، يستأهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم! وقال أبو عبد الله: جاءني عبدالرحمن بن صالح، فقلت له: تحدث بهذه الأحاديث! فجعل يقول: قد حدث بها فلان وحدث بها فلان! وأنا أرفق به وهو يحتج فرأيته بعد فأعرضت عنه ولم أكلمه[٢].

وقال أبو بكر المروذي: سمعت ابن نمير يقول: سمعت أبي يقول: سمعت الأعمش يقول -وذكر حديثه الذي ينكرونه- فقال: كنت أحدثهم بأحاديث يقولها الرجل لأخيه في الغضب فاتخذوها دينًا، لا جرم لا أعود لها[٣].

يعني ما يروى من سباب بعض الصحابة لبعضهم في الغضب، فيستدل به هؤلاء في التنقص لهم، أو يتخذونه منهجًا يقتدون بهم فيه بالتعرض للصحابة، وهو مما لا يقتدى

---

(١) السنة للخلال (٢/ ٤٨٠).

(٢) السنة للخلال (٣/ ٥٠١).

(٣) السنة للخلال (٣/ ٥٠٨).

به، لأنه على خلاف الأصل، بل جاءت بمقتضى البشرية وأنهم غير معصومين.

وقال أبو بكر المروذي: قلت لأبي عبد الله: استعرتُ من صاحب حديث كتابًا يعني فيه الأحاديث الرديئة، ترى أن أحرِّقَه أو أخرقه! قال: نعم لقد استعار سلام بن أبي مطيع من أبي عوانة كتابًا فيه هذه الأحاديث فأحرق سلام الكتاب! قلت: فأحرقه؟ قال: نعم[(١)].

قلت: هذا -والله- الفقهُ، لأن هذه الكتب كتب بدعة محرمة، والمحرم لا يعد مالًا محترمًا، ولا يحل بيعه، كما قال الفقهاء في كتب المجون والبدع، فقد ذهبوا إلى أن الكتب المحرمة يجوز إتلافها[(٢)]، ونص المالكية على أن كتب العلم المحرم -كالتوراة والإنجيل- يجوز إحراقها وإتلافها إذا كانا محرفين، وقال الشافعية: يجب إتلاف كتب الكفر والسحر والتنجيم والشعبذة والفلسفة لتحريم الاشتغال بها. ونقل عَميرة عن (شرح المهذب): وكتب الكفر والسحر ونحوها يحرم بيعها ويجب إتلافها[(٣)]، وقال الشيخ موسى الحجاوي الحنبلي في (الإقناع): ويصح شراء كتب زندقة ليتلفها[(٤)]، وظاهره: أنه لا يجوز ولا يصح إلا بهذا القصد، وهو إتلافها[(٥)].

---

(١) السنة للخلال (٣/ ٥١٠).

(٢) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، للشيخ محمد الرعيني الحطاب المالكي (١/ ٢٨٧)، ومغني المحتاج، للشيخ محمد الشربيني الشافعي (٢/ ١٢)، وكشاف القناع، للشيخ منصور البهوتي الحنبلي (٣/ ١٥٥)، وعنهم في الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٤/ ١٩٢).

(٣) حاشية عَميرة على شرح المنهاج (٢/ ١٥).

(٤) انظر: كشاف القناع، للشيخ منصور البهوتي (٣/ ١٥٥).

(٥) وفي كتاب الأسئلة والأجوبة الفقهية، للشيخ عبد العزيز السلمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٣/ ١٠٩): «يجب إتلاف كتبهم المبدلة دفعًا لضررها، وقياسه كتب نحو رفض واعتزال» اهـ.

(٩)

الاستواء على العرش

وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ على عرشه، بائنٌ من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيفٍ ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

(و) ومن الأصول التي أدركوا عليها إجماع علماء أهل السنة والجماعة في الأمصار: **(أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ)** مستوٍ **(على عرشه، بائنٌ)** أي منفصلٌ **(من خلقه، كما وصف نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ)** نؤمن بذلك **(بلا كيفٍ)** نكيفه أو نتخيله، لأنه أخبرنا عنه بما نفهمه من لسان العرب ولم يخبرنا عن الكيفية، وهو عَزَّوَجَلَّ (﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢])، فإنه جَلَّجَلَالُهُ (﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١])، فأهل السنة مجمعون على أن الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مستوٍ على عرشه حقيقةً، استواءً يليق بجلاله، منفصل عن خلقه غير حال بهم ولا متحد معهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ كما في قَوْله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعَ، هذا أحدها في طه، والثاني فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ؛ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]، وَقَالَ فِي سُورَةِ يُونُسَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس:٣]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الرَّعْدِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد:٢]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان:٥٩]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الم السَّجْدَةِ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى

سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة:٤]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْحَدِيدِ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤]، هَذِهِ هِيَ الْمَوَاضِعُ السَّبْعَةُ الَّتِي أَخْبَرَ فِيهَا سُبْحَانَهُ بِاسْتِوَائِهِ عَلَى الْعَرْشِ، وَكُلُّهَا قَطْعِيَّةُ الثُّبُوتِ؛ لِأَنَّهَا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَا يَمْلِكُ الْجَهْمِيُّ الْمُعَطِّلُ لَهَا رَدًّا وَلَا إِنْكَارًا، كَمَا أَنَّهَا صَرِيحَةٌ فِي بَابِهَا، لَا تَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا، فَإِنَّ لَفْظَ: (اسْتَوَى) فِي اللُّغَةِ إِذَا عُدِّيَ بِـ(عَلَى) لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفْهَمَ مِنْهُ إِلَّا الْعُلُوُّ وَالِارْتِفَاعُ، وَلِهَذَا لَمْ تَخْرُجْ تَفْسِيرَاتُ السَّلَفِ لِهَذَا اللَّفْظِ عَنْ أَرْبَعِ عِبَارَاتٍ؛ ذَكَرَهَا الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي (النُّونِيَّةِ)؛ حَيْثُ قَالَ:

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ ... قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ارْ ... تَفَعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
وَكَذَاكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ ... وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِيِّ
يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ ... أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

فَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ أَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ بِالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَعْلَمُهَا هُوَ جَلَّ شَأْنُهُ؛ كَمَا قَالَ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ: الِاسْتِوَاءُ مَعْلُومٌ، وَالْكَيْفُ مَجْهُولٌ.

قال القرطبي -رحمه الله تعالى- في تفسيره في الكلام على قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾: ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فإنه لا يعلم حقيقة كيفيته، قال الإمام مالك: الاستواء معلوم -يعني في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة[١]. اهـ

(١) العلو للذهبي (١/ ٣٦٦) ومختصر للألباني (ص:٣٨٦).

وهذا الأثر عن مالك صح من طرق ذكرها الذهبي في (العلو للعلي الغفار)، وقال: هذا ثابت عن مالك وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك وهو قول أهل السنة قاطبة: أن كيفية الاستواء لا نعقلها؛ بل نجهلها، وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به لا نعمق ولا نتحذلق ولا نخوض في لوازم ذلك نفيًا ولا إثباتًا؛ بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه الصحابة والتابعون ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقينًا مع ذلك أن الله جَلَّجَلَالُهُ لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. اهـ[(١)]

فالسلف رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ يؤمنون بكل ما أخبر الله به عن نفسه في كتابه، وبكل ما أخبر به عنه رسوله ﷺ إيمانًا سالمًا من التحريف والتعطيل، ومن التكييف والتمثيل، ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته بابًا واحدًا؛ فإن الكلام في الصفات فرعُ الكلام في الذات، يُحْتَذَى فيه حَذْوُه، فإذا كان إثبات الذات إثباتَ وجودٍ لا إثبات تكييف؛ فكذلك إثبات الصفات. وقد يعبِّرون عن ذلك بقولهم: تُمَرُّ كَما جاءت بلا تأويل، ومَن لم يفهم كلامهم؛ ظنَّ أنّ غرضهم بهذه العبارة هو قراءة اللفظ دون التعرُّض للمعنى، وهو باطل، فإن المراد بالتأويل المنفي هنا هو كنه الصفة وكيفيتها، فيثبتون المعنى وينفون حقيقته، وهي الكيفية. فإنهم كانوا يقولون أحيانًا: تُمَرُّ كما جاءت؛ بلا كيف، وما كانوا يقولون: تُمَرُّ كما جاءت بلا معنى، فعُلِمَ من ذلك أنهم يُثْبِتُون المعنى، وينفون الكيف. قال الإمام أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ: لا يوصَفُ الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، ولا يتجاوز القرآن والحديث[(٢)]، وقال نُعيم بن حمَّاد (شيخ البخاري): مَن شبَّه الله بخلقه؛ كفر، ومَن جحد ما وصف الله

---

(١) العلو للعلي الغفار للذهبي (١/ ١٣٩).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦).

به نفسه؛ كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيهٌ ولا تمثيل[١].

قال العلامة الشنقيطي في (تفسيره)[٢]: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الأعراف:٥٤] الآية. هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:١٠] ونحو ذلك؛ أشكلت على كثير من الناس إشكالًا ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علوًّا كبيرًا عن ذلك كله، والله جَلَّ وَعَلَا أوضح هذا غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال، وحاصل تحرير ذلك: أنه جَلَّ وَعَلَا بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين:

أحدهما: تنزيه الله جَلَّ وَعَلَا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن ذلك علوًّا كبيرًا.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله ﷺ؛ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله: ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠]، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ، الذي قال فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤] فمن نفى عن الله وصفًا أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله ﷺ زاعمًا أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جَلَّ وَعَلَا، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جَلَّ وَعَلَا. ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٦]، ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مع تنزيهه جَلَّ وَعَلَا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال،

---

(١) رواه الذهبي بإسناده في كتاب العلو، وقال الألباني في مختصر العلو (ص:١٨٤): «وهذا إسنادٌ صحيحٌ». اهـ. ونُعَيم بن حماد: هو أبو عبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخُزاعي المروزي، أعلم الناس بالفرائض، كان شديد الرد على الجهمية وأهل الأهواء، توفي سنة ٢٢٨هـ.

(٢) أضواء البيان (٢/ ١٨).

والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا؛ هي قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فنفى عن نفسه جَلَّ وَعَلَا مماثلة الحوادث بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الاتصاف بصفات الكمال والجلال.

والظاهر أن السر في تعبيره بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، دون أن يقول مثلًا: (وهو العلي العظيم) أو نحو ذلك من الصفات الجامعة؛ أن السمع والبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فبين أن الله متصف بهما، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى، وبين صفات خلقه، ولذا جاء بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ بعد قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، ففي هذه الآية الكريمة إيضاح للحق في آيات الصفات لا لبس معه ولا شبهة البتة. اهـ

(١٠)

رؤية الله تعالى في الآخرة

وأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرى في الآخرة، ويراه أهل الجنة بأبصارهم.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها إجماع العلماء: (أنه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُرى في الآخرة، ويراه أهل الجنة بأبصارهم) أي رؤية حقيقة، وهذا مما أجمع عليه السلف ونص الله عليه في كتابه، وتواترت به السنن عن النبي ﷺ والآثار عن الصحابة والتابعين، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٢٣]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] وهي النظر إلى وجه الله كما صح في الحديث[١]، وَقَوْلُهُ جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥] والمزيد النظر إليه عَزَّوَجَلَّ كما صح في الحديث، وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ الله كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ، فَهَذِهِ الْآيَاتُ وغيرها تُثْبِتُ رُؤْيَةَ الْمُؤْمِنِينَ لله عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الْجَنَّةِ. قال يزيد بن هارون أنبانا مبارك عن الحسن: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] قال: نظرت إلى ربها تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فنضرت بنوره.

وقول المصنف: (بأبصارهم) إثبات لمعتقد السلف بأنها رؤية حقيقية لا مجازية. قال ابن بطة: سمعت أبا عمر الزاهد اللغوي يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبًا يقول في قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٣-٤٤]: أجمع أهل اللغة أن اللقاء هاهنا لا يكون إلا معاينة ونظرة بالأبصار. اهـ[٢]

---

(١) حديث صهيب الرومي رواه مسلم (١٨١) كما سيأتي.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/ ٤٨٨).

قال نعيم بن حماد: سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال: ما حجب الله عَزَّوَجَلَّ أحدًا عنه إلا عذبه، ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين:١٥-١٧] قال بالرؤية[١].

قال علي بن عبد الله: سألت عبد الله بن المبارك عن قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:١١٠]، قال من أراد النظر إلى وجه خالقه فليعمل عملًا صالحًا ولا يخبر به أحدًا[٢].

وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة، فقلت له: يا أبا عبد الله، إنَّ عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا، وأهل الجنة يرون ربهم، فحدَّثَني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوه[٣]؟.

وقال عقبة بن قبيصة: أتينا أبا نعيم -وهو الفضل بن دكين- يومًا فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها، كأنه مغضب، وقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن بن صالح، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي، وهؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يرى في الآخرة، حتى أن يهوديًا صباغًا يزعم أن الله لا يرى!، يعني بشرًا المريسي[٤].

(١) رواه اللالكائي (٨٩٤).

(٢) رواه اللالكائي (٨٩٥).

(٣) رواه عبد الله بن أحمد في السنة (٥٠٩) واللالكائي (٨٧٩) وانظر: حادي الأرواح، لابن القيم ط. المديني، و(٢/ ٦١٥، وما بعدها) ط. الفوائد.

(٤) رواه اللالكائي (٨٨٧)، وانظر: حادي الأرواح (٢/ ٦١٦).

قال ابن القيم في (حادي الأرواح): فاسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية، قال ابن مردويه في تفسيره: حدثنا إبراهيم: عن محمد حدثنا صالح بن أحمد: حدثنا يزيد بن الهيثم: حدثنا محمد ابن الصباح: حدثنا المصعب بن المقدام: حدثنا سفيان، عن ثوير بن أبي ناجية، عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢] قال: «من البهاء والحسن»، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: «في وجه الله عَزَّوَجَلَّ». وقال أبو صالح عن ابن عباس: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى وجه ربها عَزَّوَجَلَّ، وقال عكرمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ قال: من النعيم ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ قال: تنظر إلى ربها نظرًا، ثم حكى عن ابن عباس مثله وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس:٢٥-٢٦]، فالحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجهه الكريم، كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن فالصحابة من بعده، كما روى مسلم في (صحيحه) من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: قرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] قال: **«إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار، فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة»**[1]. وعن أنس قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: **«للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة،**

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

والزيادة وهي النظر إلى وجه الله تعالى»[(١)]، وروى ابن جرير عن كعب بن عجزة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جَلَّجَلَالُهُ»، وروى ابن جرير عن أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب قال: سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ قوله تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ»[(٢)]، وروى أسد السنة عن أبي موسى: سمع رسول الله ﷺ يقول: «يبعث الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة مناديًا ينادي: يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن الله وعدكم الحسنى والحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ»[(٣)]، وروى ابن وهب عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يأمر يوم القيامة مناديا ينادي: يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وأخرهم إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن»[(٤)].

وروى ابن جرير عن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: النظر إلى وجه الله الكريم[(٥)]. وله عن مسلم بن يزيد عن حذيفة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، قال: النظر إلى وجه ربهم تعالى[(٦)]. وله عن أبي موسى الأشعري قال: إذا كان

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٤٠)، والدارقطني في الرؤية (٥٧)، والحسن بن عرفة في جزئه (٨٥)، واللالكائي في أصول السنة (٧٧٩) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧٦٦٣)، واللالكائي في السنة (٧٨١، ٨٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠٣٣٦)، والدارقطني في الرؤية (١٨٣).

(٣) أخرجه ابن جرير (١٧٦١٤)، وابن وهب في الجامع (١٧١).

(٤) أخرجه ابن جرير (١٧٦١٨)، وابن أبي حاتم وابن مردويه في تفاسيرهم، والدارقطني في الرؤية كما في الدر المنثور (٣/ ٣٠٥) وسنده ضعيف، والصحيح موضوف على أبي موسى الأشعري.

(٥) رواه ابن جرير (١٧٦١٠)، والآجري في الشريعة (ص:٢٥٧)، وابن أبي شيبة وابن خريمة وابن المنذر وأبو الشيخ والدارقطني في الرؤية والبيهقي في الرؤية كما في الدر المنثور (٣/ ٣٠٦).

(٦) أخرجه الطبري (١٧٦١٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٩٥)، وهناد في الزهد (١٧٠).

يوم القيامة يبعث الله تعالى إلى أهل الجنة مناديًا ينادي: هل أنجزكم الله ما وعدكم؟ فينظرون إلى ما أعد الله لهم من الكرامة، فيقولون: نعم، فيقول: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، النظر إلى وجه الرحمن عَزَّوَجَلَّ[1]. وفي (تفسير أسباط بن نصر): عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ قال: أما الحسنى فالجنة وأما الزيادة فالنظر إلى وجه الله تعالى، وأما القتر فالسواد[2].

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدي والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن عباس ومجاهد بن جبر: الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى[3].

وقال غير واحد من السلف في الآية: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ بعد النظر إليه. والأحاديث عنهم بذلك صحيحة.

ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على أنها أمرٌ آخر من وراء الجنة وقدر زائد عليها. ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، ووجه الاستدلال بها أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٧٦١٦-١٧٦١٧) وابن أبي حاتم (١٠٣٤١).

(٢) إسناده جيد، رواه اللالكائي (٧٨٧).

(٣) انظر تفسير الطبري (١٧٦١٢-١٧٦٢٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٩٤٥)، وتفسير البغوي (٢/ ٤١٧)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٢٦٢)، والدر المنثور (٤/ ٣٥٨-٣٦٠).

واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضًا محجوبين عنه، وقد احتج بهذه الحجة الشافعي وغيره من الأئمة فذكر الطبري وغيره عن المزني قال: سمعت الشافعي يقول في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾: فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة(1). وقال الحاكم: حدثنا الأصم: أنبانا الربيع بن سليمان، قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، فقال الشافعي: لما أن حجَب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا، قال الربيع: فقلت: يا أبا عبد الله، وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أَدين الله، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله عَزَّوَجَلَّ، ورواه اللالكائي الطبري في (شرح السنة) من طريق الأصم أيضًا(2).

وقال أبو زرعة الرازي: سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول: سئل محمد بن عبد الله بن الحكم، هل يرَى الخلقُ كلُّهم ربَّهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد ابن عبد الله: ليس يراه إلا المؤمنون، قال محمد: وسئل الشافعي عن الرؤية فقال: يقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عَزَّوَجَلَّ(3).

ومن الأدلة: قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥] قال الطبراني: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ. وقاله من التابعين زيد بن وهب وغيره(4). اهـ(5)

---

(١) رواه اللالكائي الطبري في الاعتقاد (٨٠٩).

(٢) رواه اللالكائي (٨٨٣).

(٣) رواه اللالكائي (٨١٠).

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٨١١-٨١٣).

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (٢/ ٦١٧) ط. الفوائد.

قال الحافظ أبو سعيد الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب (الرد على الجهمية): فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها قد رويت في الرؤية، على تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، ولم يزل المسلمون قديمًا وحديثًا يروونها ويؤمنون بها، لا يستنكرونها ولا ينكرونها، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه إلى الضلال، بل كان من أكبر رجائهم، وأجزل ثواب الله في أنفسهم، النظر إلى وجه خالقهم، حتى ما يعدلون به شيئًا من نعيم الجنة. وقد كلّمت بعض أولئك المعطلة وحدثته ببعض هذه الأحاديث، وكان ممن يتزين بالحديث في الظاهر ويدعي معرفتها، فأنكر بعضها وردّ ردًّا عنيفًا. قلت: قد صحت الآثار عن رسول الله ﷺ، فمن بعده من أهل العلم، وكتاب الله الناطق به، فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة لم يبق لمتأول عندها تأول، إلا لمكابر أو جاحد. أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، ولم يقل للكفار: «محجوبون» إلا وأن المؤمنين لا يحجبون عنه، فإن كان المؤمنون عندكم محجوبين عن الله كالكفار، فأي توبيخ للكفار في هذه الآية إذا كانوا هم والمؤمنون جميعًا عن الله يومئذ محجوبين. اهـ[1]

قال الطحاوي: والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية[2] كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلِم في دينه إلا من سلَّم لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله ﷺ وردّ عِلْمَ ما أشتبه عليه إلى عالمه. اهـ

قال شارحها ابن أبي العز الحنفي -في فصل منقول عن ابن القيم-: وقد قال بثبوت

---

(١) الرد على الجهمية، للدارمي (ص:١٢٢).

(٢) أي: لا نكيّف ذلك.

الرؤية الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين وأهل الحديث وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبون إلى السنة والجماعة، وهذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس المتنافسون، وحُرِمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون. وقد ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ -يعني الطحاوي- من الأدلة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وهي من أظهر الأدلة.

وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة (إلى) الصريحة في نظر العين، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه، حقيقةٌ موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب جَلَّجَلَالُهُ، فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه: فإن عُدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٣].

وإن عدي بـ(في) فمعناه: التفكر والاعتبار كقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:١٨٥].

وإن عدي بـ(إلى) فمعناه: المعاينة بالأبصار كقوله تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الأنعام:٩٩] فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟ وهذا قول المفسرين من أهل السنة والحديث.

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥] قال الطبري: قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك: هو النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ[(١)].

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده كما روى

---

(١) انظر: اعتقاد أهل السنة، اللالكائي (٨١١-٨١٣).

مسلم في صحيحه[١] عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقّلْ موازيننا ويبيّضْ وجوهَنا ويدخلْنا الجنة ويُجِرْنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة» ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر معناها أن الزيادة النظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ وكذلك فسرها الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ روى ابن جرير ذلك عن جماعة منهم: أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وحذيفة وأبو موسى الأشعري وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[٢].

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] احتج الشافعي رَحِمَهُٱللَّهُ وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي. اهـ

قال ابن القيم: وأما الأحاديث عن النبي وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها عنه أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجرير ابن عبد الله البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد الله بن مسعود الهذلي وعلي ابن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبو أمامة الباهلي وزيد بن ثابت وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد الله بن عمر وعمارة بن رويبة وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد، وحديثه موقوف، ورجل

(١) صحيح مسلم (١٨١).
(٢) تقدم تخريج ذلك.

من أصحاب النبي ﷺ غير مسمى، جاءت من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقاها السلف بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها، فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

ثم ذكر منها: حديث أبي هريرة: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك**» الحديث أخرجاه في الصحيحين بطوله[1]، ومنها حديث أبي سعيد الخدري أيضا في الصحيحين[2] ومنها حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته**»، الحديث أخرجاه في الصحيحين[3] ومنها حديث صهيب المتقدم رواه مسلم[4] وغيره، ومنها حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلي ربهم تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**» أخرجاه في الصحيحين[5]، ومنها حديث عدي بن حاتم مرفوعًا: «**وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمانٌ يترجم له فيقول: ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول بلى يا رب**» أخرجه البخاري في صحيحه[6].

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢).
(٢) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، ومسلم (١٨٣).
(٣) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).
(٤) صحيح مسلم (١٨١).
(٥) أخرجه البخاري (٧٤٤)، ومسلم (١٨٠).
(٦) أخرجه البخاري (٣٥٩٥، ١٤١٣).

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًا ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول ﷺ قالها.

قال السفاريني: وقال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من لم يقل بالرؤية فهو جهمي، وقال -وقد بلغه عن رجل أن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبا شديدًا وقال-: من قال: إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر -أو فقد كفر- عليه لعنة الله وغضبه كائنًا من كان من الناس، أليس يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، وقال أبو داود: سمعت الإمام أحمد يقول: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فهو كافر. وقال أبو بكر المروذي: قيل لأبي عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن يزيد بن هارون، عن أبي العطوف، عن أبي الزبير، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن استقر الجبل فسوف تراني، وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة؟ فغضب أبو عبد الله غضبًا شديدًا حتى تبين في وجهه، وكان قاعدًا والناس حوله، فأخذ نعله وانتعل وقال: أخزى الله هذا، لا ينبغي أن يكتب عن هذا، ودفع عن يزيد بن هارون أن يكون رواه أو حدث به، وقال: هذا جهمي كافر مخالف لما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، يخزي الله هذا المحدث. وقال الإمام أحمد أيضًا: من كذب بالرؤية فهو زنديق، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نؤمن بها أي الرؤية وأحاديثها ونعلم أنها حق فنؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب. وقال: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره، فيستتاب فإن تاب، وإلا قتل، وقال في رواية حنبل وسأله عن أحاديث الرؤية، فقال: هذه أحاديث صحاح نؤمن بها، ونقر بها، وكل ما روي عن النبي ﷺ بإسناد جيد، أقررنا به. وقال أبو عبد الله: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]. اهـ[1]

(١) في لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٤٦) ط. المكتب الإسلامي.

تنبيهات:

الأول:

في قول النبي ﷺ: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته»، تشبيه لإمكان رؤية الله تعالى بإمكان رؤية الشمس والقمر، ليس تشبيهًا لله بهما، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، بل هو تشبيه للرؤية بالرؤية، لا تشبيه للمرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال: يرى لا في جهة فليراجع عقله! فإما أن يكون مكابرًا لعقله أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة.

التنبيه الثاني:

في قولهم هنا: «يراه أهل الجنة بأبصارهم» فيه تخصيص أهل الجنة بالذكر ويفهم منه نفي الرؤية عن غيرهم ولا شك في رؤية أهل الجنة لربهم في الجنة وكذلك يرونه في المحشر قبل دخولهم الجنة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن رسول الله ﷺ ويدل عليه قوله تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤].

واختلف في رؤية أهل المحشر على ثلاثة أقوال[1]:

أحدها: أنه لا يراه إلا المؤمنون، وهذا قول أكثر العلماء.

الثاني: يراه أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم رؤية تعريف ثم يحتجب عن الكفار ولا يرونه بعد ذلك، ومال إلى هذا القول ابن القيم.

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٢٧)، ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (٦/ ٤٨٥-٥٠٦)، وحادي الأرواح (ص:٣٦٣-٣٦٤) ط. المدني، والتوحيد، لابن خزيمة (٢/ ٤٢٠-٤٢١)، وشرح السفاريني على عقيدته (٣/ ٢٦٧-٢٦٩) ط. دار التوحيد.

الثالث: يراه من أظهر التوحيد من المؤمنين والمنافقين دون بقية الكفار، في عرصة يوم القيامة، ثم يحجب عن المنافقين، وهو اختيار ابن خزيمة.

وكذلك الخلاف في تكليمه لأهل الموقف.

التنبيه الثالث:

اتفقت الأمة على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه، ولم يتنازعوا في ذلك إلا في نبينا ﷺ خاصة: منهم من نفى رؤيته بالعين ومنهم من أثبتها له ﷺ. وحكى القاضي عياض في كتابه (الشفا) اختلافَ الصحابة ومن بعدهم في رؤية النبي ﷺ ربه في الدنيا، وإنكار عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن يكون ﷺ رأى ربه بعين رأسه وأنها قالت لمسروق حين سألها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قَفَّ شعري مما قلتَ! ثم قالت: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، ثم قال: وقال جماعة بقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهو المشهور عن ابن مسعود وأبي هريرة واختلف عنه.

وقال بإنكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنه ﷺ رآه بعينه[1]، وروى عطاء عنه: أنه رآه بقلبه ثم ذكر أقوالًا وفوائدَ، ثم قال: وأما وجوبه لنبينا ﷺ والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع ولا نص والمعول فيه على آيتي النجم، أي قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ [النجم:١١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم:١٣]، والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن، قال ابن أبي العز: وهذا القول الذي قاله القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الحق، فإن الرؤية في الدنيا ممكنة إذ لو لم تكن ممكنة لما سألها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لكن لم يرد نص بأنه ﷺ رأى ربه بعين رأسه بل ورد ما يدل على نفي الرؤية، وهو ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» وفي رواية:

---

(١) لكنه لم يثبت عنه ذلك كما سيأتي.

«**رأيت نورًا**»[١]، وقد روى مسلم أيضا عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور -أو النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[٢]، فيكون -والله أعلم- معنى قوله لأبي ذر: «**رأيت نورًا**»: أنه رأى الحجاب ومعنى قوله: «**نور أنى أراه**» النور الذي هو الحجاب يمنع من رؤيته فأنى أراه؟ أي فكيف أراه والنور حجاب بيني وبينه يمنعني من رؤيته؟ فهذا صريح في نفي الرؤية والله أعلم، وحكى عثمان بن سعيد الدارمي اتفاق الصحابة على ذلك. اهـ

قال الشيخ شمس الدين ابن القيم[٣]: سمعت شيخ الإسلام أحمد بن تيمية يقول في قوله ﷺ: «**نور أنى أراه**»: معناه كان ثَمَّ نور، وحال دون رؤيته نور، فأنى أراه؟ قال: ويدل عليه: أن في بعض ألفاظ الصحيح هل رأيت ربك؟ فقال: «**رأيت نورًا**»، وقد أعضل أمر هذا الحديث على كثير من الناس حتى صحفه بعضهم فقال: نورًا إني أراه، على أنها ياء النسب؛ والكلمة كلمة واحدة. وهذا خطأ لفظًا ومعنى، وإنما أوجب لهم هذا الإشكال والخطأ أنهم لما اعتقدوا أن رسول الله ﷺ رأى ربه وكان قوله: «**أنى أراه؟**» كالإنكار للرؤية حاروا في الحديث، ورده بعضهم باضطراب لفظه، وكل هذا عدول عن موجب الدليل. وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب (الرد) له إجماع الصحابة على أنه ﷺ لم ير ربه ليلة المعراج وبعضهم استثنى ابن عباس من ذلك. وشيخنا يقول: ليس ذلك بخلاف في الحقيقة فإن ابن عباس لم يقل رآه بعيني رأسه، وعليه اعتمد أحمد في إحدى الروايتين، حيث قال: إنه رآه؛ ولم يقل بعيني رأسه. ولفظ

---

(١) رواه مسلم (١٧٨).

(٢) رواه مسلم (١٧٩).

(٣) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (ص:٤٧-٤٩).

أحمد كلفظ ابن عباس. ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر: قوله ﷺ في الحديث الآخر: «حجابه النور» فهذا النور هو -والله أعلم- النور المذكور في حديث أبي ذر: «رأيت نورًا». اهـ

وقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): وأما الرؤية فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وعائشة أنكرت الرؤية، فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة، أو مقيدة بالفؤاد، تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول رآه محمد؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه، وكذلك الإمام أحمد، تارة يطلق الرؤية؛ وتارة يقول: رآه بفؤاده؛ ولم يقل أحد إنه سمع أحمد يقول رآه بعينه؛ لكن طائفة من أصحابه سمعوا بعض كلامه المطلق ففهموا منه رؤية العين! كما سمع بعض الناس مطلق كلام ابن عباس ففهم منه رؤية العين.

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل؛ كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»، وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء:١] ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى. وكذلك قوله: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم:١٢]. ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٨] ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى. وفي الصحيحين عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء:٦٠] قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به. وهذه رؤيا الآيات

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٩).

لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج فكان ذلك فتنة لهم حيث صدقه قوم وكذبه قوم، ولم يخبرهم بأنه رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك لذكره كما ذكر ما دونه.

وقد ثبت بالنصوص الصحيحة واتفاق سلف الأمة أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه إلا ما نازع فيه بعضهم من رؤية نبينا محمد ﷺ، خاصة، واتفقوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة عيانًا كما يرون الشمس والقمر.

التنبيه الرابع:

خالف في إثبات الرؤية يوم القيامة، المعتزلة وتأوّلها الأشاعرة، فَقَدْ نَفَاهَا الْمُعْتَزِلَةُ؛ بِنَاءً عَلَى نَفْيِهِمُ الْجِهَةَ عَنِ اللهِ؛ لِأَنَّ الْمَرْئِيَّ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي جِهَةٍ مِنَ الرَّائِي، وَمَا دَامَتِ الْجِهَةُ مُسْتَحِيلَةً، وَهِيَ شَرْطٌ فِي الرُّؤْيَةِ؛ فَالرُّؤْيَةُ كَذَلِكَ مُسْتَحِيلَةٌ. وَاحْتَجُّوا مِنَ النَّقْلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وَقَوْلُهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ سَأَلَهُ الرُّؤْيَةَ: ﴿لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣].

والجهة لم يرد في نفيها وإثباتها دليل، فالكلام في نفيها أو إثباتها قول على الله بلا علم. قال شيخ الإسلام في التدمرية: وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه، حتى يعرف مراده فإن أراد حقًّا قبل، وإن أراد باطلًا رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقا ولم يرد جميع معناه، بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك، فلفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقا، كما إذا أريد ما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السموات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم. ومعلوم أنه ليس في النص إثبات لفظ (الجهة) ولا نفيه، كما فيه إثبات (العلو)

و(الاستواء) و(الفوقية) و(العروج إليه) ونحو ذلك[١]. اهـ

وقال في المنهاج: وإن أريد بالجهة أمر عدمي، وهو ما فوق العالم، فليس هناك إلا الله وحده[٢]. اهـ وليس معناه أن العدم يحويه، إذ العدم ليس بشيء أصلا حتى يوصف بأنه محيط به، بل المعنى أن يكون هو الموجود بحيث لا موجود غيره ولا قائم بنفسه غيره، كما قرره شيخ الإسلام[٣].

وَأَمَّا الْأَشَاعِرَةُ؛ فَهُمْ مَعَ نَفْيِهِمُ الْجِهَةَ كَالْمُعْتَزِلَةِ، فإنهم يُثْبِتُونَ الرُّؤْيَةَ، وَلِذَلِكَ حَارُوا فِي تَفْسِيرِ تِلْكَ الرُّؤْيَةِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: يَرَوْنَهُ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهَا رُؤْيَةً بِالْبَصِيرَةِ لَا بِالْبَصَرِ، وَقَالَ: الْمَقْصُودُ زِيَادَةُ الِانْكِشَافِ وَالتَّجَلِّي حَتَّى كَأَنَّهَا رُؤْيَةُ عَيْنٍ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ والأحاديث والآثار الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا حُجَّةٌ عَلَيهم. وتقدم حكاية المصنف إجماع السلف على أن أهل الجنة يرونه بأبصارهم.

التنبيه الخامس:

وأما قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فإن المعنى: أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به، فهو يدل على كمال عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ﴾ فلم ينف موسى الرؤية وإنما نفى الإدراك وأما الآية الثانية: فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى

---

(١) التدمرية (ص:٩١-٩٣) ط. مركز البيان.

(٢) منهاج السنة (٢/ ٣٢٣).

(٣) التسعينية (١/ ٢٢١).

بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًا، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والألوهية وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه، المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرًا ثبوتيًا، فإن المعدم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه.

وقد بين العلماء من السلف أن المراد بالإدراك المنفي هنا هو الإحاطة، منهم ابن عباس وعكرمة وقتادة والعوفي[1].

فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

قال السفاريني: وفي (حادي الأرواح): الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة ﷺ من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، لا تحيط به الأبصار. وقال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار. وقال ابن عطية: ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره تعالى يحيط بهم فذلك قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾، فالمؤمنون يرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٩/ ٤٥٩) ط. التركي، وتفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٦) ط. عالم الكتب.

بأبصارهم عيانًا، ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عَزَّوَجَلَّ بأن شيئًا يحيط به، وهو بكل شيء محيط، وهكذا يسمع كلامه من شاء من خلقه، ولا يحيطون بكلامه، فقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك، فهو لعظمته يتعالى عن أن تدركه الأبصار ولا تحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا يخفى عليه شيء، فهو العظيم في لطفه، اللطيف في عظمته، العالي في قربه، القريب في علوه، الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]. انتهى ملخصًا[١].

وقال شيخ الإسلام: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ إنما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة، كما قاله أكثر العلماء، ولم ينف مجرد الرؤية، لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، إذ لو كان كذلك لكان المعدوم ممدوحًا، وإنما المدح في كونه لا يحاط به وإن رئي، كما أنه لا يحاط به وإن علم، فكما أنه إذا علم لا يحاط به علمًا فكذلك إذا رئي لا يحاط به رؤية، فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحًا وصفة كمال، وكان ذلك دليلًا على إثبات الرؤية لا على نفيها، لكنه دليل على إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة، وهذا هو الحق الذي اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها. اهـ[٢]

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٤٧) ط. المكتب الإسلامي.
(٢) التدمرية (ص:٨٣-٨٥) ط. مركز البيان.

(١١)

صفة الكلام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن المؤمنين يسمعون كلامه في الجنة

ويسمعون كلامه كيف شاء وكما شاء.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها علماء أهل السنة مجمعين أن أهل الجنة (يسمعون كلامه) عَزَّوَجَلَّ (كيف شاء وكما شاء) جَلَّجَلَالُهُ، فإن أهل السنة والجماعة متفقون على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يكلم المؤمنين في الجنة ويسمعون كلامه تعالى، كما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب؟ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك! فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب! وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا». وروى مسلم في صحيحه عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عَزَّوَجَلَّ: تريدون شيئا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار، قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا هذه الآية ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦]، قال ابن القيم: وهذا الحديث رواه الأئمة وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق. اهـ

وقد اتفق السلف على إثبات صفة الكلام لله تعالى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح الأصفهانية: قد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله تعالى متكلم بكلام قائم به، وأن كلامه غير مخلوق، وأنكروا على الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وغيرهم في قولهم:

أن كلامه تعالى مخلوق، خلقه في غيره، وأنه كلم موسى بكلام خلقه في الشجرة[١].

وقد دل الكتاب والسنة وإجماع السلف أن الله تعالى متكلم متى شاء كيف شاء، وأنه لا يزال متكلمًا متى شاء كيف شاء، ولا يلزم من هذا أن يكون كلامه مخلوقًا، فإن كلامه تعالى صفة من صفاته، وصفاته كذاته، وقد استعاذ النبي ﷺ بكلام ربه في قوله: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، والاستعاذة لا تكون بمخلوق، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤]، هذه الآية من أصح الأدلة في إثبات أن كلامه لموسى كان كلامًا مسموعًا حقيقة لا مجازًا؛ لأنه أكده بالمصدر وهو التكليم لدفع احتمال المجاز، وقال تعالى: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقال: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ [الشعراء:١٠]، وقال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:٥٢] فذكر أنه كلمه وناداه وناجاه، وهذا كله دليل صريح على أن المراد: التكليم المسموع.

وقال: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:٢٢]، فناداهما وقال لهما وأخبر أنه ينادي الناس يوم القيامة فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٦٥]، وبيّن عَزَّوَجَلَّ أن كلامه حديث فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧]، وأن كلامه قيل وقول، فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، وقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١١٠]، وقال: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، وسيأتي إن شاء الله مزيد استدلال على أن القرآن كلام الله غير مخلوق. عند قولهم: «ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر...» الخ[٢].

---

(١) شرح الإصفهانية، لابن تيمية (ص:٢٠)، وعنه السفاريني في اللوامع (١/ ٤٥١) ط. دار التوحيد.
(٢) مبحث رقم (٢٩) (ص:٣٧٢).

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان» متفق عليه(١).

وفي رواية للبخاري: «ثم ليقفنّ أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولنّ له: ألم أوتك مالًا؟ فيقول: بلى» الحديث(٢).

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة: يا آدم! فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار...» الحديث(٣).

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب التوحيد من صحيحه: باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ:٢٣]، ولم يقل: ماذا خلق ربكم، وقال جل ذكره: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات شيئًا فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق، ونادوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق. ويذكر عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان». اهـ

والذي عليه أهل السنة والجماعة المخالفون لأهل البدع: أن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قديم النوع؛ لأنه صفة من صفاته، وصفاته قديمة كذاته، وأنه حادث الآحاد أي متجدد الأفراد يتكلم إذا شاء، فهو صفة ذات وصفة فعل كالخلق والإحياء ونحو ذلك من صفاته

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

(٢) رواه البخاري (١٤٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٤١٣).

الذاتية الفعلية، فإنه عَزَّوَجَلَّ يتكلم بمشيئته وقدرته إذا شاء عَزَّوَجَلَّ، لا يمتنع عليه شيء أراده، قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢]، والله تعالى متصف بالأفعال الاختيارية القائمة به عَزَّوَجَلَّ فهو يتكلم في الأزل بما شاء ويتكلم فيما لم يزل بقدرته ومشيئته بما أراد، وهو الفعال لما يريد يأمر بالأمر فيكون كما أراد تعالى كما قال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، ولا زال متكلمًا عليمًا قادرًا، وكلّم آدم والملائكة يوم خلق آدم فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] الآيات، فذكر فيها أنه كلّم الملائكة وكلموه وراجعوه وكلم آدم وإبليس وأمرهم بالسجود لآدم، وأخبر أنه سيكلم عباده يوم القيامة كما تقدم في الأحاديث. وكل ذلك مما أجمع عليه السلف، خلافًا لأهل البدع المخالفين للسلف الذين ينفون ذلك ويسمون هذه الأفعال الاختيارية القائمة بالله عَزَّوَجَلَّ حلول الحوادث، والله لا يكون محلًا للحوادث، ويريدون بهذا أنه لا يتكلم بقدرته ومشيئته عَزَّوَجَلَّ ولا يفعل ما يشاء من نزول واستواء ومجيء وإتيان يوم القيامة ولا يرضى بعد أن كان غاضبًا ولا يغضب على القوم الظالمين، ولا يقوم به فعل البتة ولا أمر متجدد بعد أن لم يكن ولا غير ذلك من أفعاله الاختيارية التي يفعلها عَزَّوَجَلَّ متى شاء، فإنهم ينفون ذلك عنه بشبهة حلول الحوادث.

وقد رد عليهم العلامة ابن القيم وذكر مذهب أهل السنة في نونيته فقال:

والآخرون أولو الحديث كأحمد ... ذلك ابن حنبل الرضا الشيباني

قد قال إن الله حقًا لم يزل ... متكلمًا إن شاء ذو إحسان

جعل الكلام صفات فعل قائم ... بالذات لم يفقد من الرحمن

وكذاك نص على دوام الفعل ... بالإحسان أيضًا في مكان ثاني

وكــذا ابــن عبــاس فراجــع قولــه ... لــــما أجـــاب مســـائل القـــرآن

وكــذاك جعفــر الإمــام الصــادق الــ ... ــمقبول عنــد الخلــق ذو العرفــان

قــد قــال لــم يــزل المهــيمن محسـنًا ... بـــرًّا جـــوادًا عنـــد كـــل أوان

وخلاصة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة:

أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، وأن الكلام صفة له قائمة بذاته يتكلم بمشيئته وقدرته، فإنه لم يزل ولا يزال متكلمًا إذا شاء، وما تكلم به فهو صفة قائمة به عَزَّوَجَلَّ ليس مخلوقًا منفصلًا عنه كما تقوله المعتزلة، ولا لازمًا لذاته لزوم الحياة لها كما تقوله الأشاعرة، ويسمونه الكلام النفسي أي الذاتي، بل هو تابع لمشيئته وقدرته، فإن الصفات الإلهية نوعان: ذاتية، وفعلية[1]، ويتفرع عنهما نوع ثالث: وهو الذاتية الفعلية.

فالصفات الذاتية هي: التي لم يزل ولا يزال متصفًا بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة، ومنها الصفات الخبرية: التي جاء بها الخبر كالوجه واليدين والعينين، ونحوها.

وأما الفعلية: فهي التي تتعلق بمشيئته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا كل ليلة والمجيء والإتيان يوم القيامة.

وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كصفة الكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلمًا، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية؛ لأن الكلام يتعلق بمشيئته وقدرته، يتكلم متى شاء بما شاء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته.

---

(١) انظر: القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين (ص:٢٥).

هذا مذهب أهل السنة والجماعة، وقد خالفهم في هذا طوائف من أهل البدع أشهرها مذهبان:

أحدهما: مذهب المعتزلة، الذين جعلوا كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ مخلوقًا منفصلًا عنه. تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا.

والثاني: مذهب الكلابية والأشعرية. الذين جعلوه صفة ذات ونفس لازمًا لذاته أزلًا وأبدًا لا يتعلق بمشيئته وقدرته، ونفوا عنه الحرف والصوت، وقالوا: إنه معنى واحد في الأزل لم يسمع منه ولم يخرج منه كلام مسموع !

والأدلة السمعية والعقلية والإجماع السلفي يرد عليهم.

(١٢)

الإيمان بالجنة والنار

والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، وهما مخلوقتانِ، ولا يفنيانِ أبدًا، والجنة ثوابٌ لأوليائه، والنار عقابٌ لأهلِ معصيته، إلا من رحم عَزَّوَجَلَّ.

(و) من الأصول التي أدركوا عليها جماعة أهل الإسلام أن: (الجنةَ حقٌّ، والنارَ حقٌّ، وهما) الآن (مخلوقتانِ)، و(لا يفنيانِ أبدًا، و) أن (الجنةَ ثوابٌ لأوليائه) من المؤمنين، (والنارَ عقابٌ لأهلِ معصيته، إلا من رحم) الله (عَزَّوَجَلَّ)، من عصاة المسلمين. وقد دل على ذلك النص من الكتاب والسنة، وإجماع السلف، فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى عن النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ:٢١-٢٢]، فهي مرصدة، ولا يكون مرصدًا إلا الموجود، وقال عَزَّوَجَلَّ عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١]، فهي معدة موجودة، فهي قائمة موجودة ورآها النبي ﷺ في المعراج، فقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٣-١٥]، وفي (الصحيحين) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قصة الإسراء وفي آخره قال ﷺ: «ثم انطلق بي جبرائيل حتى أتى سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال: ثم دخلت الجنة فإذا هي جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك»[1]، وفي (الصحيحين) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢).

فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»(١)، ومن ذلك حديث البراء بن عازب عن النبي ﷺ، وفيه: «ينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها» رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح(٢)، وفي حديث أنس بمعنى حديث البراء(٣)، وفي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكرت الحديث وفيه: وقال رسول الله ﷺ: «رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم به حتى لقد رأيتني آخذ قطفا من الجنة حين رأيتموني تقدمت، ولقد رأيت النار يحطم بعضها بعضا حين رأيتموني تأخرت»(٤)، وفي (الصحيحين) -واللفظ للبخاري- عن عبد الله بن عباس قال: انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: فقالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك ثم رأيناك تكعكعت؟ فقال: «إني رأيت الجنة وتناولت عنقودًا، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظرًا كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء» الحديث(٥). وفي (الموطأ) و(السنن) وصححه ابن حبان من حديث كعب بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طير تَعْلَقُ في شجر الجنة(٦)، حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة»(٧)، وهذا صريح في دخول الروح

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (١٦٢٤٧٥٣

(٣) أخرجه البخاري (١٣٣٨، ١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٤) أخرجه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٩٠١).

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٨، ١٠٥٢، ٥١٩٧)، ومسلم (٩٠٧).

(٦) قوله: «تعلق في شجر الجنة» يروى بفتح اللام وهو الأكثر، ويروى بضم اللام، والمعنى واحد، وهو: الأكل والرعي، يقول: تأكل من ثمار الجنة وترعى وتسرح بين أشجارها والعلوقة والعلاق والعلوق الأكل والرعي. قاله ابن عبد البر في التمهيد (١١/ ٥٩).

(٧) رواه مالك، والنسائي (٢٠٧٢- صحيحه) وابن ماجه (٣٤٦٥- صحيحه)، وصححه ابن حبان (٤٦٥٧)، وكذا ابن عبد البر في التمهيد (١١/ ٥٦)، وفي الاستذكار (٢/ ٦١٤) وابن العربي في العارضة (٤/ ١٢٥)،

الجنة قبل يوم القيامة، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَاللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر إليها، وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره فقال: ارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال: ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضًا ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها، فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها»[1]. ونظائر ذلك في السنة كثير.

ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك! وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا! وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث! لأنها تصير معطلة مُددًا متطاولة! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم المحدثة!.

تنبيه:

قال العلماء: ولم يقل بفناء الجنة والنار إلا الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من

= وابن القيم في الروح، والألباني في صحيح السنن.

(١) أخرجه أحمد (٨٣٩٨)، وأبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠) وقال حسن صحيح، وهو كما قال.

أهل السنة وأنكـره عليه عامة أهل السنة وكفـروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطـار الأرض.

وأما أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد، فهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] أي غير مقطوع ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

واختلف السلف في هذا الاستثناء! فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن أدخل منهم النار ثم أخرج منها لا لكلهم.

وقيل: إلا مده مقامهم في الموقف، وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف.

وقيل: هو استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه بل تجزم بضربه.

وقيل: (إلا) بمعنى (الواو)، وهذا على قول بعض النحاة وهو ضعيف. وسيبويه يجعل (إلا) بمعنى (لكن) فيكون الاستثناء منقطعًا، ورجحه ابن جرير، وقال: إن الله تعالى لا خُلْفَ لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨].

قالوا: ونظيره أن تقول: أسكنتك داري حولًا إلا ما شئت، أي سوى ما شئت ولكن ما شئت من الزيادة عليه.

وقيل: الاستثناء لإعلامهم بأنهم مع خلودهم فهم في مشيئة الله، ولا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ [الإسراء:٨٦]، ولم يذهب به، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:٢٤]، ولم يفعل ذلك مع

قدرته عليه لو شاءه، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس:١٦]، ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقيل: إن (ما) بمعنى (مَن) أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء!

وقيل: المراد استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة، من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت في قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود:١٠٧] فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية وذلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها، وتبين المراد. وقيل غير ذلك.

وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] محكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤] وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥] وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦] والآيات في تأبيد الخلود في الجنة كثيرة.

والأدلة من السنة على أبدية الجنة ودوامها كثيرة: كقوله ﷺ: **«من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»**[1]، وفي رواية: **«من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت»**[2]، وقوله: **«ينادي مناد: يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٨٦)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٢٦)، والدارمي (٢٨٦١).

فلا تسقموا أبدًا، وأن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وأن تحيوا فلا تموتوا أبدًا»[(١)]، وفي حديث «ذبح الموت بين الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» متفق عليه[(٢)].

وأما أبدية النار فإن الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ويبقى فيها الكفار بقاء لا انقضاء له، والآيات في تأبيد الخلود في النار كثيرة، منها قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء:١٦٨-١٦٩]، وقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٥]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن:٢٣]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف:٧٤-٧٥]، وقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة:٣٧] وقوله: ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ:٣٠]، وقوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٧]، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، وقوله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦]، وقوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥] أي مقيما لازمًا، قال ابن جرير: غرامًا أي ملحًا دائمًا لازمًا غير مفارق من عذب به من الكفار، ثم روى عن ابن جريج قال: كان غرامًا أي لا يفارقه[(٣)].

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج

---

(١) رواه مسلم (٢٨٣٧).

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

(٣) تفسير ابن جرير (٢٠١٠٦).

الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما بل بإبقاء الله لهما.

تنبيه ثانٍ:

وقوله: (**لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان**) هذا قول جمهور الأئمة من السلف والخلف، أما الجنة فالإجماع قطعي لا شك فيه، وأما النار فهو كذلك إجماع، على الصحيح، وحكي فيه شبهة خلاف ولا أظنه يصح! قال ابن حزم في (مراتب الإجماع): وأن النار حق، وأنها دار عذاب أبدًا، لا تفنى ولا يفنى أهلها أبدًا بلا نهاية. اهـ

وجاء في رواية البرذعي لهذه العقيدة: (ونعيم الجنة لا يفنى أبدًا) وسكتوا عن النار، فكأن فيه تنبيهًا على القول الآخر حكي عن قلةٍ من أهل السنة أن الله يخرج منها من يشاء ثم يبقيها شيئًا ثم يفنيها، فإنه جعل لها أمدًا تنتهي إليه.

وقد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية في (رسالة) له وابن القيم في (حادي الأرواح) وابن أبي العز في (شرح الطحاوية)، أنه قد قال بفناء النار جماعة من السلف والخلف! والقولان مذكوران في بعض كتب التفسير وغيرها، ولم أجد له إسنادًا صحيحًا عمن نسب إليه.

قال ابن أبي العز في (شرح الطحاوية) تبعًا لابن القيّم: وهذان القولان لأهل السنة! ينظر في أدلتهما، فمن أدلة القول بالفناء: قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:١٢٨] وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧]، ولم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] وقوله تعالى: ﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢٣] وهذا القول -أعني القول بفناء النار دون الجنة- منقول

عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم، قلت: لكنه بأسانيد ضعيفة، ثم قال: وقد روى عبد بن حميد في (تفسيره) المشهور بسنده إلى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لو لبث أهل النار في النار كقدر رملِ عالج لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه! ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾. قلت: وهذا لو صح لا دليل فيه، لأنه ذكره استبعادًا لخروجهم، فإن معنى كلامه: لو كان للبثهم في النار أمد ولو كقدر رمل بيداءِ عالج لانقضى، وخرجوا، ولكنه لا أمد له، فلا ينقضي، كما قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر:٣٦].

ثم قال: قالوا: وما ورد من الخلود فيها والتأبيد وعدم الخروج وأن عذابها مقيم وأنه غرام: كله حق مسلّم، لا نزاع فيه، وذلك يقتضي الخلود في دار العذاب، ما دامت باقية، وإنما يخرج منها في حال بقائها أهل التوحيد، ففرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه.

قلت: ونسب لشيخ الإسلام ابن تيمية القول بفناء النار، حتى صنف بعضهم ردًا عليه! وهذا غير صحيح؛ فإنه رَحِمَهُ اللَّهُ سئل عن ذلك وبسط القول، ليبين أن هذا القول ليس كقول الجهمية القائلين بفناء الجنة والنار، بل هو نوع من اختلاف أهل السنة! وليس القول به من الضلالة الجهمية، ولم يصرح بترجيح هذا القول، كما في رسالة له بعنوان (الرد على القائلين بفناء النار)، فإن له تصريحًا في موضع آخر بين فيه أنها لا تفنى، كما في (منهاج السنة) وإقراره لنقل ابن حزم الإجماع على ذلك، الذي تقدم ذكره، ولم يعترض عليه في (نقد مراتب الإجماع)، قال في (المنهاج): والتسلسل في المستقبل جائز عند جماهير المسلمين وغيرهم من أهل الملل وغير أهل الملل، فإن نعيم الجنة وعذاب النار دائمان، مع تجدد الحوادث فيهما، وإنما أنكر ذلك الجهم بن صفوان!

فزعم أن الجنة والنار يفنيان، وأبو الهذيل العلاف زعم أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع، ويبقون في سكون دائم، وذلك أنهم لما اعتقدوا أن التسلسل في الحوادث ممتنع في الماضي والمستقبل قالوا هذا القول، **الذي ضللهم به أئمة الإسلام**. اهـ[1].

فأنت ترى أنه صرَّح بدوام عذاب النار كدوام نعيم الجنة، ولم يعرف له قول صرَّح به خلاف ذلك، وإنما هو كلام مشتبه ينبغي رده إلى محكم كلامه.

وكذا لابن القيم بسط في (حادي الأرواح) أطال فيه الكلام ولم يرجح شيئًا، ولكنه فصَّل في (الوابل الصيب) وهو من آخر كتبه، فبين أن نار الكفار لا تفنى وأما التي تفنى فهي نار عصاة الموحدين إذا أخرجوا منها، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض. اهـ

والذي ينبغي أن يجزم به براءة الشيخين من القول بفناء النار مطلقا، بل هذا الذي نقلناه عنهما هو صريح قولهما رحمهما الله تعالى، والله أعلم.

---

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٨٠).

(١٣)

الصـــراط

والصراط حقٌّ.

(و) مما أدركوا عليه علماء أهل السنة مجمعين أن (الصراط حقٌّ)، وَهُوَ شرعًا: الجِسْرُ المَنْصوب عَلى مَتْنِ جَهَنَّمَ بين الجنةِ والنارِ.

والصراط في اللغة الطريق، سمى بذلك لأنه يسترط السابلة أي يبتلعهم إذا سلكوه. قال جرير الخطفي:

أمـــير المـــؤمنين عـــلى صراط إذا اعـــوجّ المـــواردُ مســـتقيمِ

وقد أجمعَ السلفُ على وجودِه حقيقةً، قال السفاريني: وفي الشرع جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والآخرون، فهو قنطرة جهنم بين الجنة والنار، وخلق من حين خلقت جهنم. اهـ[١]

فرع: في صفة الصراط:

وقد اختلف العلماء في كيفيته بعد الإجماع على وجوده:

فمنهم من قال: طريق واسع يمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ لأن كلمة الصراط مدلولها اللغوي هو هذا؛ ولأن رسول الله ﷺ أخبر بأنه دَحْض ومَزِلة[٢]، والدحض والمزلة لا يكونان إلا في طريق واسع، أما الضيق؛ فلا يكون دحضًا ومزلة.

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٩) ط. المكتب الإسلامي.

(٢) رواه: البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣)؛ عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومن العلماء من قال: بل هو صراط دقيق جدًّا؛ كما جاء في رواية عند مسلم عن حديث أبي سعيد الخدري بلاغًا: أنه أدق من الشعر، وأحد من السيف[١]. وله شواهد عن بعض الصحابة مرفوعة وموقوفة تدل على ثبوت أصله منها حديث سلمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: «يوضع الصراط مثل حد الموسى» رواه الحاكم[٢]، وعن ابن مسعود قال: «والصراط كحد السيف دحض مزلة» رواه الحاكم[٣].

قال السفاريني: قال العلماء: الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف، وأحمى من الجمرة، فقد أخرج الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يوضع الصراط على سواء جهنم مثل حد السيف المرهف مدحضة- أي مزلقة، أي لا تثبت عليها قدم بل تزل عنه، إلا من يثبته الله تعالى، عليه كلاليب من نار تخطف أهلها فتمسك بهواديها، ويستبقون عليها بأعمالهم، فمنهم من شده كالبرق، فذاك الذي لا ينشب أن ينجو، ومنهم من شده كالريح، ومنهم من شده كالفرس الجواد، ومنهم من شده كهرولة الرجل، ثم كرمل الرجل، ثم كمشي الرجل، وآخر من يدخل الجنة رجل قد لوحته النار فيقول الله له: سل وتمن، فإذا فرغ قال: لك ما سألت، ومثله معه[٤]. وأخرج ابن منيع في مسنده عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا: «الصراط كحد السيف دحض مزلة ذا حسك وكلاليب»[٥]. وأخرج الإمام أحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «لجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء، والناس

---

(١) رواه مسلم (١٨٣).

(٢) رواه الحاكم (٤/ ٥٨٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤١).

(٣) رواه الحاكم (٢/ ٢٧٦)، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية (ص:٤١٥).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٩/ ٨٩٩٢)، والبيهقي في البعث (٢٧٥)، وصححه السيوطي في البدور السافرة (ص:٣٣١).

(٥) أخرجه أحمد بن منيع في مسنده، كما في المطالب العالية (٤٥٤٠).

عليه كالطرف وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، والملائكة يقولون: رب سلم سلم، فناج مسلّم، ومخدوش مسلّم، ومكور في النار على وجهه»[(١)]، وأخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري قال: بلغني أن الجسر أدق من الشعر، وأحد من السيف[(٢)]. وأخرج ابن ماجه عن أبي سعيد أيضًا سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وضع الصراط بين ظهراني جهنم عليه حسك كحسك السعْدان ثم يستجيز الناس، فناج مسلم، ومخدوش به ثم ناج، ومحتبس به، ومنكوس فيها»[(٣)]، وأخرج ابن جرير، والبيهقي، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم يمرون، والملائكة يقولون: اللهم سلم اللهم سلم[(٤)].

وأخرج البيهقي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الصراط كحد السيف، وإن الملائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات، وإن جبريل لآخذ بحجزتي، وإني لأقول: يا رب سلم، فالزالون والزالات يومئذ كثير»[(٥)]... وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن خليلي ﷺ عهد إليَّ: «أن دون جسر جهنم طريقا ذا دحض ومزلة»، وإنّا إن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار واصطبار أحرى أن ننجو من أن نأتي عليه ونحن مواقير[(٦)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٧٩٦)، وفيه ابن لهيعة، وله شواهد يصح بها، بعضها في الصحيحين وغيرهما.

(٢) تقدم، رواه مسلم (١٨٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٠)، وصححه الألباني.

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٨/ ٣٦٥)، والحاكم (٢/ ٣٧٥، ٣٧٦)، والبيهقي في البعث (٣٨٦)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٥) أخرجه البيهقي في البعث (٣٧٩)، وفي شعب الإيمان (١/ ٣٣٢) وضعفه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢١٤١٦)، وابن سعد في الطبقات (٥٤٣٦)، والحارث بن أبي أسامة في مسنده (١٠٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٧٨).

قال السفاريني: اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرًا ممدودًا على متن جهنم، أحد من السيف وأدق من الشعر، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه زعمًا منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة، وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٥]، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣].

ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة والمباحات والأعمال الرديئة ليسأل عنها ويؤاخذ بها[1]!.

وكل هذا باطل وخرافات؛ لوجوب حمل النصوص على حقائقها، وليس العبور على الصراط بأعجب من المشي على الماء أو الطيران في الهواء، والوقوف فيه.

وقد أجاب ﷺ عن سؤال حشر الكافر على وجهه بأن القدرة صالحة لذلك.

وأنكر العلامة القرافي! كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز بن عبد السلام!.

والحق أن الصراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهره بغير تأويل كما ثبت في الصحيحين والمسانيد والسنن والصحاح مما لا يحصى إلا بكلفة: من أنه جسر مضروب على متن جهنم يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون.

وقال المنكر لكون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف: هذا إن ثبت حمل على غير ظاهره لمنافاته للأحاديث الأخر من قيام الملائكة على جنبتيه، وكون الكلاليب والحسك فيه، وإعطاء كل من المارين عليه من النور قدر موضع قدميه.

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة (ص:٧٣٧) لعبد الجبار المعتزلي، وشرح المقاصد لمسعود التفتازتني (٥/ ٢٠).

قال القرافي: والصحيح أنه عريض، وقيل طريقان يمنى ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم، وجهنم بين الخلق وبين الجنة، والجسر على ظهرها منصوب فلا يدخل أحد الجنة حتى يمر على جهنم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١]، على أحد الأقوال[١].

ثم قال القرافي تبعًا للحافظ البيهقي[٢]: كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف لم أجده في الروايات الصحيحة، وإنما يروى عن بعض الصحابة، فيؤول بأن أمره أدق من الشعر، فإن يسر الجواز عليه وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى، وقد جرت العادة بضرب دقة الشعر مثلًا للغامض الخفي، وضرب حد السيف لإسراع الملائكة في المضي لامتثال أمر الله، وإجازة الناس عليه.

ورد هذا الإمام القرطبي، وغيره من أئمة الآثار، وقد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن أبي سعيد بلاغا، وليست مما للرأي والاجتهاد فيه مجال فهي مرفوعة، وقد مر من الأخبار ما يوجب الإيمان بذلك، ثم إن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن ويجريه ويمشيه. اهـ باختصارٍ.

قال النووي: وقد أجمع السلف على إثباته -يعني الصراط- وهو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم... وأصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون: إن الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري[٣]. اهـ

---

(١) هذا هو الأرجح فيها، انظر شرح الطحاوية (ص:٤١٦) وسيأتي مزيد إيضاح له.

(٢) في شعب الإيمان (١/ ٣٣٢).

(٣) شرح صحيح مسلم (٣/ ٢٢).

فرع: في العبور على الصراط:

وهنا إشكال وهو: كيف يمكن العبور على الصراط وهو دقيق جدًا؟

والجواب: أن أمور الآخرة لا تقاس بأمور الدنيا؛ فالله تعالى على كل شيء قدير، ولا ندري؛ كيف يعبرون؟! هل يجتمعون جميعًا في هذا الطريق أو واحدًا بعد واحد؟ قال تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء:٩٧]، وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قيل: يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال: «**الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**»[١].

والظاهر أنه يوسع على المؤمنين ويضيق على المجرمين، ويؤيده ما أخرج الإمام عبد الله بن المبارك، وابن أبي الدنيا عن سعيد بن أبي هلال قال: بلغنا أن الصراط يوم القيامة يكون على بعض الناس أدق من الشعر، وعلى بعض مثل الوادي الواسع[٢]، وأخرج أبو نعيم عن سهل بن عبد الله التستري قال: من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة[٣].

وهو منصوب على متن جهنم أي: على نفس النار يمر عليه الناس على قدر أعمالهم، والمراد بالناس هنا: المؤمنون؛ لأن الكفار قد ذهب بهم إلى النار، فمن استقام على صراط الله المستقيم في الدنيا ثبته الله على الصراط يوم القيامة ومن أخل بذلك دخل عليه الزلل يوم القيامة.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٧٥٥)، والترمذي (٣١٤٢)، وحسنه، وله شاهد عن أنس رواه أحمد (١٢٧٠٨)، والبزار (١٣/ ٤٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٨٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٤٠٦) وابن أبي الدنيا في الأولياء (٢٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ١٩٧).

ومن مر على الصراط؛ دخل الجنة لأنه نجا، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧١-٧٢]، روى الإمام أحمد عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن. وقال بعضهم: يدخلونها جميعًا، ثم ينجي الله الذين اتقوا. فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعًا وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه، وقال: صمتا، إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيًا**»(١).

وعن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعًا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم، فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل، حتى إن آخرهم مرًا رجل نوره على موضعي إبهامي قدميه، يمر يتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة، عليه حسك كحسك القتاد، حافتاه ملائكة، معهم كلاليب من نار، يختطفون بها الناس.. الحديث. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير(٢).

فإذا عبروا عليه؛ وُقِفوا على قنطرة بين الجنة والنار، والقنطرة هي جسر صغير، والجسر في الأصل ممر على الماء من نهر ونحوه، ويوقف الناس عليها، ثم يقتص لبعضهم من بعض، وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة، لأن هذا

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣/ ٣٢٨) وقال المنذري في الترغيب (٢/ ٣٠٦): رجاله ثقات. وقال ابن كثير: غريب.

(٢) تقدَّم قريبًا.

قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص.

قال شيخ الإسلام في (الواسطية): والصراط منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف خطفًا ويلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط؛ دخل الجنة. فإذا عبروا عليه؛ وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا؛ أذن لهم في دخول الجنة. اهـ[(١)]

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام من اعتقاد السلف، هو المروي عن النبي ﷺ، كما في صحيح البخاري وغيره[(٢)].

قال القرطبي في (تذكرته): اعلم رحمك الله تعالى أن في الآخرة صراطين أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، وإلا من يلتقطه عنق من النار، فإذا خلص من خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه، ولا يخلص عنه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، حبسوا على صراط خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله تعالى؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم التي يسقط فيها من أوبقته ذنوبه، وزاد على الحساب جرمه وعيوبه، فقد أخرج البخاري، والإسماعيلي في (مستخرجه) واللفظ له، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ

---

(١) انظر: شرح الواسطية للهراس (ص:٢١١-٢١٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري وفتح الباري (١١/ ٤٤٤).

سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، قال: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا»[١]، قال قتادة: كان يقال: ما يشبه بهم إلا أهل الجمعة انصرفوا من جمعتهم، قال القرطبي: هذا في حق من لم يدخل النار من عصاة الموحدين، أما من دخلها ثم أخرج فإنهم لا يحبسون، بل إذا خرجوا بثوا على أنهار الجنة. وقال الحافظ ابن حجر: واختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: إنها من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إنها صراط آخر، وبه جزم القرطبي[٢]. وقال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه (البدور السافرة في علوم الآخرة): والأول يعني أنه طرف الصراط الذي يلي الجنة هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطر والحساب على الصراط. انتهى[٣].

فهذه القنطرة التي بين الجنة والنار؛ لأجل التنقية من الحقوق ومما في القلوب، حتى يدخلوا الجنة وليس في قلوبهم غل؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا؛ أُذِن لهم في دخول الجنة، هكذا[٤]. فإذا هذبوا مما في قلوبهم من العداوة والبغضاء ونقوا منها؛ فإنه يؤذن لهم في دخول الجنة؛ فإذا أذن لهم في الدخول؛ فلا يجدون الباب مفتوحًا، ولكن النبي ﷺ يشفع إلى الله في أن يفتح لهم باب الجنة؛ كما سيأتي في أقسام الشفاعة إن شاء الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٥)، والإسماعيلي في المستخرج على البخاري كما في البدور السافرة، للسيوطي (ص:٣٧٠).

(٢) انظر: التذكرة للقرطبي (١/ ٤٣٩)، وفتح الباري (١١/ ٤٠٦).

(٣) لوامع الأنوار (٢/ ١٩٠). وانظر: البدور السافرة، للسيوطي (ص:٣٧٠).

(٤) كما رواه البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١٤)

الميزان

والميزان حقٌّ، وله كفتان، يوزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها.

(و) مما أدركوا عليه علماء أهل السنة مجمعين إثبات (الميزان) وأنه (حقٌّ) لاشك فيه، و(له كفتان يوزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها)، فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الميزان حقيقة وأن له كفتين حقيقتين، دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة:٦-١١] إلى غير ذلك من الآيات، قال الشيخ مرعي في (البهجة) في هذا: إن أعمال الجن توزن كما توزن أعمال الإنس، وهو كذلك ارتضاه الأئمة[١].

ففي يوم القيامة تُنْصَبُ المَوازينُ فَتُوزَنُ بِها أعْمالُ العِبادِ والذي ينصب الموازين هو الله عَزَّوَجَلَّ لتوزن بها أعمال العباد. قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: توزن الحسنات في أحسن صورة، والسيئات في أقبح صورة. قال العلامة الشيخ مرعي في (بهجته): الصحيح أن المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافا لبعضهم. اهـ يعني: المعتزلة[٢].

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٤).

(٢) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٤).

فرع:

ذكر أهل العلم أن مراتب المعاد: البعث والنشور ثم المحشر، ثم القيام لرب العالمين، ثم العرض، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال، ثم السؤال والحساب، ثم الميزان[١]، ثم الحوض ثم الصراط ثم من سلم منه فالقنطرة ثم الجنة جعلنا الله من أهلها. وقال القرطبي في تذكرته: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها[٢].

فرع:

وردت النصوص بذكر الميزان بالجمع والإفراد: فمثال الجمع: قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف:٨-٩]. وقال النبي ﷺ: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٣]، فأفرد ذكر الميزان، فكيف نجمع بين الآيات القرآنية وبين هذا الحديث؟!

فالجواب أن نقول: إما أنها جمعت باعتبار الموزون؛ حيث إنه متعدد، وأفردت باعتبار أن الميزان واحد، أو ميزان كل أمة، أو أن المراد بالميزان في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ثقيلتان في الميزان» أي: في الوزن.

والذي يظهر -والله أعلم- أن الميزان واحد، وأنه جمع باعتبار الموزون. لكن يتوقف

(١) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٤).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) رواه: البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤)؛ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الإنسان: هل يكون ميزانًا واحدًا لجميع الأمم أو لكل أمة ميزان؛ لأن الأمم كما دلت عليه النصوص تختلف باعتبار أجرها؟!

فرع:

والميزان ميزان حسي حقيقة له كفتان ولسان، والوزن يكون على حسب المعهود بالراجح والمرجوح، وذلك لأن الأصل في الكلمات الواردة في الكتاب والسنة تحمل على المعهود المعروف؛ إلا إذا قام دليل على أنها خلاف ذلك، والمعهود المعروف عند المخاطبين منذ نزول القرآن الكريم إلى اليوم أن الميزان حسي، وأن هناك راجحًا ومرجوحًا.

وخالف في ذلك جماعة: فالمعتزلة قالوا: إنه ليس هناك ميزان حسي، ولا حاجة له؛ لأن الله تعالى قد علم أعمال العباد وأحصاها، ولكن المراد بالميزان: الميزان المعنوي الذي هو العدل. ولا شك أن قول المعتزلة باطل؛ لأنه مخالف لظاهر اللفظ وإجماع السلف، ولأننا إذا قلنا: إن المراد بالميزان: العدل؛ فلا حاجة إلى أن نعبر بالميزان؛ بل نعبر بالعدل؛ لأنه أحب إلى النفس من كلمة (ميزان)، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠].

والصواب أن نجري الوزن على ظاهره، ونقول: إن الراجح هو الذي ينزل، ويدل لذلك حديث صاحب البطاقة[١]، فإن فيه أن السجلات تطيش وتثقل البطاقة، وهذا واضح، بأن الرجحان يكون بالنزول.

فرع: في كيفية الوزن:

فإن قيل: كيف يوزن العمل؛ والعمل وصف قائم بالعامل، وليس جسمًا فيوزن؟!

فالجواب أن يقال: إن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يجعل هذه الأعمال أجسامًا، وليس هذا

---

(١) سيأتي قريبا.

بغريب على قدرة الله عَزَّوَجَلَّ، وله نظير، وهو الموت؛ فإنه يجعل على صورة كبش، ويذبح بين الجنة والنار، كما جاء ذلك في الصحيحين[١]، مع أن الموت معنى، وليس بجسم، وليس الذي يذبح ملك الموت، ولكنه نفس الموت، حيث يجعله الله تعالى جسمًا يشاهد ويرى، كذلك الأعمال يجعلها الله عَزَّوَجَلَّ أجسامًا توزن بهذا الميزان الحسي.

والذي يوزن العمل، سواء كان خيرًا أم شرًّا، وهذا هو ظاهر القرآن؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٦-٨]، وقال النبي ﷺ: **«كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان»** متفق عليه[٢]، وهذا ظاهر أيضًا، بل صريح، في أن الذي يوزن العمل، والنصوص في هذا كثيرة.

ولكن هناك نصوص قد يخالف ظاهرها هذا الحديث، منها حديث صاحب البطاقة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ: **«إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»**[٣].

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تقدم عزوه.

(٣) رواه: أحمد (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (٤٣٠٠)، والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٩) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة

وظاهر هذا أن الذي يوزن صحائف الأعمال.

وهناك نصوص أخرى تدل على أن الذي يوزن العامل؛ مثل: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف:١٠٥]؛ مع أنه قد ينازع في الاستدلال بهذه الآية؛ فيقال: إن معنى قوله: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾؛ يعني: قدرًا. ومثل ما ثبت من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يجتني سواكًا من الأراك، وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دقيق الساقين، جعلت الريح تحركه، فضحك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فقال النبي ﷺ: «مم تضحكون؟». قالوا: من دقة ساقيه. قال: «والذي نفسي بيده؛ لهما في الميزان أثقل من أحد»[(١)].

فصار هاهنا ثلاثة أشياء: العمل، والعامل، والصحائف. فقال بعض العلماء: إن الجمع بينها أن يقال: إن من الناس من يوزن عمله، ومن الناس من يوزن صحائف عمله، ومن الناس من يوزن هو بنفسه. وقال بعض العلماء: الجمع بينها أن يقال: إن المراد بوزن العمل أن العمل يوزن وهو في الصحائف، ويبقى وزن صاحب العمل، فيكون لبعض الناس.

قال الشيخ ابن عثيمين: ولكن عند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس، فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه. وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة؛ فقد يكون هذا أمرًا يخص الله به من يشاء من عباده، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف:٨]، والمراد بثقل الموازين رجحان الحسنات على السيئات.

---

(١٣٥)، وللحافظ حمزة الكناني (جُزء البطاقة).

(١) رواه أحمد (١/ ٤٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٩): رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق وأمثل طرقها فيه عاصم بن أبي النجود، وهو حسن الحديث على ضعفه، وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح.

فرع: هل الكفار توزن أعمالهم؟

اختلف العلماء في ذلك، هل الكفار توزن أعمالهم أم لا؟ على قولين، لظاهر قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٣] والصحيح أن المراد بخفة الموازين -والله أعلم-: رجحان السيئات على الحسنات، أو فقدان الحسنات وذهابها بالكلية.

وإن قلنا بأن الكفار توزن أعمالهم، كما هو ظاهر هذه الآية الكريمة وأمثالها، وهو أحد القولين لأهل العلم؛ فإن كان لإظهار خفة موازينهم لا لرجحان حسناتهم فإنه قول صحيح؛ لأن الكفار لا حسنات لهم يوم القيامة، وأما موازنة ترجيح فلا يقام لهم يوم القيامة وزنًا.

والقول الثاني: أن الكفار لا توزن أعمالهم مطلقًا؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مسألة محاسبة الكفار، هل يحاسبون أم لا؟ مسألة لا يكفر فيها بالاتفاق والصحيح أيضًا أن لا يضيق فيها ولا يهجر وقد حكي عن أبي الحسن بن بشار أنه قال: لا يصلى خلف من يقول: إنهم يحاسبون! والصواب الذي عليه الجمهور أنه يصلى خلف الفريقين؛ بل يكاد الخلاف بينهم يرتفع عند التحقيق؛ مع أنه قد اختلف فيها أصحاب الإمام أحمد وإن كان أكثرهم يقولون: لا يحاسبون، واختلف فيها غيرهم من أهل العلم وأهل الكلام. وذلك أن الحساب قد يراد به الإحاطة بالأعمال وكتابتها في الصحف، وعرضها على الكفار وتوبيخهم على ما عملوه، وزيادة العذاب ونقصه بزيادة الكفر ونقصه، فهذا الضرب من الحساب ثابت بالاتفاق. وقد يراد بالحساب:

وزن الحسنات بالسيئات ليتبين أيها أرجح، فالكافر لا حسنات له توزن بسيئاته؛ إذ أعماله كلها حابطة، وإنما توزن لتظهر خفة موازينه لا ليتبين رجحان حسنات له.

وقد يراد بالحساب: أن الله هل هو الذي يكلمهم أم لا؟ فالقرآن والحديث يدلان على أن الله يكلمهم تكليم توبيخ وتقريع وتبكيت، لا تكليم تقريب وتكريم ورحمة، وإن كان من العلماء من أنكر تكليمهم جملة. اهـ[1]

وقال في (الواسطية): فتنصب الموازين، فتوزن بها أعمال العباد، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [الأعراف:٨-١٠٣]، وتنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٣-١٤]، ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه؛ كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم، فتحصى، فيوقفون عليها ويقررون بها. اهـ[2] والله أعلم.

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦).

(٢) الواسطية بشرح الهراس (ص:٢٠٥، ٢٠٨).

(١٥)

الحــوض

والحوض المكرم به نبينا ﷺ حقٌّ.

(و) ومما أدركوا عليه جماعة علماء أهل السنة والجماعة أنّ (الحوض المكرم به نبينا ﷺ حقٌّ) الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابيًا، ذكر ذلك الحافظ في (الفتح)، وقال: منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك[1]، فمنها: ما رواه البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن قدر حوضي كما بين أيلة إلى صنعاء من اليمن وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»[2] ولهما عنه عن النبي ﷺ قال: «ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول: أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[3]، وروى الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاة فرفع رأسه مبتسما إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنه أنزلت عليّ آنفا سورة» فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر:١] حتى ختمها ثم قال لهم: «هل تدرون ما الكوثر؟» قالوا: الله ورسوله أعلم قال: «هو نهر أعطانيه ربي عَزَّوَجَلَّ

---

(١) فتح الباري (١١/ ٤٦٧)، وانظر: صحيح البخاري كتاب الرقاق، باب: في الحوض، وفتح الباري (١١/ ٤٦٣)، وصحيح مسلم في الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ، وشرح النووي عليه (١٥/ ٦٠، ٦٧، ٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم فأقول: يا رب إنه من أمتي، فيقال لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[١] ورواه مسلم ولفظه: «هو نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة» والباقي مثله[٢]، ومعنى ذلك أنه يشخب فيه ميزابان من ذلك الكوثر إلى الحوض، والحوض في العرصات قبل الصراط لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط. وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أنا فرطكم على الحوض»[٣]، والفرط: الذي يسبق إلى الماء، وروى البخاري عن سهل بن سعد الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «إني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدًا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم»، قال أبو حازم: فسمعني النعمان ابن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري سمعته وهو يزيد: «فأقول: إنهم من أمتي فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فقال: سحقًا سحقًا لمن غير بعدي»[٤] سحقًا: أي بعدًا. فمن أنكره؛ فأخلق به أن يحال بينه وبين وروده يوم العطش الأكبر.

فرع:

قد صحّ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لكل نبي حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة» حديث حسن أو صحيح رواه الترمذي

(١) رواه أحمد (١١٩٩٦) وسنده على شرط مسلم.
(٢) رواه مسلم (٤٠٠).
(٣) رواه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩).
(٤) رواه البخاري (٦٥٨٣، ٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩٠).

وغيره[١]، ولكن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

وأمَّا ما ذكره بعض العلماء من استثناء النبي صالحًا ﷺ وأنّ حوضه ضرع ناقته فغير صحيح، وما ورد فيه إلّا حديث موضوع لا تقوم به حجة[٢]، والصواب أن صالحًا صالحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كغيره من الأنبياء له حوض. والله أعلم.

فرع: في صفة الحوض:

والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وفي بعض الأحاديث: أنه كلما شرب منه وهو في زيادة واتساع، وأنه ينبت في خلاله من المسك والرضراض من اللؤلؤ وقضبان الذهب ويثمر ألوان الجواهر، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء. جعلنا الله من أهله بفضله وكرمه.

فرع:

قال العلامة أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في (التذكرة): واختلف في الميزان والحوض: أيهما يكون قبل الآخر؟ فقيل: الميزان وقيل: الحوض، قال أبو الحسن القابسي:

---

(١) رواه الترمذي (٧/ ١٣٣-تحفة)، ورواه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٥٦)، والبخاري في التاريخ (١/ ٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٧٣٤)؛ كلهم من طريق الحسن عن سمرة مرفوعًا به. وفي سماع الحسن من سمرة خلاف، إلا أن للحديث شواهد كثيرة؛ لذا قال الألباني في الصحيحة (١٥٨٩): وجملة القول: إن الحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح. اهـ وانظر: الفتح (١١/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٦٤)، وضعفه ابن الجوزي في (الموضوعات) وقال: هذا حديث موضوع لا أصل له. وذكره الذهبي في الميزان وقال: موضوع.

والصحيح أن الحوض قبل، قال القرطبي: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشًا من قبورهم، فيقدم قبل الميزان والصراط، قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب (كشف علم الآخرة): حكى بعض السلف من أهل التصنيف أن الحوض يورد بعد الصراط، وهو غلط من قائله قال القرطبي: هو كما قال، ثم قال القرطبي: ولا يخطر ببالك أنه في هذه الأرض بل في الأرض المبدلة أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ولم يظلم على ظهرها أحد قط، تظهر لنزول الجبار جَلَّجَلَالُهُ لفصل القضاء. انتهى. فقاتل الله المنكرين لوجود الحوض وأخلق بهم أن يحال بينهم وبين وروده يوم العطش الأكبر.

(١٦)

الشفاعــة

والشفاعة حقٌّ، وأن ناسًا من أهلِ التوحيدِ يخرجون من النار بالشفاعة حقٌّ.

(و) مما أدركوا عليها علماء أهل السنة الجماعة مجمعين أن (الشفاعة حقٌّ، وأن ناسًا من) عصاةِ (أهلِ التوحيدِ) الذين دخلوا النار (يخرجون من النار بالشفاعة) وهو (حقٌّ) اتفق عليه السلف. ويدل عليه الكتاب والسنة.

ومقصود السلف من إيراد هذا في العقائد هو الرد على الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة الذين أنكروا خروج أحدٍ من النار بعد دخولها فلم يفرقوا بين الكفار وعصاة المسلمين، فيذكرون هذا للرد عليهم فيما ذهبوا إليه من البدعة المخالفة للنصوص والإجماع.

ولهذه المسألة فروع:

الفرع الأول: في أنواع الشفاعة:

والشفاعة أنواع: منها ما هو متفق عليه بين الأمة كلها، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

النوع الأول: الشفاعة العظمى الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، وهذه الشفاعة لم يخالف فيها أحد وفي الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين أحاديث الشفاعة، منها عن أبي هريرة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فدفع إليه منها الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون لم ذلك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون إلى ما أنتم فيه؟ ألا ترون إلى ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضبَ اليوم غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يغضبَ بعدَه مثلَه، وإنه كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يغضبَ بعدَه مثلَه، وذكر كذباتِه، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى: فيقولون: يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يغضب بعدَه مثلَه، وإني قتلتُ نفسًا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه قال: هكذا هو، وكلمت الناس في المهد فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه، ولن يغضب بعدَه

مثلَه، ولم يذكر له ذنبًا، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ، فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء غفر الله لك ذنبك ما تقدم منه وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأقوم فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي عَزَّوَجَلَّ ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد، ارفع رأسك سل تعطه اشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، يا رب أمتي أمتي، فيقول: أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب»، ثم قال: «والذي نفسي بيده لما بين مصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبُصرى» أخرجاه في الصحيحين واللفظ للإمام أحمد(١).

النوع الثاني من الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وهذه الشفاعة يشركه فيه غيره من النبيين والمؤمنين، لكنه أكرمه على الله.

النوع الثالث من الشفاعة: شفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أقوام قد أمر بهم إلى النار أن لا يدخلونها، وهي كالتي قبلها.

النوع الرابع: شفاعته ﷺ في رفع درجات من يدخل الجنة فيها وزيادة نعيمهم فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، وهي كالتي قبلها.

كما في صحيح مسلم عن أم سلمة أن النبي ﷺ دعا لأبي سلمة لما قبض فقال: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين» الحديث(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٩٦٢٣)، والبخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

(٢) رواه مسلم (٩٢٠).

وقد وافقت المعتزلة في هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب، كما في حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب والحديث مخرج في (الصحيحين)(١).

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه، وهذه الشفاعة خاصة به ﷺ وبأبي طالب خاصة لحديث العباس بن عبد المطلب أنه قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار»(٢)، وفي حديث أبي سعيد: «لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه»(٣).

قال القرطبي: فإن قيل: فقد قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]؟ قيل له: لا تنفعه في الخروج من النار كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، ففي صحيح مسلم عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «أنا أول شفيع في الجنة»(٤)، وهذه من خصائصه ﷺ. قال ابن حجر: وقد ثبت في صحيح مسلم: أنه ﷺ أول من يستفتح باب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٠٥)، ومسلم (٢١٨).

(٢) رواه البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩).

(٣) رواه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).

(٤) رواه مسلم (١٩٦).

الجنة، وفي رواية علي بن زيد عن أنس عند الترمذي: «فآخذ حلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا؟ فأقول: محمد، فيفتحون لي ويرحبون فأخر ساجدًا» وفي رواية ثابت عن أنس عند مسلم: «فيقول الخازن: من؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك»، وله من رواية المختار بن فلفل عن أنس رفعه: «أنا أول من يقرع باب الجنة»، وفي رواية قتادة عن أنس: «آتي باب الجنة فأستفتح فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد، فيقال: مرحبًا بمحمد»، وفي حديث سلمان: «فيأخذ بحلقة الباب وهي من ذهب فيقرع الباب فيقال: من هذا؟ فيقول: محمد، فيفتح له حتى يقوم بين يدي الله فيستأذن في السجود فيؤذن له». اهـ[1]

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث وقد خفي علم ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا في ذلك جهلًا منهم بصحة الأحاديث وعنادًا ممن علم ذلك واستمر على بدعته.

وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضا وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات كما حديث أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، وللبخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الشفاعة: قال ﷺ: «فيأتوني فأقول: أنا لها فأستأذن علي ربي فيؤذن لي ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد وأَخِرُّ له ساجدًا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعط، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أَخِرُّ له ساجدًا فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك،

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٣٦).
(٢) أخرجه أحمد (١٣٢٢٢)، وأبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥) وقال: حسن صحيح.

واشفع تشفع، وسل تعط، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان بها قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان، فأنطلق فأفعل ثم أعود بتلك المحامد ثم أَخِرُّ له ساجدًا فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل، قال: ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا فيقال: يا محمد، ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله فيقول: وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله» رواه البخاري[1]. وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعا قال: «فيقول الله تعالى: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط» الحديث[2].

وفي الصحيح عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعدما يصيبهم منها سفع، فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين»[3]، وعن أبي سعيد مرفوعًا: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم، فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا أذن في الشفاعة، فيجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» رواه مسلم[4].

وعن يزيد الفقير قال: شغفني رأي الخوارج وأنا شاب، فخرجنا في عصابة نحج فإذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ، فإذا هو يذكر الجهنميين، فقلت:

---

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، (٧٥١٠).

(٢) رواه مسلم (١٨٣).

(٣) رواه البخاري (٦٥٥٩، ٧٤٥٠).

(٤) رواه مسلم (١٨٥).

ما هذا الذي تحدثون والله يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران:١٩٢]، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [الحج:٢٢]، قال: يا بني هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج؟ ثم نعت الصراط وممر الناس عليه وأن قومًا يخرجون من النار بعد أن كانوا فيها، قال: فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا، قلنا: ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ فرجعنا، فلا والله ما خرج منها غير رجل واحد[١].

الفرع الثاني: في أقسام الناس في الإيمان بالشفاعة:

الناس في الشفاعة على ثلاثة مذاهب:

الأول: مذهب المشركين والنصارى والمبتدعين من الغلاة في المشايخ وغيره، من يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا.

والثاني: مذهب الوعيدية من المعتزلة والخوارج الذين أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر.

والثالث: مذهب أهل الحق من أهل السنة والجماعة، فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ في أهل الكبائر وشفاعة غيره، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حدًا كما في الحديث الصحيح حديث الشفاعة: «**فيقول لهم عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: اذهبوا إلى محمد فإنه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني فأذهب فإذا رأيت ربي خررت له ساجدًا فأحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا أحسنها الآن فيقول: أي محمد، ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع، فأقول: ربي، أمتي، فيحد لي حدًا فأدخلهم الجنة، ثم أنطلق فأسجد فيحد لي حدًا**» ذكرها ثلاث مرات[٢].

---

(١) رواه مسلم (١٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

فالحاصل أن الشفاعة عند الله ليست كالشفاعة عند البشر! فإن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، فإنّ الأمر كله إليه، فلا شريك له بوجه، فسيد الشفعاء يوم القيامة إذا سجد وحمد الله تعالى فيقول له الله: ارفع رأسك وقل يسمع واسأل تعطه واشفع تشفع فيحد له حدًا فيدخلهم الجنة، فالأمر كله لله كما قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٤]، وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فإذا كان لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه لمن يشاء ولكن يكرم الشفيع بقبول شفاعته، وفي الصحيح: أن النبي ﷺ قال: «**يا بني عبد مناف لا أملك لكم من الله شيئًا، يا صفية يا عمة رسول الله ﷺ لا أملك لك من الله شيئًا، يا عباس عم رسول الله لا أملك لك من الله شيئًا**»[1] وفي الصحيح أيضا عن النبي ﷺ: «**لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء أو شاة لها يعار أو رقاع تخفق فيقول: أغثني أغثني، فأقول: قد أبلغتك لا أملك لك من الله من شيء**»[2] فإذا كان سيد الخلق وأفضل الشفعاء يقول لأخص الناس به: «**لا أملك لكم من الله من شيء**» فما الظن بغيره؟

الفرع الثالث في أقسام الشفاعة من حيث النفي والإثبات:

والشفاعة من حيث النفي والإثبات قسمان:

القسم الأول: شفاعة منفية في القرآن؛ وهي الشفاعة للكافر والمشرك. قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة:٢٥٤] وقال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ

(١) رواه مسلم (٢٠٥) عن عائشة.

(٢) رواه مسلم (١٨٣١) عن أبي هريرة.

ﭐلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [الروم:١٢-١٣]، ونحو هذا الآيات.

والقسم الثاني: الشفاعة المثبتة في القرآن والسنة، وهي خالصة لأهل الإخلاص؛ وقيدها تعالى بأمرين:

الأول: إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد؛ فإذا رحمه الله تعالى أذن للشافع أن يشفع له.

الأمر الثاني: رضاه عن المشفوع له، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فالإذن بالشفاعة له بعد الرضاء؛ كما في هذه الآية، وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد.

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ [الزمر:٤٣-٤٤]، قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [يونس:١٨]. فبين تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتف وممتنع، وأن اتخاذهم شفعاء شرك؛ يتنزه الرب تعالى عنه. وقد قال تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾ [الأحقاف:٢٨]، فبين تعالى أن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتأليههم، أن ذلك منهم إفك وافتراء.

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ [الزمر:٤٤] أي هو مالكها، فليس لمن تُطلب منه شيء منها، وإنما تطلب ممن يملكها دون كل من سواه؛ لأن ذلك عبادة وتأليه لا يصلح إلا لله. قال البيضاوي: لعله رد لما عسى أن يجيبوا به، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون.

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١٠٧] تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه، لأنه مالك الملك، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالكها بطل أن تطلب ممن لا يملكها ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، قال ابن جرير: نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى. قال الله تعالى: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٤] وقوله ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقد تبين مما تقدم من الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله. وفي هذه الآية بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الآخرة بإذنه، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]، فبين أنها لا تقع لأحد إلا بشرطين: إذن الرب تعالى للشافع أن يشفع، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه، وهو تعالى لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أريد به وجهه، ولقي العبد به ربه مخلصًا غير شاك في ذلك، كما دل على ذلك الحديث الصحيح عن أبي هريرة الذي رواه البخاري أنه قال: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: **«أسعد الناس بشفاعة يوم القيامة، من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه»**[1]. ورواه أحمد وصححه ابن حبان وفيه: **«وشفاعتي لمن قال لا إله إلا الله مخلصًا، يصدق قلبه لسانه؛ ولسانه قلبه»**[2]، وشاهده في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة. فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئًا»**[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (٨٠٧٠) وصححه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٧٢٦) (٢/ ٦٩٦)، وابن حبان (٦٤٦٦)، والحاكم (١/ ٢٤٨).

(٣) رواه مسلم (١٩٩).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تُنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع، ومن جهل المشرك اعتقاده أن من اتخذه وليًا أو شفيعًا أنه يشفع له وينفعه عند الله، كما يكون خواص الولاة والملوك تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه في الشفاعة، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله، كما قال في الفصل الأول: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وفي الفصل الثاني: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وبقي فصل ثالث، وهو أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله ﷺ، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب مَن عقلها ووعاها. اهـ

وقال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣]- قال أبو العباس ابن تيمية: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مِلْك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء:٢٨]، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه «يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أوّلًا، ثم يقال له: ارفع رأسك وقُلْ يُسمعْ وسَلْ تُعْطَ، واشفع تشفع»[1]، وقال أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه»[2]، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته:

(١) أخرجه البخاري (١٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).
(٢) رواه البخاري (٩٩).

أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع. وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. اهـ كلامه[1].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم:٢٦]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا كقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]. ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله؛ وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله؛ وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه؟

وقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٢-٢٣]، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها. فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده. فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفيًا مرتبًا؛ متنقلًا من الأعلى إلى الأدنى؛ فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه. فكفى بهذه الآية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لمن عقلها. والقرآن مملوء من

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٧٧-٧٨).

أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنونها في نوع وقوم قد خَلوا من قبل ولم يُعقبوا وارثًا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن. ولعمر الله؛ إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ثم قال: ومن أنواعه -أي الشرك- طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم، وهذا أصل شرك العالم. فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، فضلًا عمن استغاث به وسأله أن يشفع له إلى الله. وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده؛ فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص؛ إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم! وما نجى من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جَرّد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده لله، متبعا لأمره متطلبا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا عمل عمل لله. فهو لله وبالله ومع الله. انتهى كلامه رحمه الله تعالى[1].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤٩-٣٥٤).

(١٧)

عذاب القبر

وعذاب القبر حق ومنكر ونكير.

(و) مما أدركوا عليه جماعة علماء أهل السنة مجمعين أنّ (عذاب القبر حقٌّ، و) والإيمان بسؤالِ المَلَكَينِ (منكرٍ ونكيرٍ) في فتنة القبرِ، وذكر منكر ونكير مما تفردت بها رواية البرذعي.

واعلم أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على الإيمان بعذاب القبر وقد دل عليه الكتاب وتواترت به السنن، قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٥-٤٦]. ﴿غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر:٤٦] أي صباحًا ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين، تغدو وتروح إلى النار، ويقال: يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة[(١)]. وفي الصحيح عن عبدالله ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**»[(٢)]. قال ابن كثير: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا

---

(١) تفسير البغوي (٧/ ١٥٠) والبحر المحيط (٧/ ٤٦٨)، وتفسير القرطبي (١٥/ ٣١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٢٤٣)، ومسلم (٢٨٦٦).

وَعَشِيًّا﴾[١]. وقال القرطبي: والجمهور على أن هذا العرض في البرزخ، واحتج بعض أهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ ما دامت الدنيا، كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال: هذه الآية تدل على عذاب القبر في الدنيا، ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦][٢].

وقال تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الطور:٤٥-٤٧]. قال السمعاني: قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ﴾، الْأَكْثَرُونَ على أَنه عَذَاب القبر[٣]. وقال علي بن أبي طالب: هو عذاب القبر، وقاله البراء بن عازب وابن عباس في رواية عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٤].

وهو يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا كما قيل، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر، لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك، وصح عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ، فقعد قعدنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وهو يلحَد له، فقال: «**أعوذ بالله من عذاب القبر**»، ثلاث مرات، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**»، قال: «**فتخرج**

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦) ت. سلامة.

(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٩).

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ٢٨١).

(٤) تفسير البغوي (٧/ ٣٩٤) وتفسير القرطبي (١٧/ ٧٨).

تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، وتخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض»، قال: «فيصعدون بها، فلا يمرون بها، -يعني على ملأ من الملائكة-، إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: ما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مدَّ بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: يا رب، أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي»، قال: «وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح خبيثة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها

في الدنيا، حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له»، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠]، «فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا»، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، «فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت، فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[1].

وذهب إلى موجب هذا الحديث جميع أهل السنة والحديث، وله شواهد من الصحيح. وفي الصحيحين عن قتادة عن أنس، أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، أنه ليسمع قرع نعالهم، فيأتيه ملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقول له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا»، قال قتادة: وروي لنا: أنه يفسح له في قبره، وذكر الحديث[2]. وفي الصحيحين عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في

(١) رواه الإمام أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصححه أبو عوانة الإسفراييني وابن حبان والحاكم في (صحاحهم) قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وابن القيم في تهذيب السنن، والروح (١/ ٢٦٩).

(٢) رواه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

كبير، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: **«لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»**[(١)].

فروع مهمة:

الفرع الأول: في ذكر المنكَر والنكير، وسبب التسمية:

تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين: المنكر والنكير، وفي صحيح أبي حاتم ابن حبان عن أبي هريرة، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا قبر أحدكم، أو الإنسان، أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير»**، وذكر الحديث إلخ[(٢)]، والحديث قد صح في ذكر هذين الاسمين وله طرق ولهذا صححه جماعة من أهل العلم، وأثبتوا بذلك اسم المنكر والنكير.

وسبب هذه التسمية لأنهما يأتيان على صورة منكرة لم يعهدها الإنسان وليس فيها أنسٌ للناظرين، ويُسميان الفتانين، لأنهما يفتنان الناس في قبورهم. فالإيمان بالمنكر والنكير من الإيمان باليوم الآخر. وقد سأل رجل الإمام أحمد: هل نقول المنكر والنكير أو الملكين؟ قال: المنكر والنكير، هكذا هو.

وبعض من ألف فيما يحصل في القبر قال هو مُنْكِر -بكسر الكاف- ليس بمنكَر بل مُنْكِر؛ لأنه ينكر على المقبور بفتنته، كذا قال! لكن الصواب أنه مُنْكَر -بفتح الكاف- ونكير، أي من جهة أشكالهما، فإن أشكالهما تُنكَر وتَرُوعُ الميت، لأن المكان مكان فتنة وامتحان، وقد جاء في صفة مالك خازن النار -كما في حديث سمرة بن جندب في رؤيا

---

(١) رواه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧١) وقال: حسن غريب، وصححه ابن حبان (٣١١٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

النبي ﷺ- وقال فيه: قال: فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة -أي المنظر- كأكره ما أنت راءٍ رجلًا مرآة فإذا هو عند نار يحشها ويسعى حولها، قال: قلت لهما: **«ما هذا»** إلى أن قال: «**وأما الرجل الكريه المرآة الذي عند النار يحشها فإنه مالك خازن جهنم**» رواه البخاري مطولًا[١].

قال في (معجم المناهي اللفظية): ثبت في الصحيحين سؤال الملكين للميت في قبره، وجاء في رواية الترمذي تسميتهما بالمنكر والنكير على التعريف. والمنكر: بكسر الكاف من الأول على خلاف الشائع بفتحها، قال في (أدلة التثبيت):

ومنكِـــر أتـــى بكســـر الكـــافِ ولـــيس يـــدرى فيـــه مـــن خـــلاف

وفي تاج العروس ضبطه على وزن (مُحسِن). لكن ابن حجر الهيتمي قال في (الفتاوى الحديثية): بفتح الكاف اتفاقًا. اهـ وفيها أيضًا حكى قول ابن يونس: اسمهما على المذنب: منكر، أي بفتح الكاف، وأما على المطيع: مبشر وبشير. انتهى[٢]. ولا ينكر تسميتهما بمنكر ونكير، إلا المعتزلة الذين ينكرون عذاب القبر. وفي مسائل أحمد للمروذي: نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير. اهـ[٣]

وفي اللوامع للسفاريني: قال الحكيم الترمذي: وإنما سميا فتاني القبر لأن في سؤالهما انتهارًا وفي خلقهما صعوبة، وسميا منكرًا ونكيرا؛ لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام، بل هما خلق بديع وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما، جعلهما الله تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره، وهتكًا لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث، قال جلال الدين السيوطي: وهذا يدل على أن الاسم (منكر)

---

(١) رواه البخاري (٧٠٤٧) عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الفتاوى الحديثية، لابن حجر الهيتمي (ص:١١).

(٣) معجم المناهي اللفظية (ص:٦٦٧)، للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله.

بفتح الكاف وهو المجزوم به في القاموس. قلت: وكذا في (نهاية) ابن الأثير، قال: ومنكر ونكير اسما ملكين مفعل وفعيل.

وذكر ابن يونس من الشافعية: أن اسم ملكي المؤمن مبشر وبشير. قلت: وهذا يحتاج إلى دليل مأثور، وأنّى به، فإن الأحاديث ليس فيها سوى منكر ونكير، وقد أشار إلى ذلك السيوطي في أرجوزته بقوله:

وضبط منكر بفتح كاف فلست أدري فيه من خلاف

وذكر ابن يونس من صحبنا أن اللذين يأتيان المؤمنا

اسمها البشير والمبشر ولم أقف في ذا على ما يؤثر[1].

فيجب الإيمان بهذين الاسمين، والمعتزلة الذين يحكمون عقولهم في الشرع يردون هذا ولا يؤمنون به ويقولون: لا يصح أن يقال عن بعض ملائكة الله أنه منكر ونكير، فأنكروا هذا بالعقل وهذا من غلبة الجهل وقلة العلم من هؤلاء بالشرع.

فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يرد بعدم إدراك العقل له، فإن أمر الآخرة لا يدرك تفصيله إلا بالنقل، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا، فإن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام.

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٨).

الثالث: تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقى لها إليه التفات ألبتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلّم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرد إعادة خاصة، لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، فالنوم أخو الموت. فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة[1].

الفرع الثاني:

هل فتنة القبر عامةٌ لكل أحد؟ أو يستثنى منها أحد بإذن الله؟

الجواب: هذه الفتنة يستثنى منها أصناف:

أحدها: غير المكلف، والمراد الذي استغرقت حياته كلها بلا تكليف، فإن كثيرًا من أهل العلم قالوا: إن غير المكلف لا يُسأل لأنه غير مكلف سواءً أجاب بخطأ أو صواب، فما دام التكليف رُفِعَ عنه في الدنيا فإنه يُرفع عنه في الآخرة، وقال بعض العلماء: بل يأتيه الملكان ويسألانه فإن كان محكومًا بإيمانه فسوف يجيب بالصواب، فهؤلاء الأطفال الذين يموتون أو المجانين وإن كانوا غير مكلفين فإن الله قادر على أن ينطقهم في القبر بما يشاء.

---

(١) انظر: كتاب الروح (ص:٤٣)، ومختصر الفتاوى المصرية، لابن تيمية (ص:٢٦٩)، وشرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٧٨) ط. الأرنؤوط، وشرح السفاريني على منظومته (٢/ ٢٨) ط. المكتب الإسلامي، ومجموع الفتاوي (٤/ ٢٦٢-٢٧٠).

وأما إن كلف ثم زال تكليفه بجنون أو نحوه فإنه يسأل عما كان زمن تكليفه[١].

والثاني ممن يستثنى: من فتنة القبر الشهيد الذي قُتل في سبيل الله فإنه لا يُسأل، كما جاء ذلك في الحديث في سنن النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[٢]، وعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله: «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**» رواه ابن ماجه والترمذي وهذا لفظه وقال: هذا حديث حسن صحيح[٣]، فإن هذا الرجل الذي وقف أمام السيوف وسلَّم رقبته للعدو يدل فعله هذا أكبر دلالة على صحة إيمانه، وحينئذٍ لا يحتاج إلى سؤال.

الثالث ممن يستثنى: المرابط إذا مات مرابطًا، لما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات أجري عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن الفتان**»[٤] وعن فضالة بن عبيد عن رسول الله قال: «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر**»[٥].

---

(١) شرح السفارينية لابن عثيمين (ص:٤٣٣/ ٤٣٤).

(٢) رواه النسائي (٢٠٥٣) بسند صحيح.

(٣) رواه الترمذي (١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (٢٧٩٩)، وأحمد في المسند (١٧١٨٢).

(٤) رواه مسلم (١٩١٣).

(٥) رواه أحمد (٢٣٩٥١)، وأبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الرابع مما يستثنى: الأنبياء[١]، لأن النبي مسئول عنه أليس كذلك، يقال ما دينك؟ من نبيك؟ ولأنه إذا كان الشهيد لا يُسأل فالنبي أعلى درجةً منه وإن كانت أمور الآخرة ليس فيها قياس لكننا نقول النبي عنده من اليقين أكثر من الشهيد لا شك، فلهذا نقول: إن النبي لا يُسأل.

قال ابن القيم في (الروح): وقد اختلف في الأنبياء هل يسألون في قبورهم على قولين، وهما وجهان في مذهب أحمد[٢].

الفرع الثالث:

السؤال في القبر عام شامل لكل مكلف من مسلم وكافر أو منافق في قول الجمهور، خلافًا لابن عبد البر حيث أخرج الكافر. قال ابن القيم: القرآن والسنة يدلان على خلاف هذا القول، بل السؤال للكافر والمسلم، قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أنها نزلت في عذاب القبر كما تقدم، فإن في الأحاديث «الكافر» و«الفاجر»، واسم الفاجر في عرف القرآن والسنة يتناول الكافر قطعًا. ونحو هذا في كتاب (العاقبة) للحافظ عبد الحق الإشبيلي وصوّبه القرطبي في (التذكرة)، وانتصر الجلال السيوطي لابن عبد البر، وفيما قاله نظر، وخلاف النصوص[٣].

الفرع الرابع:

عذاب القبر دائمٌ مستمر على الكافـر، وأما المؤمن فيحتمل أن ينقطع ويحتمل أن يستمر؛ لأنه سيُعذب على حسب عمله وعمله قد يستوعب جميع الزمن وقد ينقص عنه.

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (٢/ ١٢).

(٢) الروح (ص:٨١).

(٣) انظر: لوامع الأنوار (٢/ ١٠).

فالعذاب الدائم عذاب الكفار، كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]. وكذا في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «**ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**»، رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

وأمَّا المنقطع فهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، كما تقدم ذكره في الممحصات العشرة[١].

الفرع الخامس:

متى تكون هذه الفتنة هل هي بخروج الروح؟ أم بتسليم الإنسان إلى عالم الآخرة؟

الجواب: بتسليم الإنسان إلى عالم الآخرة، أما مجرد خروج الروح فلا يحصل فيه فتنة؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إذا دُفِنَ الميت أو قال العبد**»[٢] وقال ﷺ: «**أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخيرٌ تقدمونها إليه**»[٣]، وهذا يدل على أنها لا تصل إلى ذلك الخير ما دامت بأيديهم، وعلى هذا فإذا مات ميت ووُضِعَ في الثلاجة للتحقق من موته وأسبابه فإنه لا يُفتن ولا يأتيه ملكان حتى يُدفن[٤].

الفرع السادس:

هل هذا خاصٌ بالمقبور؟ لقوله: «**إذا دُفن الميت**»؟ أو ذُكر ذلك بناءًا على الأغلب وما قُيِّدَ بمفهوم أغلبي فلا مفهوم له؟

الجواب: الثاني، وعلى هذا فإذا أُلقي الإنسان في البر أو أُلقي في البحر ومات هناك فإنه يأتيه الملكان ويُفتن.

---

(١) شرح الطحاوية (ص:٤٠١).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧١) وضعفه.

(٣) أخرجه البخاري (١٣١٥)، ومسلم (٩٤٤).

(٤) شرح السفارينية لابن عثيمين (ص:٤٣٣).

قال ابن القيم في (الروح): مما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ينال نصيبه منه قبر أم لم يقبر، فلو أكلته الشباع أو حرق حتى صار رمادا أو نسف في الهواء أو غرق في البحر، وصل روحه وبدنه من العذاب ما يصل من المقبور[1].

الفرع السابع:

ليس السؤال في القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح ! والأحاديث الصحيحة ترد القولين.

وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب مفردة عن البدن ومتصلة به.

والأصل أن العذاب على الروح ولكنها تتصل أحيانًا ويُرى في الجسم لو حُفر أثر العذاب فالأصل أنه على الروح ولكن الروح قد تتصل بالبدن فيتنعم، هذا ما ذهب إليه المحققون من أهل العلم، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهما.

وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك - فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراد ما قصده من الهدى والبيان، فكم حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب - ما لا يعلمه إلا الله. بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد. والله المستعان.

فالحاصل أن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ٩).

الأبدان، والأرواح تبعًا لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبعًا لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم - صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا. فإذا تأملت هذا المعنى حق التأمل، ظهر لك أن كون القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار - مطابق للعقل، وأنه حق لا مرية فيه، وبذلك يتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم»[(١)].

الفرع الثامن:

ويجب أن يعلم أن النار التي في القبر والنعيم، ليست من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى تكون أعظم حرًّا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها. بل أعجب من هذا أن الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنة، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه. وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علمًا. وقد أرانا الله في هذه الدار من عجائب قدرته ما هو أبلغ من هذا بكثير. وهذه النار الكامنة أو المنقولة في الأسلاك الكهربائية المغطاة بالعازل البلاستيكي تحرق كل من اتصلت به وتلسعه، ومع ذلك لا يحس بها من وراء العازل، وقد تكون من خلال جدران البيوت ولا يشعر الناس بها، وإذا شاء الله أن يطلع على ما في القبر بعض عباده أطلعه وغيبه عن غيره، ولو أطلع الله على ذلك العباد كلهم لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس، كما في صحيح مسلم عنه ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**»[(٢)].

ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم سمعت وأدركت.

---

(١) شرح الطحاوية (ص:٤٠٠) ط. الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفرع التاسع:

وللناس في سؤال منكر ونكير: هل هو خاص بهذه الأمة أم لا : ثلاثة أقوال: الثالث التوقف، وهو قول جماعة، منهم الحكيم الترمذي وأبو عمر بن عبد البر، فقال: وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ، أنه قال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها**»، منهم من يرويه «**تسأل**»، وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة قد خصت بذلك، وهذا أمر لا يقطع به، والذي يظهر عدم الاختصاص، والله أعلم. وهو الذي اختاره ابن القيم وعبد الحق الإشبيلي والقرطبي في التذكرة، وأن غير هذه الأمة تسأل أيضًا، قال ابن القيم: والظاهر -والله أعلم- أن كل نبي مع أمته كذلك، يعني يسأل عنه كنبينا ﷺ، كما يعذبون في الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة.

الفرع العاشر: في مستقر الأرواح:

وقد اختلف في مستقر الأرواح ما بين الموت إلى قيام الساعة:

والذي يتلخص من أدلتها: أن الأرواح في البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت[(١)]:

فمنها: أرواح في أعلى عليين، في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وهم متفاوتون في منازلهم.

ومنها: أرواح في حواصل طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح بعض الشهداء، لا كلهم، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه، كما في المسند عن عبد الله بن جحش: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، ما لي إن قتلت في سبيل الله؟ قال: «**الجنة**»، فلما ولى، قال: «**إلا الدين، سارني به جبريل آنفًا**»[(٢)].

(١) انظر شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص:٤٠٣) ط. الألباني.

(٢) رواه مسلم (١٨٨٥).

ومن الأرواح من يكون محبوسًا على باب الجنة، كما في الحديث الذي قال فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة**»[1]. ومنهم من يكون محبوسًا في قبره. ومنهم من يكون محبوسا في الأرض. ومنها أرواح في تنور الزناة والزواني، وأرواح في نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة، كل ذلك تشهد له السنة، والله أعلم.

الفرع الحادي عشر: في حياة الشهيد:

وأما الحياة التي اختص بها الشهيد وامتاز بها عن غيره، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٥٤]. فهي: أن الله تعالى جعل أرواحهم في أجواف طير خضر. كما في حديث عبد الله بن عباس، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم** -يعني يوم أحد- **جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش**»، الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود[2]، وبمعناه في حديث ابن مسعود، رواه مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة»، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب،

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٣٩، ١٥٠)، وصححه الألباني في تخريج الطحاوية (ص:٤٠٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣) ط. شاكر، وأبو داود (٢٥٢٠) بإسناد حسن.

نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(١). فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عَزَّوَجَلَّ حتى أتلفها أعداؤه فيه، أعاضهم منها في البرزخ أبدانا خيرا منها، تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها. ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير، ونسمة الشهيد في جوف طير. وتأمل لفظ الحديثين، ففي الموطأ أن كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه**»(٢)؛ فقوله: «**نسمة المؤمن**» تعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «**هي في جوف طير خضر**»، ومعلوم أنها إذا كانت في جوف طير صدق عليها أنها طير، فتدخل في عموم الحديث الآخر بهذا الاعتبار، فنصيبهم من النعيم في البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة من كثير منهم، فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه، والله أعلم.

الفرع الثاني عشر: أجساد الأنبياء والشهداء:

وحرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنن. وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مدد من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم.

وكأنه -والله أعلم- كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول.

---

(١) رواه مسلم (١٨٨٧).

(٢) رواه مالك في الموطأ (٦٤٣) وأحمد (١٥٧٧٦، ١٥٧٧٧)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) بسند صحيح.

الفرع الثالث عشر: في حياة الأنبياء في قبورهم:

الصحيح من المذاهب مذهب أهل السنة أن الأنبياء أحياء في قبورهم حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء، خلافًا لمذهب الأشعرية القائلين بأنها حياة لحياتهم في الدنيا، وأصل المسألة ما رواه أبو يعلى والبيهقي في جزء له في ذلك عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»[١]، وفي صحيح مسلم عنه في حديث الإسراء «أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر بموسى وهو يصلي في قبره»[٢].

قال العلامة محمود شكري الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآيات البينات[٣]: أما حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الحياة البرزخية التي هي فوق حياة الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] فأمر ثابت بالأحاديث الصحيحة، قال بخاري عصره شيخ مشايخنا الشيخ علي السويدي البغدادي في كتابه «العقد»: أخرج أبو يعلى والبيهقي وصححه عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلّون**»، وأخرج الإمام أحمد ومسلم في صحيحه والنسائي عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**مررت ليلة أسري بي على موسى قائمًا يصلي في قبره**»، قال المناوي: أي يدعو ويثني عليه ويذكره، فالمراد الصلاة اللغوية، وهي الدعاء والثناء، وقيل: المراد الشرعية، وعليه القرطبي، ولا تدافع بين هذا وبين رؤيته إياه تلك الليلة في السماء السادسة؛ لأن للأنبياء عليهم السلام مسارح، أو لأن أرواح الأنبياء بعد مفارقة البدن في الرفيق الأعلى ولها إشراف على البدن وتعلق به، وبهذا التعلق رآه يصلي في قبره ورآه في السماء، فلا يلزم كون موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عرج به من قبره ثم رد إليه، بل ذلك مقام روحه

---

(١) أخرجه البيهقي في حياة الأنبياء (ص:١٥) بسند ضعيف جدًا.

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٨٤٥).

(٣) الآيات البينات في عدم سماع الأموات (ص:٣٩).

واستقرارها وقبره مقام بدنه واستقراره إلى يوم معاد الأرواح إلى الأجساد كما أن روح نبينا ﷺ بالرفيق الأعلى وبدنه الشريف في ضريحه المكرم يرد السلام على من يسلم عليه، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. اهـ

وقال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رده على بعض أهل الجهل والضلالة[1]: وأما قوله: قد انعقد الإجماع على حياته في قبره ﷺ!

فالجواب أن نقول: دعوى هذا الملحد أن الإجماع انعقد على حياته في قبره ﷺ مصادمة لقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:٣٤]، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤]، وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٦-٢٧]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ومن المعلوم أنه لم يكن ﷺ حيا في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه، ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس والنكاح وغير ذلك، بل حياته ﷺ حياة برزخية وروحه في الرفيق الأعلى وكذلك أرواح الأنبياء، والأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء، ونبينا ﷺ في المنزلة العليا التي هي الوسيلة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب الروح، بعد كلام طويل: وقد بينا أن عرض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار لا يدل على أن الروح في القبر ولا على فنائه دائمًا من جميع الوجوه؛ بل لها إشراف واتصال بالقبر وفنائه، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعد، فإن للروح شأنا آخر تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم

(١) الصواعق المرسلة الشهابية على الضلالات الشامية (ص:٨١).

المسلّم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي في الملأ الأعلى، وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع، حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام إذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض؛ بل الروح تكون فوق السماوات في أعلى عليين فترد إلى القبر وترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها(١)، وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الأعلى دائمًا ويردها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى القبر فيرد السلام على من يسلم عليه ويسمع كلامه، وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة، فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن تكون متصلة منها بالقبر وفنائه، بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء. انتهى.

قلت: وأما صلاة الأنبياء في قبورهم فلا يعني ذلك أنهم أحياء حياة دنيوية ولا يعني ذلك أنها من خصائصهم، وقد نبّه ابن القيم في النونية إلى حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أن الميت إذا وضع في قبره أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه... إلى أن قال: «فيقال له اجلس فيجلس وقد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي. فيقولون: إنك ستفعل...» الحديث(٢).

قال ابن القيم مبينًا أن صلاة موسى في قبره ليس مختصا به في النونية:

لكن هذا ليس مختصا به والله ذو فضل وذو إحسان

---

(١) قلت: وقد أرانا الله شيئًا من ذلك في هذه الحياة الدنيا بما نستعمله من أجهزة الاتصال الحديثة، بحيث يكلّم الإنسان أهله من بلدان بعيدة بالصوت والصورة فيسمع سلامهم وكلامهم ويرى صورتهم ويرد عليهم وهو في بلاد بعيدة عنهم، وصدق الله إذ يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٣١١٣) بسند حسن، وصححه ابن القيم.

فـروى ابـن حبـان الصـدوق وغـيره خـبرا صـحيحًا عنـده ذا شـأن
فيـه صـلاة العصـر في قـبر الـذي مـات وهـو محقـق الإيـمان
فتمثـل الشـمس الـذي قـد كـان يرعاهـا لأجـل صـلاة ذي القربـان
عنـد الغـروب يخـاف فـوت صـلاته فيقـول للملكـين هـل تـدعان
حتـى أصـلي العصـر قبـل فواتهـا قـالا سـنفعل ذاك بعـد الآن
هـذا مـع المـوت المحقـق لا الـذي حكيـت لنـا بثبوتـه القـولان[1].

فحياة الأنبياء في قبورهم حياة برزخية فوق حياة الشهداء. والله أعلم.

(١) النونية مع شرحها لابن عيسى (٢/ ١٦٥).

(١٨)

الإيمان بالملائكة الكاتبين

والكرام الكاتبون حق.

(و) مما أدركوا عليه جماعة العلماء مجمعين (الكرام الكاتبون حق) هذه الجملة مما تفردت به رواية البرذعي. والمراد بهم الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢] وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٧-١٨]. وقال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠]. وقال تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية:٢٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس:٢١]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: **«يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين كانوا فيكم، فيسألهم، والله أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وفارقناهم وهم يصلون»**(١).

وذكر أهل العلم أن مع العبد ملائكة أربعة أملاك، اثنان عن اليمين وعن الشمال، يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من ورائه، وواحد أمامه، فهو بين أربعة

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل، بدلًا، حافظان وكاتبان[١].

وقال ابن رجب في (شرح الأربعين): وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات. اهـ[٢]

وصح عن شقيق، قال: كنا عند حذيفة، فقام شبث بن ربعي، فصلى فبصق بين يديه، فقال له حذيفة: يا شبث، لا تبصق بين يديك، ولا عن يمينك فإن عن يمينك كاتب الحسنات، ولكن عن يسارك، أو من ورائك، فإن العبد إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة أقبل الله عليه بوجهه فيناجيه، فلا ينصرف عنه حتى ينصرف أو يحدث حدث سوء[٣].

ونحوه عن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: **«أَيَسُرُّ أحدَكم أن يُبصَقَ في وجهِه؟ إنَّ أحدَكم إذا استقبَلَ القِبلةَ فإنما يَستَقبِلُ ربّه عَزَّ وَجَلَّ، والمَلَكُ عن يمينِه، فلا يَتفُلْ عن يمينِه، ولا في قِبلَتِه، وليَبصُقْ عن يَسارِه أو تحتَ قَدَمِه، فإن عَجِلَ به أمرٌ فليقُل هكذا»**[٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق:١٧] يعني: الملكين اللذين يكتبان عمل الإنسان، ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾، أي: مترصد ﴿مَّا يَلْفِظُ﴾ أي: ابن آدم

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص:٣٦٨) ط. الفحل.

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١٦٨٩)، وابن أبي شيبة (٧٥٣٢)، وابن ماجه (١٠٢٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦٥٥)، وابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١٢٢) مرفوعًا، وصححه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٦) وإسناده حسن. قال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/ ٣٤٤): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وله شاهد في الصحيحين والموطأ من حديث ابن عمر. وصححه الألباني في الصَّحِيحَة (١٠٦٢).

(٤) أخرجه أحمد (١١١٨٥)، وأبو داود (٤٨٠) وصححه ابن حبان (٢٢٧٠).

﴿مِن قَوْلٍ﴾ [ق:١٨] أي: ما يتكلم بكلمة ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: إلا ولها من يراقبها معتد لذلك يكتبها، لا يترك كلمة ولا حركة، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]. وقال الأحنف بن قيس: صاحب اليمين يكتب الخير، وهو أمير على صاحب الشمال، فإن أصاب العبد خطيئة قال له: أمسك، فإن استغفر الله تعالى نهاه أن يكتبها، وإن أبى كتبها. رواه ابن أبي حاتم. وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق:١٧]: يا ابن آدم، بُسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك، والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفتك، وجعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ۝١٣ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٣-١٤]، ثم يقول: عدل -والله- فيك من جعلك حسيب نفسك.

وقال البغوي: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ [ق:١٧] أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعد، ولم يقل: قعيدان، لأنه أراد: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة، وقال أهل الكوفة: أراد: قعودًا، كالرسول فجعل للاثنين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنين: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٦]، وقيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. وقال مجاهد: القعيد الرصيد. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ [ق:١٨] ما يتكلم من كلام فيلفظه أي: يرميه من فيه، ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ، ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضر أينما كان. ثم روى حديثًا باطلًا فيه جعفر بن الزبير وهو متروك عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله

ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا؛ وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر»(١).

فروع:

الفرع الأول: فيما يكتب من الكلام:

وقد اختلف العلماء: هل يكتب الملك كل شيء من الكلام على قولين، الأول: يكتب كل شيء، وهو قول الحسن وقتادة، القول الثاني: إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب، وهو قول ابن عباس، قال ابن كثير: وظاهر الآية الأول، لعموم قوله: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة الليثي، عن أبيه، عن جده علقمة، عن بلال بن الحارث المزني قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه»**، قال: فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث. ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه. وقال الترمذي: حسن صحيح(٢). وله شاهد في الصحيح. اهـ

قلت: هو ما رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: **«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم**

---

(١) حديث أبي أمامة هذا ضعيف جدًا، رواه أبو بكر الروياني في مسنده (١٢١٥) من طريق حماد بن سلمة به، لكنه باطل لا يصح، فيه جعفر بن الزبير الحنفي متروك.

(٢) أخرجه مالك (٢٨١٨)، وأحمد (١٥٨٥٢)، والترمذي (٢٣١٩)، وابن ماجه (٣٩٦٩).

بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوي بها في جهنم»[(١)].

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، وذلك قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩]، وذكر عن الإمام أحمد، أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاوس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين! فلم يئن أحمد حتى مات رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الإيمان): وما لا يحتاج إليه الإنسان من قول وعمل -بل يفعله عبثًا- فهذا عليه لا له، كما في الحديث: «**كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو ذكرًا لله**»[(٢)]، وفي (الصحيحين) عن النبي ﷺ أنه قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[(٣)]، فأمر المؤمن بأحد أمرين: إما قول الخير أو الصمات، ولهذا كان قول الخير خيرًا من السكوت عنه، والسكوت عن الشر خيرًا من قوله، ولهذا قال الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾، وقد اختلف أهل التفسير: هل يكتب جميع أقواله؟ فقال مجاهد وغيره: يكتبان كل شيء حتى أنينه في مرضه. وقال عكرمة لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر، والقرآن يدل على أنهما يكتبان الجميع؛ فإنه قال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾ نكرة في الشرط مؤكدة بحرف (مِن)، فهذا يعم كل قوله.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٢)، وابن ماجه (٣٩٧٤) عن أم حبيبة زوجة النبي ﷺ مرفوعًا، وقال الترمذي: حديث غريب، أي: ضعيف، ووافقه الألباني في تخريج المشكاة وضعيف السنن والترغيب، وحسنه المناوي في تخريج المصابيح (٢/ ٢٦٩)، وابن حجر في الأمالي (ص:١٦٠)، ووافقهما الألباني في تخريج الإيمان لابن تيمية (ص:٤٦)، وهو تخريج قديم!

(٣) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

وأيضًا فكونه يؤجر على قول معين أو يؤزر؛ يحتاج إلى أن يعرف الكاتب ما أمر به وما نهي عنه؛ فلابد في إثبات معرفة الكاتب به إلى نقلٍ، وأيضا فهو مأمور إما بقول الخير وإما بالصمات، فإذا عدل عما أمر به من الصمات إلى فضول القول الذي ليس بخير؛ كان هذا عليه فإنه يكون مكروهًا والمكروه ينقصه، ولهذا قال النبي ﷺ: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**[(١)]، فإذا خاض فيما لا يعنيه؛ نقص من حسن إسلامه فكان هذا عليه، إذ ليس من شرط ما هو عليه أن يكون مستحقًا لعذاب جهنم وغضب الله بل نقص قدره ودرجته عليه، ولهذا قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، فما يعمل أحد إلا عليه أو له فإن كان مما أمر به كان له. وإلا كان عليه ولو أنه ينقص قدره. اهـ

قلت: وهذا التحقيق الذي ذكره شيخ الإسلام هو الذي ينبغي أن يعتمد.

وقال ابن رجب في (شرح الأربعين): حديث أم حبيبة عن النبي ﷺ قال: **«كلام ابن آدم عليه لا له إلا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»**، وقوله ﷺ: **«فليقل خيرًا أو ليصمت»**، أمر بقول الخير وبالصمت عما عداه، وهذا يدل على أنه ليس هناك كلام يتساوى قولُه والصمتُ عنه، إما أن يكون خيرًا فيكون مأمورًا بقوله، وإما أن يكون غير خير فيكون مأمورًا بالصمت عنه، وحديث معاذ وأم حبيبة يدلان على هذا وخرّج ابن أبي الدنيا من حديث معاذ بن جبل ولفظه: إن النبي ﷺ قال له: **«يا معاذ ثكلتك أمك وهل تقول شيئًا إلا وهو لك أو عليك»**[(٢)]، وقد قال الله تعالى:

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢٨١٨) مرسلا، ووصله أحمد (١٧٣٧، ١٧٣٢)، والترمذي (٢٣١٨) عن علي ابن الحسين عن أبيه عن النبي ﷺ، وسنده حسن، وله شاهد من حديث أبي هريرة رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت (٦)، وفي سنده انقطاع لكن يتقوى برواية الطبراني في الكبير (ج/ح١٣٧) من طريقين عن معاذ مرفوعًا: **«إنك لن تزال سالمًا ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك»**. قال الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٠٠): رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات. اهـ.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن شماله يكتب السيئات، وقد روي ذلك مرفوعًا من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إذا كان أحدكم يصلي فإنه يناجي ربه والملك عن يمينه»(١)، وروي من حديث حذيفة مرفوعًا: إن عن يمينه كاتب الحسنات(٢). واختلفوا هل يكتب كل ما يتكلم به أم لا يكتب إلا ما فيه ثواب أو عقاب، على قولين مشهورين، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى إنه ليكتب قوله: أكلت وشربت ذهبت وجئت، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر ما كان فيه من خير أو شر وألقي سائره فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد:٣٩]، وعن يحيى بن أبي كثير قال: ركب رجل الحمار فعثر به فقال: تعس الحمار، فقال صاحب اليمين: ما هي حسنة أكتبها! وقال صاحب الشمال: ما هي من السيئات فأكتبها! فأوحى الله إلى صاحب الشمال: ما ترك صاحب اليمين من شيء فاكتبه، فأثبت في السيئات تعس الحمار! وظاهر هذا أن ما ليس بحسنة فهو سيئة، وإن كان لا يعاقب عليها، فإن بعض السيئات قد لا يعاقب عليها وقد تقع مكفرة باجتناب الكبائر ولكن زمانها قد خسره صاحبها حيث ذهبت باطلًا فيحصل له بذلك حسرة في القيامة وأسف عليه وهو نوع عقوبة، وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة»(٣)، وخرجه الترمذي ولفظه: «ما جلس قوم

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٤١٣، ١٠٦٨٠، ١٠٨٢٥)، وأبو داود (٤٨٥٥، ٤٨٥٦).

مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم ﷺ إلا كان عليهم ترة فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[١]، فمن هنا يعلم أن ما ليس بخير من الكلام فالسكوت عنه أفضل من التكلم به، اللهم إلا ما تدعو إليه الحاجة مما لا بد منه. اهـ ملخصًا[٢].

الفرع الثاني: في الملائكة الحافظين والمعقبات:

قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، قال عكرمة عن ابن عباس: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه. وروى مسلم عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة» قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي، لكن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[٣]. قال شارح الطحاوية: الرواية بفتح الميم من «فأسلمَ» ومن رواه «فأسلمُ» برفع الميم فقد حرَّف لفظَه! ومعنى «فأسلمَ»، أي: فاستسلم وانقاد لي، في أصح القولين، ولهذا قال: «فلا يأمرني إلا بخير»[٤]، ومن قال: إن الشيطان صار مؤمنًا، فقد حرّف معناه، فإن الشيطان لا يكون مؤمنًا. اهـ[٥]

وفي حاشية الشيخ أحمد شاكر على (شرح الطحاوية): قال: قال القاضي عياض، في (مشارق الأنوار) (٢/ ٢١٨): رُوِّيناه بالضم والفتح، فمن ضمَّ رد ذلك إلى النبي ﷺ، أي: فأنا أسلم منه، ومن فتح رده إلى القرين، أي: أسلمَ من الإسلام، وقد روي في غير

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٤٧٢)، والترمذي (٢٠٦٥)، وابن ماجة (٣٤٣٧) عن أبي جزامة وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) جامع العلوم والحكم (ص:٣٦٧) ط. الفحل.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨١٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨١٤).

(٥) شرح الطحاوية (ص:٣٨٣) ط. أحمد شاكر.

هذه الأمهات: «فاستسلم». يريد بالأمهات: (الموطأ والصحيحين)، التي بنى عليها كتابه، وإن كان هذا الحديث لم يروه مالك ولا البخاري. وقال النووي في (شرح مسلم): هما روايتان مشهورتان، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: الصحيح المختار الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح. وأما الحافظ ابن حبان، فإنه روى الحديث في (صحيحه)، وجزم برواية فتح الميم، وقال: في هذا الخبر دليل على أن شيطان المصطفى ﷺ أسلم حتى لم يكن يأمره إلا بخير، لا أنه كان يسلم منه إن كان كافرًا. وهذا هو الصحيح الذي ترجحه الدلائل! وادعاء الشارح أن هذا تحريف للمعنى، فإن الشيطان لا يكون مؤمنًا- انتقال نظر. فأوّلًا: أن اللفظ في الحديث «**قرينه من الجن**»، لم يقل «شيطانه». وثانيًا: أن الجن فيهم المؤمن والكافر، والشياطين هم كفارهم، فمن آمن منهم لم يسم شيطانًا. اهـ[1]

ومعنى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ قيل: حفظهم له من أمر الله، أي: الله أمرهم بذلك، يشهد لذلك قراءة من قرأ: (**يحفظونه بأمر الله**).

قال ابن كثير: أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حَرَس بالليل وحَرَس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدًا من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلًا، حافظان وكاتبان، كما جاء في الصحيح: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيصعد إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم**

---

(١) انظر تعليق أحمد شاكر على شرح الطحاوية (ص:٣٨٣).

وهم يصلون»[١]، وفي الحديث الآخر: «إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع، فاستحيوهم وأكرموهم»[٢]، وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾، والمعقبات من أمر الله، وهي الملائكة. وقال عِكْرِمة: عن ابن عباس: قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خَلَّوا عنه. وقال مجاهد: ما من عبد إلا له مَلَك موكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه يريده إلا قال الملك: وراءك، إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه. وقوله: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ قيل: المراد حفظُهم له من أمر الله. رواه علي بن أبي طلحة، وغيره، عن ابن عباس. وإليه ذهب مجاهد، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النَّخَعي، وغيرهم. وقال قتادة: وفي بعض القراءات: (**يحفظونه بأمر الله**) وقال كعب الأحبار: لو تجلَّى لابن آدم كل سهل وحزن، لرأى كل شيء من ذلك شياطين، لولا أن الله وكَّل بكم ملائكة عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم، إذًا لتُخُطِّفتم. وقال أبو أمامة: ما من آدمي إلا ومعه ملك يَذُود عنه، حتى يسلمه للذي قدر له. وقال أبو مِجْلَز: جاء رجل من مُرَاد إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يصلي، فقال: احترس، فإن ناسًا من مراد يريدون قتلك. فقال: إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدّر، فإذا جاء القَدَرُ خَليا بينه وبينه، وإن الأجل جنة حَصِينة.

وقال بعضهم: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ بأمر الله، كما جاء في الحديث أنهم قالوا: يا رسول الله، أرأيت رُقًى نسترقي بها، هل ترد من قَدَر الله شيئا؟ فقال: هي من قَدَر الله»[٣]. اهـ[٤]

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

(٢) أخرجه االترمذي (٢٨٠٠) وضعفه.

(٣) أخرجه أحمد (١٥٤٧٢)، والترمذي (٢٠٦٥) وابن ماجه (٣٤٣٧) عن أبي خزامة، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٩).

الفرع الثالث: هل تكتب أعمال القلوب:

قال ابن أبي العز[١]: قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٢]، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**قال الله عَزَّوَجَلَّ: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرًا**»[٢]، وقال رسول الله ﷺ: «**قالت الملائكة: ذاك عبد يريد أن يعمل سيئة، وهو أبصر به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرائي**»، خرجاهما في الصحيحين، واللفظ لمسلم[٣].

(١) شرح الطحاوية (ص:٣٩٠) ط. الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٩) عن أبي هريرة.

(١٩)

البعث والنشور

والبعث من بعد الموت حقٌّ.

(و) مما أدركوا عليه إجماع علماء أهل السنة أن (**البعث من بعد الموت حقٌّ**) فإن الإيمان بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب ركن من أركان الإيمان، التي لا يصح إيمانُ أحد ولا إسلامه حتى يؤمن باليوم الآخر، فمن أنكر البعث أو اليوم الآخر فإنه كافر بالله جَلَّجَلَالُهُ، فإن الإيمان بالمعاد مما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، والعقل والفطرة السليمة، فأخبر الله سبحانه عنه في كتابه العزيز، وأقام الدليل عليه، ورد على المنكرين، في غالب سور القرآن، والأنبياء كلهم متفقون على الإيمان بالله، فإن الإقرار بالرب عام في بني آدم، وهو فطري، كلهم يقر بالرب، إلا من عاند، كفرعون، بخلاف الإيمان باليوم الآخر، فإن منكريه كثيرون، ومحمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان بعثه من علامات الساعة، فبين تفصيل الآخرة بيانًا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء، ولهذا ظن طائفة من المتفلسفة ونحوهم أنه لم يفصح بمعاد الأبدان إلا محمد ﷺ، وجعلوا هذا حجة لهم في أنه من باب التخييل والخطاب الجمهوري!

والقرآن قد بيّن معاد النفس عند الموت، ومعاد البدن عند القيامة الكبرى، في غير موضع، وهؤلاء ينكرون القيامة الكبرى، وينكرون معاد الأبدان، ويقول من يقول منهم: إنه لم يخبر به إلا محمد ﷺ على طريق التخييل!! وهذا كذب، فإن القيامة الكبرى معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأما نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال الله على لسانه: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ

إِخْرَاجًا﴾ [نوح:١٧-١٨] وقال عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢]. إلى آخر القصة. وقال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١]. وقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة:٢٦٠]، الآية. وأما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال الله تعالى لما ناجاه: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه:١٥-١٦]، وقد أخبر الله أنه أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، في آيات من القرآن، وأخبر عن أهل النار أنهم إذا قال لهم خزنتها: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:٧١]، وهذا اعتراف من أصناف الكفار الداخلين جهنم أن الرسل أنذرتهم لقاء يومهم هذا. فجميع الرسل أنذروا بما أنذر به خاتمهم من عقوبات المذنبين في الدنيا والآخرة.

فعامة سور القرآن التي فيها ذكر الوعد والوعيد، يذكر ذلك فيها: في الدنيا والآخرة. وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]، وذم الله المكذبين بالمعاد، فقال: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ﴾ [الأنعام:٣١]، وقال: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:١٨]وقال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر:٥٩] وقال: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء:٩٧-٩٩]. وقال: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُل كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ

قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٤٩-٥٢]

وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨] إلى آخر السورة، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففته فقال: يا محمد أيبعث الله هذا بعد ما أرم؟ قال: «**نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم**»، قال: فنزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس:٧٧] إلى آخر السورة[١].

وكل عاقل يعلم علمًا ضروريًا أن من قدر على بدء الخلق قدر على إعادته، وأنه لو كان عاجزا عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:٤]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:١٩-٢٠]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٠/ ٥٥٤) وابن أبي حاتم في التفسير، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩) والحارث بن أبي أسامة في مسنده (٧١٩ بغية) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وصححه الذهبي.

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج:٥].

وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بين الإيمان به تعالى والإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالمبدأ والإيمان بالمعاد؛ لأن من لم يؤمن باليوم الآخر، لا يمكن أن يؤمن بالله، إذ إن الذي لا يؤمن باليوم الآخر، لن يعمل؛ لأنه لا يعمل إلا لما يرجوه من الكرامة في اليوم الآخر، وما يخافه من العذاب والعقوبة، فإذا كان لا يؤمن به، صار كمن حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤].

والقول الذي أجمع عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل ترابًا، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظامًا ولحمًا، ثم أنشأه خلقًا سويًا. كذلك الإعادة: يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، ومنه يركب**»[1]. وفي حديث آخر: «**إن السماء تمطر مطرًا كمنيّ الرجال، ينبتون في القبور كما ينبت النبات**»[2]، وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت:١٩-٢٠]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم:٤٥-٤٧]، وقال: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة:٦٠-٦١]، وقال تعالى: ﴿وَمِن

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٩٧٠)، والطبراني (٩٦٤٦)، وصححه الحاكم (٨٦٥٨) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم:٢٥-٢٧]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، فالنشأتان نوعان تحت جنس، يتفقان ويتماثلان من وجه، ويفترقان ويتنوعان من وجه. والمعاد هو الأول بعينه، وإن كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق، فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها. ومعلوم أن من رأى شخصًا وهو صغير، ثم رآه وقد صار شيخًا، علم أن هذا هو ذاك، مع أنه دائمًا في تحلل واستحالة، وكذلك سائر الحيوان والنبات، فمن رأى شجرة وهي صغيرة، ثم رآها كبيرة، قال: هذه تلك. وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال إن الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعًا، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما(١)، وروي عند الترمذي بسند ضعيف: «أن عرضه سبعة أذرع»(٢)، وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات.

وسمي اليوم الآخر باليوم الآخر؛ لأنه يوم لا يوم بعده؛ فهو آخر المراحل. وقبله مرحلة البرزخ؛ فقال الله عنها: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠]. وأما مرحلة الآخرة؛ فهي غاية المراحل، ونهاية الراحل؛ قال الله تعالى بعد ذكر المراحل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦]. وذلك لأن الإنسان إذا مات؛ دخل في اليوم الآخر، ولهذا يقال: من مات، قامت قيامته؛

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٧٩٣٣)، والطبراني في الأوسط (٥٤٢٢)، وسنده ضعيف.

فكل ما يكـون بعد الموت، فإنه من اليوم الآخر. وقـوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ يعني: بعد هذه النشأة الأولى من العدم تَصيرون إلى الموت، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَـثُونَ﴾ يعني: النشأة الآخرة، ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ﴾ [العنكبوت:٢٠] يعني: يوم المعاد، وقيام الأرواح والأجساد، فيحاسب الخلائق، ويوفي كل عامل عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

(٢٠)

حكم صاحب الكبيرة والحكم بالظاهر

وأهل الكبائر في مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ، لا يكفر أهل القبلة بذنوبهم، ونكل سرائرهم[١] إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

(و) مما أدركوا عليه جماعة أهل السنة مجمعين أن (أهل الكبائر) من المسلمين (في مشيئة الله عَزَّوَجَلَّ) إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ في موضعين من كتابه[٢] بيَّن عَزَّوَجَلَّ أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، وأجمعوا على أنه (لا يُكَفَّر أهل القبلة) -وهم أهل الإسلام- (بذنوبهم) التي دون الشرك والكفر الأكبر، وبذلك يشير المشايخ رَحِمَهُمُٱللَّهُ إلى الرد على الوعيدية من الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب كبير، والمعتزلة القائلين بأن المذنب ذنبًا كبيرًا في منزلة بين الإسلام والكفر.

(ونكل سرائرهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ)، لأنا قد أمرنا بالحكم بالظاهر، ونهينا عن الظن واتباع ما ليس لنا به علم. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، ولقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم

---

(١) في نسخة (أسرارهم) والمثبت من (ب) و(ج).

(٢) النساء: ٤٨، ١١٦.

إلا بحقها»[1] ولأن الشرع إنما بنى الدين على الظاهر فنحن لا نحكم إلا بالظاهر والله يتولى السرائر، والدليل عليه أن المكره إذا أسلم تحت ظلال السيوف وهو خائف على روحه نعلم بقرينة حاله أنه مضمر غير ما يظهره فنحكم بإسلامه ولا نلتفت إلى المعلوم بالقرائن من سريرته، ويدل عليه أيضًا ما صح أن أسامة قتل كافرًا فسل عليه السيف بعد أن تلفظ بكلمة الإسلام فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ، فقال أسامة: إنما فعل ذلك فَرَقًا من السيف، فقال ﷺ: «**هلّا شققت عن قلبه**»[2]، منبها به على أن البواطن لا تطلع عليها الخلائق وإنما مناط التكليف الأمور الظاهرة.

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أصل الحكم بالظاهر مقطوع به في الأحكام خصوصًا، وبالنسبة إلى الاعتقاد في الغير عمومًا أيضًا، فإن سيد البشر ﷺ مع إعلامه بالوحي، يجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغيرهم، وإن علم بواطن أحوالهم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه[3].

ويقول الحافظ ابن حجر: وقوله ﷺ: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[4] وهو عام يخص منه من بدله في الباطن ولم يثبت عليه ذلك في الظاهر فإنه تجرى عليه أحكام الظاهر، ثم قال: وإظهار الإيمان يحصن من القتل، وكلهم أجمعوا على أن أحكام الدنيا على الظاهر، والله يتولى السرائر، وقد قال ﷺ لأسامة: «**هل شققت عن قلبه**»[5] وقال للذي ساره في قتل رجل: «**أليس يصلي؟**» قال: نعم، قال: «**أولئك الذين نهيت عن قتلهم**»[6]، وفي بعض

(١) أخرجه البخاري (٣٩٢)، ومسلم (٢١) عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٨).

(٣) الموافقات (٢/ ٢٧١)، وانظر الاعتصام ٢(/ ١٩٦)، وإعلام الموقعين لابن القيم (٣/ ١٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٩٢٢).

(٥) أخرجه مسلم (١٥٨).

(٦) أخرجه أحمد (٢٣٦٧٠، ٢٣٦٧١) عن عبيد الله بن عدي بن الخيار عن عبد الله بن عدي بسند صحيح.

طرق حديث أبي سعيد أن خالد بن الوليد لما استأذن في قتل الذي أنكر القسمة وقال: كم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال ﷺ: «**إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس**»، أخرجه مسلم(١) والأحاديث في ذلك كثيرة. اهـ(٢)

قال شيخ الإسلام في كتاب (الإيمان) في سياق تعليقه على قول النبي ﷺ في الأمة: «**اعتقها فإنها مؤمنة**»: والمقصود أن النبي ﷺ إنما أخبر عن تلك الأمة بالإيمان الظاهر الذي علقت به الأحكام الظاهرة، وإلا فقد ثبت عنه أن سعدًا لما شهد لرجل أنه مؤمن قال: «**أو مسلم**»(٣)، وكان يظهر من الإيمان ما تظهره الأَمَة وزيادة، فيجب أن يفرق بين أحكام المؤمنين الظاهرة التي يحكم فيها الناس في الدنيا، وبين حكمهم في الآخرة بالثواب والعقاب؛ فالمؤمن المستحق للجنة لابد أن يكون مؤمنًا في الباطن باتفاق جميع أهل القبلة، حتى الكَرَّامية الذين يسمون المنافق مؤمنًا ويقولون: الإيمان هو الكلمة، يقولون: إنه لا ينفع في الآخرة إلا الإيمان الباطن. وقد حكى بعضهم عنهم أنهم يجعلون المنافقين من أهل الجنة، وهو غلط عليهم، إنما نازعوا في الاسم لا في الحكم بسبب شبهة المرجئة؛ في أن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل؛ ولهذا أكثر ما اشترط الفقهاء في الرَّقَبَةِ التي تجزئ في الكفارة العمل الظاهر، فتنازعوا: هل يجزئ الصغير؟ على قولين معروفين للسلف، هما روايتان عن أحمد، فقيل: لا يجزئ عتقه؛ لأن الإيمان قول وعمل، والصغير لم يؤمن بنفسه إنما إيمانه تَبَعٌ لأبويه في أحكام الدنيا، ولم يشترط أحد أن يعلم أنه مؤمن في الباطن، وقيل: بل يجزئ عتقه؛ لأن العتق من الأحكام الظاهرة وهو تبع لأبويه، فكما أنه يرث منهما ويصلى عليه، ولا يصلى إلا على مؤمن، فإنه يعتق.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٢٧٢، ٢٧٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧، ١٤٧٨)، ومسلم (١٥٠) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك المنافقون الذين لم يظهروا نفاقهم، يصلى عليهم إذا ماتوا، ويدفنون في مقابر المسلمين من عهد النبي ﷺ، والمقبرة التي كانت للمسلمين في حياته وحياة خلفائه وأصحابه يدفن فيها كل من أظهر الإيمان وإن كان منافقًا في الباطن، ولم يكن للمنافقين مقبرة يتميزون بها عن المسلمين في شيء من ديار الإسلام، كما تكون لليهود والنصارى مقبرة يتميزون بها، ومن دفن في مقابر المسلمين صلى عليه المسلمون، والصلاة لا تجوز على من علم نفاقه بنص القرآن، فعلم أن ذلك بناء على الإيمان الظاهر، والله يتولى السرائر، وقد كان النبي ﷺ يصلي عليهم ويستغفر لهم حتى نهى عن ذلك، وعلل ذلك بالكفر، فكان ذلك دليلًا على أن كل من لم يعلم أنه كافر بالباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له، وإن كانت فيه بدعة، وإن كان له ذنوب.

وإذا ترك الإمام، أو أهل العلم والدين الصلاة على بعض المتظاهرين ببدعة أو فجور زجرًا عنها، لم يكن ذلك محرمًا للصلاة عليه والاستغفار له، بل قال النبي ﷺ فيمن كان يمتنع عن الصلاة عليه وهو الغَالُّ وقاتل نفسه والمَدِين الذي لا وفاء له: «**صلوا على صاحبكم**»[(١)]، وروى أنه كان يستغفر للرجل في الباطن وإن كان في الظاهر يدع ذلك زجرًا عن مثل مذهبه، كما روى في حديث مُحَلِّم بن جَثَّامة[(٢)].

وليس في الكتاب والسنة المظهرون للإسلام إلا قسمان: مؤمن أو منافق، فالمنافق في الدرك الأسفل من النار، والآخر مؤمن، ثم قد يكون ناقص الإيمان فلا يتناوله الاسم المطلق، وقد يكون تام الإيمان، لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدعها -ولو دعا الناس إليها- كافرًا في الباطن، إلا إذا كان منافقًا. فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلًا، والخوارج كانوا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٩٥، ٢٢٩٨، ٣١٧٣، ٥٣٧١)، ومسلم (١٦١٩) في أحاديث.

(٢) أخرجه أحمد (٢١٠٨١) وأبو داود (٤٥٠٣) بسند ضعيف من حديث ضميرة بن سعد السلمي.

من أظهر الناس بدعة وقتالًا للأمة وتكفيرًا لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي ابن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع.

وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة، من كان منهم منافقًا فهو كافر في الباطن، ومن لم يكن منافقًا، بل كان مؤمنًا بالله ورسوله في الباطن، لم يكن كافرًا في الباطن، وإن أخطأ في التأويل، كائنًا ما كان خطؤه؛ وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار. ومن قال: إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكْفُر كفرًا ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم من كفّر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفر بعضهم بعضًا ببعض المقالات، كما قد بسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع. اهـ[1]

إذا علم هذا فنرجو للمحسنين من المؤمنين أن يعفو عنهم ويدخلهم الجنة برحمته، ولا نأمن عليهم، ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنّطهم. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء:٥٧]، ومدح أهل الخوف، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١].

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، قالت: قلت: يا رسول الله، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون:٦٠]، أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: «**لا، يا ابنة الصديق،**

(١) الإيمان لابن تيمية (ص:١٧١-١٧٣).

ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه»[(١)]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فالمشرك لا ترجى له المغفرة؛ لأن الله نفى عنه المغفرة، وما سواه من أصحاب الذنوب في مشيئة الله، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه.

وعن عائشة مرفوعًا: «**الدواوين عند الله يوم القيامة ثلاثة دواوين: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك بالله**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨]، «**وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وهو مظالم العباد بعضهم بعضًا، وديوان لا يعبأ الله به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه**»[(٢)].

وأهل القبلة -وهم المسلمون المصلون إليها- لا يكفرون بفعل الكبائر، ولا يخرجون من الإسلام بذلك، ولا يخلدون في النار بل هم تحت المشيئة، لقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠] فأثبت الأخوة الإيمانية مع القتال وهو من الكبائر، ولو كان كفرًا لانتفت الأخوة الإيمانية، وقال النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه**» يعني من النار[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥٢٦٣، ٢٥٧٠٥)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه الألباني في صحيح السنن والسلسلة الصحيحة (١/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٦٠٣١، ٢٦٠٧٣)، والحاكم (٨٧١٧)، والبيهقي في الشعب (٧٠٦٩)، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (٤٢٧٣)، وأحمد شاكر في عمدة التفسير (١/ ٥٢٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠).

فروع:

الفرع الأول: في المخالفين في هذا الباب:

وخالف في هذا طائفتان من الوعيدية:

الأولى: الخوارج، قالوا: فاعل الكبيرة كافر خالد في النار.

والثانية: المعتزلة، قالوا: فاعل الكبيرة خارج عن الإسلام، فليس هو بمؤمن ولا بكافر، بل في منزلة بين منزلتين وهو في الآخرة خالد في النار.

الرد عليهم:

ونرد على الطائفتين بأنهم: خالفوا نصوص الكتاب، والسنة، وإجماع السلف. فإن من أصول أهل السنة والجماعة المجمع عليها -كما ذكره شيخ الإسلام في الواسطية-: أن الدين والإيمان قول وعملٌ، قول القلب -وهو تصديقه وإيقانه- وقول اللسان، وعمل القلب من النية، والإخلاص، والمحبة والانقياد، وعمل اللسان وعمل الجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، وقال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:٩-١٠]، ولا يسلبون الفاسق الملي -الذي على ملة الإسلام- اسمَ الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار؛ كما تقول المعتزلة. بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان؛ كما في قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]، وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا

تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال:٢]، وقوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**(١)، ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق أي التام، ولا يسلب مطلق الاسم.

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين: ظاهره وباطنه، أصوله وفروعه، فلا يستحق اسم الإيمان المطلق إلا من جمع ذلك كله ولم ينقص منه شيئًا، ولما كانت الأعمال والأقوال داخلة في مسمى الإيمان؛ كان الإيمان قابلًا للزيادة والنقص، فهو يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ كما هو صريح الأدلة من الكتاب والسنة، وكما هو ظاهر مشاهد من تفاوت المؤمنين في عقائدهم وأعمال قلوبهم وأعمال جوارحهم. ومن الأدلة على زيادة الإيمان ونقصه أن الله قسم المؤمنين ثلاث طبقات، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ۝٣٢ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [فاطر:٣٢-٣٣]، فالسابقون بالخيرات هم الذين أدوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات، وهؤلاء هم المقربون، والمقتصدون هم الذين اقتصروا على أداء الواجبات وترك المحرمات، والظالمون لأنفسهم هم الذين اجترؤوا على بعض المحرمات وقصروا ببعض الواجبات مع بقاء أصل الإيمان معهم، وقال النبي ﷺ: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها: قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥/ ١١٩-فتح)، ومسلم (٢/ ٤٠١-نووي).

(٢) رواه البخاري (١/ ٥١-فتح)، ومسلم (٢/ ٣٦٣-نووي).

ومع أن الإيمان المطلق مركب من الأقوال والأعمال والاعتقادات؛ فهي ليست كلها بدرجة واحدة؛ بل العقائد أصل في الإيمان، فمن أنكر شيئا مما يجب اعتقاده في الله أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة؛ كوجوب الصلاة، والزكاة، وحرمة الزنا والقتل... إلخ؛ فهو كافر، قد خرج من الإيمان بهذا الإنكار.

وأما الفاسق الملي الذي يرتكب بعض الكبائر مع اعتقاده حرمتها؛ فأهل السنة والجماعة لا يسلبون عنه اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار؛ كما تقول المعتزلة والخوارج، بل هو عندهم مؤمن ناقص الإيمان، قد نقص من إيمانه بقدر معصيته، أو هو مؤمن فاسق، لا يعطونه اسم الإيمان المطلق، ولا يسلبونه مطلق الإيمان.

وأدلة الكتاب والسنة دالة على ثبوت مطلق الإيمان مع المعصية؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١]، فناداهم باسم الإيمان، مع وجود المعصية، وهي موالاة الكفار منهم.. إلخ.

الفرع الثاني:

الإيمان والإسلام الشرعيان متلازمان في الوجود، فلا يوجد أحدهما بدون الآخر، بل كلما وجد إيمان صحيح معتد به، وجد معه إسلام، وكذلك العكس، ولهذا قد يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر؛ لأن أحدهما إذا أفرد بالذكر؛ دخل فيه الآخر، وأما إذا ذكرا معًا مقترنين؛ أريد بالإيمان التصديق والاعتقاد، وأريد بالإسلام الانقياد الظاهري من الإقرار باللسان وعمل الجوارح.

ولكن هذا بالنسبة إلى مطلق الإيمان، أما الإيمان المطلق أي التام؛ فهو أخص مطلقًا من الإسلام، وقد يوجد الإسلام بدونه؛ كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات:١٤]، فأخبر بإسلامهم مع نفي الإيمان المطلق عنهم.

وفي حديث جبريل ذكر المراتب الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فدل على أن كلًا منها أخص مما قبله.

الفرع الثالث: في خطر الخوض في التكفير والطوائف المخالفة في هذا الباب[1]:

اعلم أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق، وتشتتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر، والمخالفة لذلك -في اعتقادهم- على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية:

الطرف الأول: المرجئة القائلون:

لا نكفر من أهل القبلة أحدًا، فتنفي التكفير نفيًا عامًا، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يُظهِر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين. وأيضًا: فلا خلاف بين المسلمين: أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كافرًا مرتدًا، والنفاق والردة مظنتهما البدع والفجور، كما ذكره الخلال في كتاب (السنة)، بسنده إلى محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء. وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام:٦٨]، ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحدًا بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج! وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضةً لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب.

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (ص:٣١٦-٣١٨).

الطرف الثاني: الوعيدية المكفرة بالذنوب من الخوارج والمعتزلة:

فإن الخوارج يقولون: يكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان.

لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر! والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر! وهذه المنزلة بين المنزلتين! وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار!.

وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن في الاعتقادات البدعية، وإن كان صاحبها متأولًا، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول، لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره، أو يقولون: يكفر كل مبتدع، وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة، فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك.

القول العدل في هذا الباب:

والمقصود هنا: أن البدع هي من هذا الجنس، فإن الرجل يكون مؤمنًا باطنًا وظاهرًا، لكن تأول تأويلًا أخطأ فيه، إما مجتهدًا وإما مفرّطًا مذنبًا، فلا يقال: إن إيمانه حبط لمجرد ذلك، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي، بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة، ولا نقول: لا يكفر، بل العدل هو الوسط، وهو: أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول ﷺ، أو إثبات ما نفاه، أو الأمر بما نهى عنه، أو النهي عما أمر به: يقال فيها الحق، ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص، ويبين أنها كفر، ويقال: من قالها فهو كافر، ونحو ذلك، كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال، وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير من قال بخلق القرآن، وأن الله لا يرى

في الآخرة، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها، وعن أبي يوسف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه قال: ناظرت أبا حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدة، حتى اتفق رأيي ورأيه: أن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت، ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب: «باب النهي عن البغي» وذكر فيه عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كان رجلان في بني إسرائيل متواخين، فكان أحدهما يذنب، والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر. فقال: خلني وربي، أبعثت عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار»**. وقال أبو هريرة: والذي نفسي بيده، لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، وهو حديث حسن(١)، ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدًا مخطئًا مغفورًا له، أو يمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص، ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله، كما غفر للذي قال: إذا مت فاسحقوني ثم ذروني، ثم غفر الله له لخشيته(٢)، وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته، أو شك في ذلك!

لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا، لمنع بدعته، وأن نستتيبه، فإن تاب وإلا قتلناه.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٢٩٢)، وأبو داود (٤٩٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٧٨)، ومسلم (٢٧٥٦).

ثم إذا كان القول في نفسه كفرًا قيل: إنه كفر، والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع، ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقًا، فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقًا زنديقًا، وكتاب الله يبين ذلك، فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف:

١- كفار من المشركين ومن أهل الكتاب، وهم الذين لا يقرون بالشهادة.

٢- وصنف المؤمنون باطنًا وظاهرًا.

٣- وصنف أقروا به ظاهرًا لا باطنًا.

وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة. وكل من ثبت أنه كافر في نفس الأمر وكان مقرًّا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقًا، والزنديق هو المنافق.

وهنا يظهر غلط الطرفين، فإنه من كفّر كل من قال القولَ المبتدَعَ في الباطن، يلزمه أن يكفر أقوامًا ليسوا في الباطن منافقين، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ﷺ ويؤمنون بالله ورسوله وإن كانوا مذنبين، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أسلم مولى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن عمر: أن رجلًا كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه: عبد الله، وكان يلقب: حمارًا، وكان يضحِك رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد جلده من الشراب، فأتي به يومًا، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم الْعنه! ما أكثر ما يؤتى به! فقال رسول الله ﷺ: «**لا تلعنوه، فوالله ما علمت، إنه يحب الله ورسوله**»[1]، وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين، وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج؛ ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة، بل بفرع منها، ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضًا، ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون. اهـ

الفرع الرابع: في جواب بعض الإشكالات:

هنا إشكال وهو: أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفرًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. وقال ﷺ: «**سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر**»، متفق عليه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١]، وقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» متفق عليه[٢]، وقال: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما**»، متفق عليه من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣]، وقال ﷺ: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»، متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٤]، وقال ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد**» متفق عليه[٥]، وقال ﷺ: «**بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة**»، رواه مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٦]، وقال ﷺ: «**من أتى كاهنا فصدقه، أو أتى امرأة في دبرها، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٧]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من حلف بغير الله فقد كفر**»، رواه الحاكم

(١) أخرجه البخاري (٤٨، ٦٠٤٤، ٧٠٧٦)، ومسلم (١١٦).
(٢) أخرجه البخاري (١٢١، ١٧٣٩، ١٧٤١، ٤٤٠٣، ٤٤٠٥، ٦١٦٦، ٦٧٨٥، ٦٨٦٨، ٦٨٦٩، ٧٠٧٧، ٧٠٧٨، ٧٠٧٩، ٧٠٨٠)، ومسلم (٦٥، ٦٦) عن جماعة من الصحابة.
(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠).
(٤) أخرجه البخاري (٣٤، ٢٤٥٩، ٣١٧٨)، ومسلم (٥٨).
(٥) أخرجه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٦) أخرجه مسلم (٨٢).
(٧) أخرجه أحمد (١٠١٦٧)، وأبو داود (٣٩٠٤)، وابن ماجه (٦٣٩) بسند صحيح عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بهذا اللفظ[(١)]، وقال ﷺ: «ثنتان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت»[(٢)]، ونظائر ذلك كثيرة.

والجواب[(٣)]: أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرًا ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدًا يقتل على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص، ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر! وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام.

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود مع الكافرين، كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضًا؛ إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ إلى أن قال: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله أخًا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب. وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠].

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون درهم ولا دينار، إن كان له عمل

(١) أخرجه أحمد (٦٠٧٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، والحاكم (٤٥) واللفظ له بسند صحيح عن ابن عمر مرفوعًا، وعن الباقين: «فقد كفر أو أشرك».
(٢) أخرجه مسلم (٦٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) شرح الطحاوية (ص:٣٠١).

صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه، ثم ألقي في النار»[١].

فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه. وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما تعدون المفلس فيكم؟**» قالوا: المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار، قال: «**المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال، فيأتي وقد شتم هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، وقذف هذا، وضرب هذا، فيقتص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**». رواه مسلم[٢]. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، فدل ذلك على أنه في حال إساءته يعمل حسنات تمحو سيئاته.

والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، قالت الخوارج: نسميه كافرا، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقًا، فالخلاف بينهم لفظي فقط.

وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب، كما وردت به النصوص. لا كما يقوله المرجئة من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر طاعة! وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة، ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة -: تبين لك فساد القولين! ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى.

وأما ما جاء من النصوص في تسمية بعض الذنوب كفرًا فقد حمله السلف على الكفر أو الشرك الأصغر، كما جاء ذلك عن ابن عباس وابن عمر وأصحابهما وعن التابعين

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١) عن أبي هريرة.

والأئمة المتبوعين، وقد بسط العلماء ذلك في كثير من المواضع منهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان وغيره، والعلامة ابن القيم في مدارج السالكين وكتاب الصلاح وجمعنا بحمد الله شيئًا من ذلك في (الفصول الجامعة) و(شرح كتاب الإيمان) لابن أبي شيبة[1]، ويأتي في الفرع الخامس هنا ما يزيد ذلك وضوحًا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الفرع الخامس: في حد الذنوب من الكبائر والصغائر:

قال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١] الآية، ففيها الإشارة إلى الفرق بين كبائر الذنوب وهي العظام منها وبين الصغائر وهي السيئات هنا، كما في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢] واللمم هو الصغائر. قال القرطبي: لما نهى الله تعالى عن آثامٍ هي كبائر، وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر، ودل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر، وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء. اهـ فهذه من القرطبي حكاية إجماع الفقهاء وأهل التفسير على أن في الذنوب كبائر وصغائر، وروى ابن جرير عن ابن عباس قال: الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب[2].

قد اختلفت عبارات العلماء في الفرق بين الكبائر والصغائر، ومن أحسن ما قيل في ذلك ما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية[3] فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أمثل الأقوال في هذه المسألة القول المأثور عن ابن عباس -وذكره أبو عبيد وأحمد بن حنبل وغيرهما- وهو: أن الصغيرة ما دون الحدين: حد الدنيا وحد الآخرة، وهو معنى قول من قال: ما ليس فيها حد في

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٧/ ٣٢٣).
(٢) تفسير ابن جرير (٤/ ٤١).
(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥٠).

الدنيا، وهو معنى قول القائل: كل ذنب ختم بلعنة أو غضب أو نار فهو من الكبائر. ومعنى قول القائل: وليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة أي وعيد خاص كالوعيد بالنار والغضب واللعنة. وذلك لأن الوعيد الخاص في الآخرة، كالعقوبة الخاصة في الدنيا. فكما أنه يفرق في العقوبات المشروعة للناس بين العقوبات المقدرة بالقطع والقتل وجلد مائة أو ثمانين وبين العقوبات التي ليست بمقدرة: وهي التعزير، فكذلك يفرق في العقوبات التي يعزر الله بها العباد -في غير أمر العباد بها- بين العقوبات المقدرة: كالغضب واللعنة والنار. وبين العقوبات المطلقة. وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره؛ فإنه يدخل كل ما ثبت في النص أنه كبيرة: كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة، وكالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور؛ فإن هذه الذنوب وأمثالها فيها وعيد خاص كما قال في الفرار من الزحف: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال:١٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥]، وقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧]، وكذلك كل ذنب توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة ولا يشم رائحة الجنة وقيل فيه: من فعله فليس منا وأن

صاحبه آثم. فهذه كلها من الكبائر. كقوله ﷺ: **«لا يدخل الجنة قاطع»**[(١)]، وقوله ﷺ: **«لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»**[(٢)]، وقوله ﷺ: **«من غشنا فليس منا»**[(٣)]، وقوله ﷺ: **«من حمل علينا السلاح فليس منا»**[(٤)]، وقوله ﷺ: **«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»**[(٥)]، وذلك لأن نفي الإيمان وكونه ليس من المؤمنين ليس المراد به ما يقوله المرجئة: إنه ليس من خيارنا؛ فإنه لو ترك ذلك لم يلزم أن يكون من خيارهم، وليس المراد به ما يقوله الخوارج: إنه صار كافرًا، ولا ما يقوله المعتزلة: من أنه لم يبق معه من الإيمان شيء بل هو مستحق للخلود في النار لا يخرج منها. فهذه كلها أقوال باطلة قد بسطنا الكلام عليها في غير هذا الموضع. ولكن المؤمن المطلق في باب الوعد والوعيد - وهو المستحق لدخول الجنة بلا عقاب- هو المؤدي للفرائض المجتنب المحارم، وهؤلاء هم المؤمنون عند الإطلاق فمن فعل هذه الكبائر لم يكن من هؤلاء المؤمنين إذ هو متعرض للعقوبة على تلك الكبيرة وهذا معنى قول من قال: أراد به نفي حقيقة الإيمان أو نفي كمال الإيمان، فإنهم لم يريدوا نفي الكمال المستحب فإن ترك الكمال المستحب لا يوجب الذم والوعيد، والفقهاء يقولون: الغسل ينقسم إلى: كامل ومجزئ. ثم من عدل عن الغسل الكامل إلى المجزئ لم يكن مذمومًا. فمن أراد بقوله: نفي كمال الإيمان أنه نفي الكمال المستحب فقد غلط! وهو يشبه قول المرجئة ولكن يقتضي نفي الكمال

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦) عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٩١) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (١٠١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٧٤، ٧٠٧٠)، ومسلم (٩٨) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) تقدم تخريجه من الصحيحين.

الواجب، وهذا مطرد في سائر ما نفاه الله ورسوله: مثل قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال:٢] إلى قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:٤]، ومثل الحديث المأثور: **«لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»**[1]، ومثل قوله ﷺ: **«لا صلاة إلا بأم القرآن»**[2] وأمثال ذلك. فإنه لا ينفي مسمى الاسم إلا لانتفاء بعض ما يجب في ذلك؛ لا لانتفاء بعض مستحباته فيفيد هذا الكلام أن من فعل ذلك فقد ترك الواجب الذي لا يتم الإيمان الواجب إلا به وإن كان معه بعض الإيمان فإن الإيمان يتبعض ويتفاضل. كما قال ﷺ: **«يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان»**[3].

والمقصود هنا أن نفي الإيمان والجنة أو كونه من المؤمنين لا يكون إلا عن كبيرة، أما الصغائر فلا تنفي هذا الاسم والحكم عن صاحبها بمجردها. فيعرف أن هذا النفي لا يكون لترك مستحب ولا لفعل صغيرة بل لفعل كبيرة. وإنما قلنا: إن هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه:

أحدها: أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط؛ فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة وإنما قالها بعض من تكلم في شيء من الكلام أو التصوف بغير دليل شرعي. وأما من قال من السلف: إنها إلى السبعين أقرب منها إلى السبع فهذا لا يخالف ما ذكرناه.

الثاني: أن الله قال: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٥٦٧)، والبزار (٧١٩٦)، وأبو يعلى (٢٨٦٣)، والطبراني في الأوسط (٦/ ١٠٠)، وصححه ابن حبان (١٩٤)، وله شواهد. انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (٦/ ٨٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (٣٩٤) عن عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بلفظ: **«لا صلاة لمن لم يقترئ بأم القرآن»**.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٩٨) عن أبي سعيد بهذا اللفظ، وأصله عند البخاري (٢٢).

وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا﴾ [النساء:٣١]، فقد وعد مجتنب الكبائر بتكفير السيئات واستحقاق الوعد الكريم. وكل من وعد بغضب الله أو لعنته أو نار أو حرمان جنة أو ما يقتضي ذلك؛ فإنه خارج عن هذا الوعد فلا يكون من مجتنبي الكبائر. وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد لم تكن سيئاته مكفرة عنه باجتناب الكبائر، إذ لو كان كذلك لم يكن له ذنب يستحق أن يعاقب عليه والمستحق أن يقام عليه الحد له ذنب يستحق العقوبة عليه.

الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب؛ فهو حد يتلقى من خطاب الشارع وما سوى ذلك ليس متلقى من كلام الله ورسوله؛ بل هو قول رأي القائل وذوقه من غير دليل شرعي والرأي والذوق بدون دليل شرعي لا يجوز.

الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر وأما تلك الأمور فلا يمكن الفرق بها بين الكبائر والصغائر؛ لأن تلك الصفات لا دليل عليها لأن الفرق بين ما اتفقت فيه الشرائع واختلفت لا يعلم إن لم يمكن وجودُ عالم بتلك الشرائع على وجهها وهذا غير معلوم لنا. وكذلك ما يسد باب المعرفة هو من الأمور النسبية والإضافية فقد يسد باب المعرفة عن زيد ما لا يسد عن عمرو وليس لذلك حد محدود.

الخامس: أن تلك الأقوال فاسدة! فقول من قال: إنها ما اتفقت الشرائع على تحريمه دون ما اختلفت فيه، يوجب أن تكون الحبة من مال اليتيم ومن السرقة والخيانة والكذبة الواحدة وبعض الإساءات الخفية ونحو ذلك كبيرة، وأن يكون الفرار من الزحف ليس من الكبائر؛ إذ الجهاد لم يجب في كل شريعة وكذلك يقتضي أن يكون التزوج بالمحرمات بالرضاعة والصهر وغيرهما ليس من الكبائر؛ لأنه مما لم تتفق عليه الشرائع. وكذلك إمساك المرأة بعد الطلاق الثلاث ووطئها بعد ذلك، مع اعتقاد التحريم.

وكذلك من قال: إنها ما تسد باب المعرفة أو ذهاب النفوس والأموال؛ يوجب أن يكون القليل من الغضب والخيانة كبيرة. وأن يكون عقوق الوالدين وقطيعة الرحم وشرب الخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ونحو ذلك ليس من الكبائر.

ومن قال: إنما سميت كبائر بالنسبة إلى ما دونها وأن ما عصى الله به فهو كبيرة فإنه يوجب أن لا تكون الذنوب في نفسها تنقسم إلى كبائر وصغائر. وهذا خلاف القرآن فإن الله قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم:٣٢]، وقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى:٣٧] وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء:٣١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩]، وقال: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣]، والأحاديث كثيرة في الذنوب الكبائر. ومن قال: هي سبعة عشر فهو قول بلا دليل. ومن قال: إنها مبهمة أو غير معلومة. فإنما أخبر عن نفسه أنه لا يعلمها. ومن قال: إنه ما توعد عليه بالنار قد يقال: إن فيه تقصيرا إذ الوعيد قد يكون بالنار وقد يكون بغيرها وقد يقال: إن كل وعيد فلا بد أن يستلزم الوعيد بالنار. وأما من قال: إنها كل ذنب فيه وعيد فهذا يندرج فيما ذكره السلف؛ فإن كل ذنب فيه حد في الدنيا ففيه وعيد من غير عكس، فإن الزنا والسرقة وشرب الخمر وقذف المحصنات ونحو ذلك فيها وعيد. كمن قال: إن الكبيرة ما فيها وعيد. والله أعلم. اهـ

الفرع السادس: في أسباب العفو عن الذنوب:

اعلم أن الكبيرة قد يقترن بها من الحياءِ والخوف من الله والاستعظام لها ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة من قلة الحياء وعدم المبالاة والمداومة وترك الخوف والاستهانة بها ما يلحقها بالكبائر. وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد

على مجرد الفعل، والإنسان يعرف ذلك من نفسه وغيره.

وأيضًا: فإنه قد يعفى لصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، فإن فاعل السيئات يسقط عنه عقوبة جهنم بنحو أكثر من عشرة أسباب، ذكرها جماعة من العلماء، عرفت بالاستقراء من الكتاب والسنة[1]:

السبب الأول: التوبة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم:٦٠]، وقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [البقرة:١٦٠]، والتوبة النصوح، وهي الخالصة، لا يختص بها ذنب دون ذنب، لكن هل تتوقف صحتها على أن تكون عامة؟ حتى لو تاب من ذنب وأصر على آخر لا تقبل؟ والصحيح أنها تقبل وهو مذهب أهل السنة خلافًا للمعتزلة والخوارج. وهل يجبُّ الإسلام ما قبله من الشرك وغيره من الذنوب وإن لم يتب منها؟ أم لا بد مع الإسلام من التوبة من غير الشرك؟ حتى لو أسلم وهو مصر على الزنا وشرب الخمر مثلًا، هل يؤاخذ بما كان منه في كفره من الزنا وشرب الخمر؟ أم لا بد أن يتوب من ذلك الذنب مع إسلامه؟ أو يتوب توبة عامة من كل ذنب؟ وهذا هو الأصح: أنه لا بد من التوبة مع الإسلام، وكون التوبة سببًا لغفران الذنوب وعدم المؤاخذة بها - مما لا خلاف فيه بين الأمة، وليس شيء يكون سببا لغفران جميع الذنوب إلا التوبة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] وهذا لمن تاب، ولهذا قال: ﴿لَا تَقْنَطُواْ﴾ وقال بعدها: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، الآية.

السبب الثاني: الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]، لكن الاستغفار تارة يذكر وحده، وتارة يقرن بالتوبة، فإن ذكر وحده دخل معه التوبة، كما إذا ذكرت التوبة وحدها شملت الاستغفار. فالتوبة تتضمن الاستغفار،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٧/ ٤٨٧)، (١٠/ ٦٥٥)، وشرح الطحاوية (ص:٣٢٧).

والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق، وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

وقال أبو العباس ابن تيمية: وقد يقال: بل الاستغفار بدون التوبة ممكن واقع، فإن هذا الاستغفار إذا كان مع التوبة مما يحكم به، عام في كل تائب، وإن لم يكن مع التوبة فيكون في حق بعض المستغفرين الذين قد يحصل لهم عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحوا الذنوب كما في حديث البطاقة، بأن قول: لا إله إلا الله ثقلت بتلك السيئات لما قالها بنوع من الصدق والإخلاص الذي يمحو السيئات، وكما غفر للبغي بسقي الكلب لما حصل في قلبها إذ ذاك من الإيمان، وأمثال ذلك كثير. اهـ(١)

السبب الثالث: الحسنات، فإن الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالويل لمن غلبت آحاده عشراته. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]. وقال ﷺ: **«وأتبع السيئة الحسنة تمحها»**(٢).

السبب الرابع: المصائب الدنيوية، قال ﷺ: **«ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب، ولا غم ولا هم ولا حزن، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر بها من خطاياه»**(٣). وفي المسند: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] قال أبو بكر: يا رسول الله، نزلت قاصمة الظهر، وأينا لم يعمل سوءا؟ فقال: **«يا أبا بكر، ألست تنصب؟ ألست تحزن؟ ألست يصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»**(٤) فالمصائب نفسها، مكفرة، وبالصبر

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٣٥٤، ٢١٤٠٣، ٢١٤٨٧)، والترمذي (١٩٨٧) عن أبي ذر بسند حسن.

(٣) أخرجه أحمد (٨٠٢٧، ٨٤٢٤، ١١٠٠٧، ١١١٤١، ١١١٨٨)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٤) أخرجه أحمد (٦٨، ٧١)، والترمذي (٣٠٣٩).

عليها يثاب العبد، وبالتسخط يأثم، والصبر والسخط أمر آخر غير المصيبة، فالمصيبة من فعل الله لا من فعل العبد، وهي جزاء من الله للعبد على ذنبه، ويكفر ذنبه بها، وإنما يثاب المرء ويأثم على فعله، والصبر والسخط من فعله، وإن كان الأجر قد يحصل بغير عمل من العبد، بل هدية من الغير، أو فضل من الله من غير سبب، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٠] فنفس المرض جزاء وكفارة لما تقدم. وكثيرًا ما يفهم من الأجر غفران الذنوب! وليس ذلك مدلوله، وإنما يكون من لازمه.

السبب الخامس: عذاب القبر. أو ضغطته نسأل الله أن يعيذنا منها، وتقدم الكلام على ذلك.

السبب السادس: دعاء المؤمنين واستغفارهم في الحياة وبعد الممات، ولذلك شرعت صلاة الجنازة للاستغفار للميت والشفاعة له كما في حديث عائشة عن النبي ﷺ قال: **«ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه»**[(١)]، وعن ابن عباس عن النبي ﷺ: **«ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه»**[(٢)].

السبب السابع: ما يهدى إليه بعد الموت، من ثواب صدقة أو قراءة أو حج، ونحو ذلك، لما في حديث ابن عباس أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل ينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ قال: **«نعم»** قال: فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها[(٣)].

السبب الثامن: أهوال يوم القيامة وشدائده.

(١) رواه مسلم (٩٤٧).

(٢) رواه مسلم (٩٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٦٢).

السبب التاسع: ما ثبت في الصحيحين: أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

السبب العاشر: شفاعة الشافعين، كما تقدم عند ذكر الشفاعة وأقسامها.

السبب الحادي عشر: عفو أرحم الراحمين من غير شفاعة، كما قال تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فإن كان ممن لم يشأ الله أن يغفر له لعظم جرمه، فلا بد من دخوله إلى الكير، ليخلص طيب إيمانه من خبث معاصيه، فلا يبقى في النار من في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان، بل من قال: لا إله إلا الله، كما تقدم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذا كان الأمر كذلك، امتنع القطع لأحد معين من الأمة، بجنة ولا نار غير من شهد له الرسول ﷺ بالجنة، ولكن نرجو للمحسنين، ونخاف على المسيئين.

(٢١)

إقامة الجهاد والحج مع الأمراء المسلمين

ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان.

(و) مما أدركوا عليه جماعة العلماء أننا (**نقيمُ فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين**) أي: أمراءهم (**في كل دهر وزمان**)، فإن الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر، فلا بد من سائس يسوس الناس فيهما، ويقاوم فيها العدو، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر. وهذا من عقيدة أهل السنة التي خالفوا فيها الخوارج والروافض: أنهم يرون أن الحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برِّهم وفاجِرهم، إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما، والمخالف في هذا الأصل هم الروافض والخوارج أو من شابه الخوارج.

أما الروافض فامتنعوا من الحج والجهاد مطلقا حتى يخرج المعصوم؛ وهو الإمام الثاني عشر من أئمتهم وهو المدعو محمد بن الحسن العسكري الذي يزعمون أنه دخل السرداب وكان صغيرا، دخلت به أمه وهم ينتظرون خروجه، فلم يحجوا، أو أنهم رأوا أن الحج غير قائم، لا يرونه إلا مع معصوم وكذلك الجهاد لا يرونه إلا مع معصوم.

وأما الخوارج فعندهم أن هذه الأعمال إنما هي تبع للولاية، والولاية عندهم لا تصلح فيمن لم يكن برًّا تقيًا، فلا بد أن يكون الإمام برًّا صالحًا تقيًا كاملًا حتى يُجاهد معه وحتى يحج معه، وإلا نصبوا لهم أميرًا وصاروا يجاهدون معه ويحجون معه ولا يدينون بدين الجماعة، وهذا ظهر منهم في خلافهم لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم في خلافهم لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم

في قتالهم لخلفاء بني أمية. ثم لا يزالون يخرجون على الأئمة ويفارقون الجماعة ويغزون بأمير ينصّبونه وبجماعات من شذاذ الناس، كما حصل في زماننا هذا بجماعة القاعدة وداعش الذين سموا أنفسهم بالدولة الإسلامية، وأفسدوا في الأرض فسادًا عريضًا، نسأل الله أن يسلّم المسلمين منهم.

وممن يشبه الخوارج في ذلك من لم ير الطاعة -الطاعة في الحج والجهاد وما فيه مصلحة عامة للمسلمين وما هو من البر والتقوى والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- إلا مع الإمام الصالح الذي ليس عنده فساد أو ليس عنده محرمات، وهذا قول يلحق بأقوال الخوارج؛ لأن الحج والجهاد وكل أنواع المعروف أوجب النبي ﷺ الطاعة فيها فقال: «**إنما الطاعة في المعروف**»(١)، والمعروف هو ما عرف في الشرع أنه ليس بمعصية وأعلاه الطاعات التي يتقرب بها إلى الله عَزَّوَجَلَّ. وأدناها المباحات.

ففي هذا الفصل إشارة إلى الرد على هذه الطوائف الضالة التي شرطت في الإمام أن يكون معصومًا أو عدلًا، بغير دليل؛ بل في صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قال: قلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئًا من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعته**»(٢)، ولم يقل: إن الإمام يجب أن يكون معصومًا. والرافضة أخسر الناس صفقة في هذه المسألة؛ لأنهم جعلوا الإمام المعصوم هو الإمام المعدوم، الذي لم ينفعهم في دين ولا دنيا!! فإنهم يدعون أن الإمام المنتظر، محمد بن الحسن العسكري، الذي

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

دخل السرداب في زعمهم، سنة ستين ومائتين، أو قريبا من ذلك بسامراء! وقد يقيمون هناك دابة، إما بغلة، وإما فرسا، ليركبها إذا خرج! ويقيمون هناك في أوقات عينوا فيها من ينادي عليه بالخروج: يا مولانا، اخرج! يا مولانا، اخرج! ويشهرون السلاح؛ ولا أحد هناك يقاتلهم! إلى غير ذلك من الأمور التي يضحك عليهم منها العقلاء!

ولقد أحسن القائل:

أما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلّمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلّثتم العنقاء والغيلانا

(٢٢)

تحريم الخروج على الأئمة

ولا نرى الخروج على الأئمة.

(و) مما أدركوا على إجماع علماء الأمصار أننا (**لا نرى الخروج على الأئمة**) وولاةِ الأمور، ولا نجيزه وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني**»[١]، وعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف»، متفق عليه[٢]، وعند البخاري: «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة»[٣]، وفي الصحيحين أيضا: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»[٤]، وعن حذيفة بن اليمان، قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: «**نعم**»، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «**نعم، وفيه**

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٦)، ومسلم (٦٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٥٥، ٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

دخن»، قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «**نعم، قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا**»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إذا أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، فقلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» متفق عليه[1]، وعن ابن عباس رَضِيَالله عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، فميتته جاهلية**»[2]، وفي رواية: «**فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**»[3]، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَالله عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما**»[4]، وعن عوف بن مالك رَضِيَالله عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، فقلنا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة**»[5].

فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية، وطاعتهم تبع لطاعة الله ورسوله، وتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦، ٧٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣، ٧٠٥٤، ٧١٤٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٥٦٠، ٢١٥٦١)، وأبو داود (٤٧٥٨) من حديث أبي ذر رَضِيَالله عَنْهُ، وأخرجه أحمد أيضًا (١٧١٧٠)، والترمذي (٢٨٦٣) من حديث أبي مالك الأشعري وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، فانظر كيف قال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر منكم؟ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله. وأعاد الفعل مع الرسول للدلالة على أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله، وأن له طاعة بإذن الله، فإن الرسول ﷺ لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ومضاعفة الأجور. فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير الظالم فليتركوا الظلم، وعن مالك بن دينار: أنه جاء في بعض كتب الله: أنا الله مالك الملك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، لكن توبوا أعطفهم عليكم.

والخروج على ولاة الأمور وعلى من انعقدت له بيعة هو مذهب طوائف من المنتسبين إلى القبلة، منهم الخوارج والمعتزلة، وكان مذهبًا مهجورًا لبعضهم، والذي عليه الصحابة جميعًا وعامة التابعين وهكذا أئمة الإسلام من أن الخروج على ولي الأمر محرم وكبيرة من الكبائر، ومن خرج على ولي الأمر فليس من الله في شيء.

والأدلة على هذا الأصل من الكتاب والسنة متعددة، احتج بها الأئمة ورأوا أن من خالفها ممن تأول من السلف أنهم خالفوا فيه الدليل الواضح البين المتواتر تواترا معنويًا، كما سيأتي في الكلام على السمع والطاعة لولاة الأمور.

تنبيه: على سبب ذكر هذه المسائل في العقيدة:

إن أهل السنة والجماعة لما رأوا ما أحدثته اجتهادات بعض الناس ممن ابتدعوا بدعة الخروج على الأمراء من الخوارج ومن وافقهم فخرجوا على ولاة الأمر من بني أمية، أو خرجوا على ولي الأمر، على بعض ولاة الأمر من بني العباس، أو قبل ذلك ممن خرجوا على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بل قبل ذلك على عثمان وإن لم يكونوا من المنتسبين للسنة في الجملة، ذكروا هذا في عقائدهم ودونوه، وجعلوا أن الخروج بدعة لمخالفته للأدلة.

وأما اجتهاد من اجتهد في مسألة الخروج على ولي الأمر المسلم فقد كان اجتهادًا في مقابلة الأدلة الكثيرة المتواترة من أن ولي الأمر والأمير تجب طاعته وتحرم مخالفته إلا إذا أمر بمعصية فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

ومن أهل العلم من قال توسعًا في اللفظ فذكر أن الخروج على الولاة كان مذهبًا لبعض السلف قديم، ثم لما رئي أنه ما أتى للأمة إلا بالشر والفساد فأجمعت أئمة الإسلام على تحريمه وعلى الإنكار على من فعله، كما قاله الحافظ ابن حجر! وهذا فيه توسع لأنه لا يقال في مثل هذا الأمر إنه مذهب لبعض السلف، وإنما يقال إن بعض السلف اجتهدوا في هذه المسائل من التابعين كما أنه يوجد من التابعين من ذهب إلى القول المنافي للسنة في القدر، ومنهم من ذهب إلى الإرجاء، ومن ذهب إلى إثبات أشياء لم تثبت في النصوص، فلا يقال إنها مذاهب لبعض السلف فكذلك في مسألة طاعة ولاة الأمور فربما وجد منهم الشيء الذي الدليل بخلافه، والعبرة بما دلت عليه الأدلة لا باجتهاد من اجتهد وأخطأ في ذلك، والله أعلم.

(٢٣)

تحريم القتال في الفتنة

ولا القتال في الفتنة.

(و) مما أدركوا عليه العلماء مجمعين أنهم (لا) يرون (القتال في الفتنة) بين المسلمين، وأنه من الكبائر، لما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[(١)]. قال النووي في شرح مسلم: قوله: «**والتارك لدينه المفارق للجماعة**» عام في كل مرتد عن الإسلام بأي ردة كانت، فيجب قتله إن لم يرجع إلى الإسلام، قال العلماء: ويتناول أيضًا كل خارج عن الجماعة ببدعة أو بغي أو غيرهما وكذا الخوارج والله أعلم، واعلم أن هذا عام يخص منه الصائل ونحوه فيباح قتله في الدفع، وقد يجاب عن هذا بأنه داخل في المفارق للجماعة، أو يكون المراد: لا يحل تعمد قتله قصدًا إلا في هذه الثلاثة والله أعلم. اهـ

وقال القرطبي في المفهم: ظاهر قوله: «**المفارق للجماعة**» أنه نعت للتارك لدينه إذا ارتدّ فارق جماعة المسلمين وإن لم يرتد كمن يمتنع من إقامة الحد عليه إذا وجب ويقاتل على ذلك، كأهل البغي وقطاع الطريق والمحاربين من الخوارج وغيرهم، قال: فيتناول لفظ «**المفارق للجماعة**» بطريق العموم، ولو لم يكن كذلك لم يصح الحصر لأنه يلزم أن ينفي من ذكر «ودمه حلال» فلا يصح الحصر، وكلام الشارع منزه عن ذلك، فدل على أن

---

(١) رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦) عن ابن مسعود.

وصف المفارقة للجماعة يعم جميع هؤلاء، قال: وتحقيقه أن كل من فارق الجماعة ترك دينه غير أنّ المرتد ترك كله، والمفارق بغير ردة ترك بعضه. اهـ

وقال ابن قدامة في المغني: فأما من أريدت نفسه أو ماله، فلا يجب عليه الدفع؛ لقول النبي ﷺ في الفتنة: «**اجلس في بيتك فإن خفت أن يبهرك شعاع السيف، فغط وجهك**». وفي لفظ: «**فكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل**» ولأن عثمان ترك القتال مع إمكانه مع إرادتهم نفسه.

فإن قيل: فقد قلتم في المضطر: إذا وجد ما يدفع به الضرورة، لزمه الأكل منه، في أحد الوجهين، فلم لم تقولوا ذلك هاهنا؟ **قلنا**: لأن الأكل يحيي به نفسه، من غير تفويت نفس غيره، وها هنا في إحياء نفسه فوات نفس غيره، فلم يجب عليه، فأما إن أمكنه الهرب، فهل يلزمه؟ فيه وجهان؛ أحدهما، يلزمه؛ لأنه أمكنه الدفع عن نفسه، من غير ضرر يلحق غيره، فلزمه، كالأكل في المخمصة. والثاني، لا يلزمه؛ لأنه دفع عن نفسه، فلم يلزمه، كالدفع بالقتال. اهـ

وفي الصحيحين عن الأحنف قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل يعني عليًا، فلقيني أبو بكرة، فقال: أين تريد يا أحنف؟ فقلت: أريد نصرة ابن عم رسول الله ﷺ يعني: عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال لي: يا أحنف! ارجع؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»، فقلت، أو قيل: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «**إنه أراد قتل صاحبه**»[1]، ولمسلم: عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس يوم، لا يدري القاتل فيم قتل؟ ولا المقتول فيم قتل**»، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «**الهرج: القاتل**

---

(١) رواه البخاري (٣١، ٦٨٧٥)، ومسلم (٢٨٨٨).

والمقتول في النار»(١). قال ابن هبيرة الحنبلي: في هذا الحديث من الفقه أن هذا القاتل والمقتول يكونان في زمان ليس فيه إمام يعرف به الحق من الباطل. اهـ(٢). وقال النووي: وأما كون القاتل والمقتول من أهل النار: فمحمول على من لا تأويل له، ويكون قتلهما عصبية ونحوها. ثم كونه في النار: أي مستحق لها، وقد يجازي بذلك، وقد يعفو الله تعالى عنه، وهو مذهب أهل الحق(٣). اهـ

قال ابن الملقن في (التوضيح) وابن حجر -والسياق له-: واحتج به من لم ير القتال في الفتنة وهم كل من ترك القتال مع علي في حروبه، كسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، وأبي بكرة وغيرهم، وقالوا: يجب الكف، حتى لو أراد أحد قتله لم يدفعه عن نفسه، ومنهم من قال: لا يدخل في الفتنة، فإن أراد أحد قتله دفع عن نفسه، وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين، وحمل هؤلاء الأحاديث الواردة في ذلك على من ضعف عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق، واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا وأن المصيب يؤجر أجرين، وحمل هؤلاء الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل بغير تأويل سائغ بل بمجرد طلب الملك، ولا يرد على ذلك منع أبي بكرة الأحنف من القتال مع علي؛ لأن ذلك وقع عن اجتهاد من أبي بكرة أداه إلى الامتناع والمنع احتياطا لنفسه ولمن نصحه. قال الطبري: لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر

(١) رواه مسلم (٢٩٠٨).
(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٨/ ١٤١).
(٣) شرح النووي (١٨/ ١٠).

السيوف، لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل الفسوق سبيلًا إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبي الحريم بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة وقد نهينا عن القتال فيها، وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء، انتهى. وقد أخرج البزار في حديث: «**القاتل والمقتول في النار**» زيادة تبين المراد وهي: «**إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار**» ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ: «**لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل**»، فقيل: كيف يكون ذلك، قال: «**الهرج، القاتل والمقتول في النار**» قال القرطبي: فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع هوى فهو الذي أريد بقوله: «**القاتل والمقتول في النار**». قلت: ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال في الجمل وصفين أقل عددا من الذين قاتلوا، وكلهم متأول مأجور إن شاء الله، بخلاف من جاء بعدهم ممن قاتل على طلب الدنيا كما سيأتي عن أبي برزة الأسلمي والله أعلم. ومما يؤيد ما تقدم ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رفعه: «**من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل؛ فقتلته جاهلية**»(١) واستدل بقوله: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**» من ذهب إلى المؤاخذة بالعزم وإن لم يقع الفعل، وأجاب من لم يقل بذلك أن في هذا فعلًا وهو المواجهة بالسلاح ووقوع القتال، ولا يلزم من كون القاتل والمقتول في النار أن يكونا في مرتبة واحدة، فالقاتل يعذب على القتال والقتل، والمقتول يعذب على القتال فقط، فلم يقع التعذيب على العزم المجرد. اهـ(٢)

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٣) والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٣٢/ ٣٣٠).

تنبيه: على إشكال وجوابه:

قال أبو محمد ابن قتيبة في اختلاف الحديث: قالوا: رويتم أن رسول الله ﷺ قال: **«من قتل دون ماله فهو شهيد»**[1]، ثم رويتم: **«كن حلس بيتك فإن دخل عليك فادخل مخدعك، فإن دخل عليك فقل بؤ بإثمي وإثمك وكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل، فإن الله تعالى ضرب لكم بابني آدم مثلًا فخذوا خيرهما ودعوا شرهما»**، قالوا وهذا خلاف الحديث الأول.

قال أبو محمد: ونحن نقول: إن لكل حديث موضعًا غير موضع الآخر، فإذا وضعا بموضعيهما زال الاختلاف؛ لأنه أراد بقوله: **«من قتل دون ماله فهو شهيد»**، من قاتل اللصوص عن ماله حتى يقتل في منزله وفي أسفاره، ولذلك قيل في حديث آخر: **«إذا رأيت سوادًا في منزلك فلا تكن أجبن السوادين»** يريد تقدم عليه بالسلاح فهذا موضع الحديث الأول. وأراد بقوله: **«كن حلس بيتك فإن دخل عليك فادخل مخدعك، فإن دخل عليك فقل بؤ بإثمي وإثمك، وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل»** أي: افعل هذا في زمن الفتنة واختلاف الناس على التأويل وتنازع سلطانين، كل واحد منهما يطلب الأمر ويدعيه لنفسه، بحجة يقول: **«فكن حلس بيتك»** في هذا الوقت ولا تسلّ سيفًا ولا تقتل أحدًا، فإنك لا تدري من المحق من الفريقين ومن المبطل، واجعل دمك دون دِينك، وفي مثل هذا الوقت قال: **«القاتل والمقتول في النار»**، فأما قوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات:٩] فإنه أمر بذلك الجميع منا بعد الإصلاح وبعد البغي، وأمر الواحد والاثنين والثلاثة إذا لم يجتمع مَلؤُنا على الإصلاح بينهما أن نلزم منازلنا ونقي أدياننا بأموالنا وأنفسنا. اهـ[2]

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٨٠)، ومسلم (١٤١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص:١٥٥).

وقال الحافظ ابن حجر في (الفتح): وفي رواية لأبي داود والترمذي: «**من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد**»، ولابن ماجه من حديث ابن عمر نحوه، وروى الترمذي وبقية أصحاب السنن من حديث سعيد بن زيد نحوه وفيه ذكر الأهل والدم والدين، وفي حديث أبي هريرة عند ابن ماجه: «**من أريد ماله ظلمًا فقتل فهو شهيد**» قال النووي: فيه جواز قتل من قصد أخذ المال بغير حق سواء كان المال قليلًا أو كثيرًا، وهو قول الجمهور، وشذّ من أوجبه، وقال بعض المالكية: لا يجوز إذا طلب الشيء الخفيف، قال القرطبي: سبب الخلاف عندنا هل الإذن في ذلك من باب تغيير المنكر فلا يفترق الحال بين القليل والكثير، أو من باب دفع الضرر فيختلف الحال، وحكى ابن المنذر عن الشافعي، قال: من أريد ماله أو نفسه أو حريمه فله الاختيار أن يكلمه أو يستغيث فإن دفع أو امتنع لم يكن له قتاله، وإلا فله أن يدفعه عن ذلك ولو أتى على نفسه وليس عليه عقل ولا دية ولا كفارة، لكن ليس له عمد قتله، قال ابن المنذر: والذي عليه أهل العلم أن للرجل أن يدفع عما ذكر إذا أريد ظلمًا بغير تفصيل، إلا أن كل من يحفظ عنه من علماء الحديث المجمعين على استثناء السلطان للآثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره وترك القيام عليه وفرّق الأوزاعي بين الحال التي للناس فيها جماعة وإمام فحمل الحديث عليها، وأما في حال الاختلاف والفرقة، فليستسلم ولا يقاتل أحدًا، ويرد عليه ما وقع في حديث أبي هريرة عند مسلم بلفظ: أرأيت أن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه**»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**فاقتله**» قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**فهو في النار**»، قال ابن بطال: إنما أدخل البخاري هذه الترجمة في هذه الأبواب ليبين أن للإنسان أن يدفع عن نفسه وماله ولا شيء عليه، فإنه إذا كان شهيدًا إذا قتل في ذلك فلا قود عليه ولا دية إذا كان هو القاتل. اهـ

(٢٤)

السمع والطاعة لولاة الأمور

ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا، ولا ننزع يدًا من طاعة.

(و) مما أدركوا عليه جماعة علماء أهل السنة مجمعين أنْ (نسمع ونطيع لمن ولاه الله عَزَّوَجَلَّ أمرنا، ولا ننزع يدًا من طاعة) وقد دل على هذا الأصل الأدلة من الكتاب والسنة، ومنه قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، وقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، ووجه الدلالة منه أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**»[1].

قال ابن القيم غيره -في قوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]- قال: لفظ ﴿أَطِيعُواْ﴾ جاء في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ يعني الأمر بالفعل ﴿أَطِيعُواْ﴾ ثم لما ذكر ولاة الأمور لم يكرر الفعل ﴿أَطِيعُواْ﴾، فقال ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وفي هذا مناسبة لطيفة وهي أن طاعة ولي الأمر المسلم لا تكون إلا في غير مخالفة طاعة الله وطاعة رسوله، أما إذا كانت طاعته فيها مخالفة لطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ كأمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلم يكرر الفعل لأن طاعة الله تجب استقلالًا؛ ولأن طاعة رسوله ﷺ تجب استقلالًا، وأما طاعة ولي الأمر فإنها تجب تبعًا لا استقلالًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

لهذا الرجل الذي أمَّرَهُ النبي ﷺ على سرية وقال لهم: «**أطيعوه**» فأجج نارًا وأمر الناس أن يقتحموها، فأبوا وقالوا: إنما فررنا من النار، يعني بالإيمان والإسلام، فأخبروا رسول الله ﷺ بذلك، فقال «**أما لو أنهم أطاعوه لم يخرجوا منها**»(١)؛ لأنهم أطاعوه في معصية الله عَزَّوَجَلَّ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وعن أبي برزة قال: أتيت على أبي بكر وقد أغلظ لرجل فرد عليه فقلت: ألا أضرب عنقه، فانتهرني فقال: إنها ليست لأحد بعد رسول الله ﷺ(٢).

ومن السنة قول النبي ﷺ: «**من أطاع الأمير فقد أطاعني ومن عصى الأمير فقد عصاني**»(٣)، وأيضا ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**على المرء السمع والطاعة فيما أحب وفيما كره، إلا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٤)، وصح عنه ﷺ أيضا أنه قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»(٥) يعني طاعة ولي الأمر في المعروف.

وأيضا ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة**»(٦). وأيضا صح عنه ﷺ أنه قال: «**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**»(٧)، وقال ﷺ: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم**»، ثم سئل ﷺ فقيل له: أفلا نقاتلهم؟ يعني هؤلاء الذين نبغضهم ويبغضوننا

---

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٥، ٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠) عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.
(٢) رواه أحمد (٥١) والنسائي (٤٠٨٢) والبيهقي (١٣٧٥٩).
(٣) تقدم.
(٤) أخرجه البخاري (٢٩٥٥، ٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) عن ابن عمر.
(٥) تقدم.
(٦) أخرجه مسلم (١٨٥١) عن ابن عمر.
(٧) أخرجه مسلم (١٨٥١) عن ابن عمر.

ونلعنهم ويلعنوننا، قال: **«لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال فرآه يأتي شيئا من معصية فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة»**.

والأدلة على كثيرة في السنة كثيرة جدًا وأفردت بالتأليف، والواجب على المرء أن يموت على الطريقة الأولى بغير تغيير ولا تبديل، فإن هذه المسائل من المسائل التي كثر فيها التغيير والتبديل إما عملًا وإما اعتقادًا -ولا حول ولا قوة إلا بالله- والسنة عزيزة واتباع طريقة السلف مطلوبة، والواجب على المرء أن يخلص نفسه من هواها، وأن يمتثل ما دلت عليه السنة دون مخالفة.

قال ابن قدامة في (لمعة الاعتقاد): ومن السنة: السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه، وشق عصا المسلمين. اهـ

وقال الطحاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة. اهـ

فرع في صور الخروج على ولاة الأمور:

والخروج على ولي الأمر يكون بأحد صور:

الصورة الأولى: بعدم البيعة له وخلعها، واعتقاد وجوب الخروج عليه.

أو بتسويغ الخروج عليه، وهذا هو الذي كان السلف يطعنون فيمن ذهب إليه بقولهم: فلان كان يرى السيف؛ أي اعتقادًا ولم يبايع.

والصورة الثانية وهي المقصودة بالأصالة: أنهم الذين يخرجون على الإمام بسيوفهم، أي يخرجون على الإمام ويجتمعون في مكان ويريدون خلع الإمام وتبديله، أو إحداث فتنة بها يقتل ولي الأمر أو يزال أو نحو ذلك؛ أي الخروج بالعمل عليه سعيًا في قتله أو إزالته، كمثل هذه الثورات الشعبية لإزالة الحكام والمطالبة بعزلهم وتنحيهم عن الملك والرئاسة بغير موجب شرعي مبيح لذلك.

فهاتان الصورتان للخروج. والخروج على هذا: -يكون بالاعتقاد- ويكون بالعمل.

وهناك صورة ثالثة ذكرها بعض أهل العلم، وهي الخروج بالقول؛ لأن ولي الأمر يكون الخروج عليه بالقول، والمراد به التحريض وإثارة الفتنة بالتأليب وإظهار العيوب التي تسبب الخروج، ولهذا من أدخل من أهل العلم الخروج بالقول في صور الخروج، والذي عليه أهل العلم في تقرير العقائد أن الخروج يكون في صورتين: الصورة الأولى: عدم البيعة واعتقاد جواز الخروج أو تسويغه أو وجوبه؛ يعني على ولي الأمر المسلم. والصورة الثانية: السعي باليد بالسيف بالسلاح على ولي الأمر. أما بالقول فهذه فيها تفصيل فقد تكون وقد لا تكون، ولكن لما كانت الاعتقادات والنوايا خفيّة ألحقت هذه الصورة بالخروج لشدة شبهها بما قبلها، لأن كثرة القدح والتأليب يسبب الخروج والثورات على الولاة.

فالأئمة وولاة الأمور طاعتهم من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ومن طاعة رسوله ﷺ، فطاعة المؤمن لهم في المعروف عبادة وقربة؛ لأن النبي ﷺ جعل طاعتهم من طاعته حفظًا لبيضة هذه الأمة وجمعًا للكلمة وقوة لها على أعدائها.

فرع في تصرفات الولاة:

وتصرفات ولاة الأمور وما يأمرون به من حيث التنظير تكون على أحد أنحاء:

الأول: أن يأمروا بالطاعة، من إقامة الصلاة، أو إيتاء الزكاة، أو بأداء الحق الشرعي بعامة، أو ينهون الناس عن المحرمات، ويقيمون الحدود، ويأمرون بالمعروف ينهون عن المنكر ونحو ذلك مما هو معلوم الأمر به أمر إيجاب أو أمر استحباب أو معلوم النهي عنه نهي تحريم أو كراهة في الشريعة.

الثاني: أن يأمروا بأمر خلافي اجتهادي لهم فيه اجتهاد، وهذا الاجتهاد إما أن يكون عن خلاف شرعي واختاروا أحد الأقوال أو اجتهادهم كان مبنيا في مسائل حادثة لا يعلم الناس لها الحكم، أو لم تبحث مثل المسائل الدنيوية والمسائل العامة التي تجري في الناس.

الثالث: أن يأمروا بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ.

أما الأول فإن طاعتهم في ذلك واجبة بالإجماع وطاعتهم في ذلك من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ وطاعة رسوله ﷺ.

وأما الثاني: وهي المسائل الاجتهادية فإن ولي الأمر إذا ذهب إلى أحد الأقوال في المسألة واجتهد، أو اجتهد في المسألة اجتهادًا له لا يخالف مجمعًا عليه، فإن طاعته في ذلك متعينة أيضًا إذا كان متعلقًا بالأمة بعامة.

فالمسائل الاجتهادية داخلة في عموم الأحاديث التي فيها الطاعة في المعروف؛ لأن طاعة الأمير في المعروف التي جاء فيها الدليل، إنما الطاعة في المعروف تشمل الصورتين: الصورة الأولى والصورة الثانية لأن الاجتهاد معتبر شرعًا.

وهنا أصل عظيم أجمع عليه السلف وهو أنه لا ينازع الإمام في المسائل الاجتهادية، قال ابن أبي العز في (شرح الطحاوية): وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف

الأمة أن ولي الأمر، وإمام الصلاة، والحاكم -يعني القاضي- وأمير الحرب، وعامل الصدقة: يطاع في مواضع الاجتهاد، وليس عليه أن يطيع أتباعه في موارد الاجتهاد، بل عليهم طاعته في ذلك، وترك رأيهم لرأيه، فإن مصلحة الجماعة والائتلاف، ومفسدة الفرقة والاختلاف، أعظم من أمر المسائل الجزئية. ولهذا لم يجز للحكام أن ينقض بعضهم حكم بعض. والصواب المقطوع به صحة صلاة بعض هؤلاء خلف بعض. ويروى عن أبي يوسف: أنه لما حج مع هارون الرشيد، فاحتجم الخليفة، وأفتاه مالك بأنه لا يتوضأ، وصلى بالناس، فقيل لأبي يوسف: أصليت خلفه؟ قال: سبحان الله ! أمير المؤمنين. يريد بذلك أن ترك الصلاة خلف ولاة الأمور من فعل أهل البدع. اهـ[1]

وعلى هذا الأصل كان الصحابة والتابعون فيما يأمر به الخلفاء فيما هو محل للاجتهاد، فيتركون مذاهبهم لما يأمر به الخليفة، ويطيعونه، كما صلوا وراء عثمان في منى إتمامًا دون قصر، وبيَّن ابن مسعود أن ذلك لم يفعله رسول الله ﷺ ثم صلى بأصحابه أربعًا فقيل له في ذلك فقال: الخلاف شر، رواه أبو داود.

وروى أحمد نحوه عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن ذلك قصة عمار مع عمر بن الخطاب في رواية حديث تيمم الجنب وإنكار عمر لذلك فقال عمار: إن شئت يا أمير المؤمنين لما لك عليّ من الحق ألا أحدث به، فقال عمر: بل نوليك ما توليت. متفق عليه.

ومنها نهي أبي بكر ثم عمر عن التمتع في الحج وتابعهم الصحابة على ذلك وتركهم لمذاهبهم في أفضلية التمتع كما في الصحيحين وغيرهما.

ومن ذلك اختلاف الخلفاء في مسألة الجد والإخوة ومسألة المشرّكة واختلاف قول عمر فيها، ومتابعة ابن مسعود لهم في ذلك وقوله: نقضي كما كانت أئمتنا تقضي.

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٣٤).

وأما الثالث، وهي أن يأمر بمعصية الله عَزَّوَجَلَّ، فالأمر بالمعصية قد يكون عامًا وقد يكون خاصًا، وعلى كل فلا تجوز طاعته فيما فيه معصية لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق لقوله ﷺ: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية**»[(١)]، فإنّ الأدلة التي فيها الأمر بطاعة ولي الأمر، أو التي فيها بيان الطاعة، إنما الطاعة في المعروف، تفهم معًا ولا يضرب بعضها ببعض؛ والحاصل أن ولي الأمر يطاع إلا في المعصية، فيطاع فيما فيه طاعة، ويطاع في المسائل الاجتهادية. ولا يطاع بما فيه معصية لله عَزَّوَجَلَّ.

قولهم: «وإن جاروا» هذا فيه تبيين لأصل المسألة أن الطاعة لا تتقيد بأنها لولي الأمر العدل؛ بل وإن كان منه جور فإنه يطاع.

والجور يكون في صورتين: جور في الدين، وجور في الدنيا.

والجور في الدين ضابطه أن لا يصل فيه إلى الكفر لقوله ﷺ: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان**»[(٢)]، والجور في الدنيا يطاع فيه حتى ولو أخذ مالك وضرب ظهرك، كما صح عنه ﷺ قال: «**أطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك**» رواه مسلم[(٣)].

فالجور ليس مسوغًا للخروج -سواء كان جورًا في الدين أو كان جورًا في الدنيا-؛ بل أكثر ما يكون الخروج بسبب الجور في الدنيا، كما ذكر ذلك ابن تيمية في منهاج أهل السنة قال: أكثر تأويل من خرج بسبب جور بعض الولاة في أمور الدنيا.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العادة المعروفة أن الخروج على ولاة الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا، ولهذا قال أبو برزة الأسلمي عن فتنة ابن الزبير

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩) عن عبادة.

(٣) رواه مسلم (٤٨٩١).

وفتنة القراء مع الحجاج وفتنة مروان بالشام: هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء إنما يقاتلون على الدنيا[١]. اهـ

فإذًا قول العلماء من السلف: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، بيان أن عقيدة السلف الصالح أن يسمع ويطاع لولي الأمر، ويحافظ على البيعة، ولا يخرج المرء ولا يلقى الله وليس له حجة بنزع اليد من الطاعة، ومهما كان الذي رآه إذا لم ير الكفر البواح الذي فيه من الله برهان.

وقال الطحاوي: ولا ندعو عليهم ولا ننزع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ فريضة. اهـ يريد أن هدي السلف الصالح وأئمة الإسلام أنهم لا يدعون على ولي الأمر والأئمة؛ لأن الدعاء عليهم سيما أهل الخروج وسيما الذين يرون السيف إما اعتقادا أو عملا.

وهدي السلف الصالح أنهم يدعون لهم ولا يدعون عليهم؛ لأن بالدعاء لهم الصلاح والمعافاة، وفي الدعاء عليهم توطين القلوب على بغضهم وهو سبب من أسباب اعتقاد الخروج عليهم والوسائل لها أحكام المقاصد، فكما أن المقصد وهو الخروج واعتقاد الخروج ممنوع عند الأئمة في عقائدهم، فكذلك وسيلته في القلوب هي الدعاء عليهم لأنه يحدث البغض لهم والبغض يؤدي إلى الخروج عليهم.

والدعاء لولي الأمر بالصلاح دعاء للأمة في الواقع؛ لأن صلاحه صلاح للناس.

وقد قال جمع من الأئمة منهم الفضيل بن عياض ومنهم الإمام أحمد وجماعة: لو كان لنا دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان.

قال ابن قدامة في المغني في سنن خطبة الجمعة: ويستحب أن يدعو للمؤمنين والمؤمنات، ولنفسه، والحاضرين، وإن دعا لسلطان المسلمين بالصلاح فحسن. وقد

---

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ١٥٢-١٥٣).

روى ضبة بن محصن، أن أبا موسى كان إذا خطب، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ يدعو لعمر، وأبي بكر. وأنكر عليه ضبة البداية بعمر قبل الدعاء لأبي بكر، ورفع ذلك إلى عمر، فقال لضبة: أنت أوثق منه وأرشد. وقال القاضي: لا يستحب ذلك؛ لأن عطاء قال: هو محدث. وقد ذكرنا فعل الصحابة له، وهو مقدم على قول عطاء؛ ولأن سلطان المسلمين إذا صلح كان فيه صلاح لهم، ففي الدعاء له دعاء لهم، وذلك مستحب غير مكروه. اهـ

ويدل لهذا إرشاد النبي ﷺ لذلك وأنه دليل على إصلاحهم بقوله: «**خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم**» أي يدعون لهم بالخير. وقد نص البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (شرح السنة) على أن من سيما أهل البدع الدعاء على ولاة الأمور ومن سيما أهل السنة الدعاء لولاة الأمور.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله لقول الفضيل: لو كانت لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان، أخبرنا أحمد بن كامل قال: حدثنا الحسين بن محمد الطبري حدثنا مردويه الصائغ قال: سمعت فضيلًا يقول: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان، قيل له: يا أبا علي فسّر لنا هذا قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعد في وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن ظلموا وإن جاروا، لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين[١]. اهـ

وقال الإمام أحمد في حق الخليفة العباسي: إني أدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار والتأييد وأرى ذلك واجب عليَّ[٢].اهـ

(١) شرح السنة للبربهاري (ص:١١٣-١١٤).

(٢) السنة للخلال (١/ ٨٣).

(٢٥)

لزوم السنة والجماعة وترك الفرقة والاختلاف

ونتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة.

(و) مما أدركوا عليه إجماع العلماء من أهل السنة والجماعة أن (**نتبع السنة والجماعة، ونتجنب الشذوذ والخلاف والفرقة**)، السنة: هي طريقة الرسول ﷺ، وأصحابه التي أمرنا باتباعها، والجماعة: جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وقد أمر الله بلزوم ذلك ورسوله ﷺ فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال، والشذوذ هو الانفراد عن الجماعة، والخلاف هو التنازع والاختلاف المذموم، والفرقة هو مفارقة الجماعة وقد نهى الله عن ذلك ورسوله ﷺ.

وقد أمرنا باتباع السنة قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، وهو الرد إلى سنته بعد موته، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة:٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧]، وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، ومن أنكر أن تكون السنة أصلًا في الدليل؛ فقد أنكر أن يكون القرآن أصلًا. وقال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ

ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤]، وثبت في السنن وصححه الترمذي، عن العرباض بن سارية، قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع؟ فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**»[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] الآية، فبيّن أنه رضي عن السابقين الأولين ومن تبعهم بإحسان.

وما أحسن قول عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، حيث قال: من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. ورب الكعبة[2].

قال الإمام أحمد في رسالة أصول السنة له: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة ضلالة، وترك الخصومات في الدين، والسنة تفسير القرآن، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الاتباع وترك الهوى[3]. اهـ

---

(١) أخرجه أحمد (١٧١٤٤)، والدارمي (٩٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وهو كما قال.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٠٥، ٣٠٦).

(٣) أصول السنة للإمام أحمد (ص:١٤-١٦).

والجماعة إنما سموا أهل الجماعة -كما قال شيخ الإسلام-: لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة. اهـ[1]؛ فالجماعة اسم مصدر اجتمع يجتمع اجتماعًا وجماعة، فالجماعة هي الاجتماع، فمعنى أهل الجماعة أهل الاجتماع؛ لأنهم مجتمعون على السنة، متآلفون فيها، لا يضلل بعضهم بعضًا، ولا يبدع بعضهم بعضًا، بخلاف أهل البدع، وقد أمر الله بالجماعة ونهى عن الفرقة، فقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨-١١٩]، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة:١٧٦]، وقد تقدم قوله ﷺ: «**إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة -يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة**»[2]، وفي رواية: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[3]، فبين أن عامة المختلفين هالكون إلا أهل السنة والجماعة، وأن الاختلاف واقع لا محالة، لا ينجو منه إلا من لزم السنة والجماعة، كما قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**» الحديث.

---

(١) العقيدة الواسطية (ص:٢٧٨) مع شرح الهراس.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٩٣٧)، وأبو داود (٤٥٩٧)، وابن ماجه (٣٩١٣) عن معاوية بسند صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) عن عبد الله بن عمرو، وله طرق حسنها بها الألباني في الصحيحة.

وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ، قال: «**إن الشيطان ذئب الإنسان، كذئب الغنم، يأخذ الشاة القاصية، والناحية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة، والعامة، والمسجد**»، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: أنه قال لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥] قال: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال: «**هاتان أهون**»، فدل على أنه لا بد أن يلبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض، مع براءة الرسول من هذه الحال، وهم فيها في جاهلية.

والأمور التي تتنازع فيها الأمة، في الأصول والفروع -إذا لم ترد إلى الله والرسول- لم يتبين فيها الحق، بل يصير فيها المتنازعون على غير بينة من أمرهم، فإنهم إن رَحِمَهُمُ اللَّهُ أقر بعضهم بعضًا، ولم يبغ بعضهم على بعض، كما كان الصحابة في خلافة عمر وعثمان يتنازعون في بعض مسائل الاجتهاد، فيقر بعضهم بعضًا، ولا يعتدي ولا يعتدى عليه، وإن لم يرحموا وقع بينهم الاختلاف المذموم، فبغى بعضهم على بعض، إما بالقول، مثل تكفيره وتفسيقه، وإما بالفعل، مثل حبسه وضربه وقتله. والذين امتحنوا الناس بخلق القرآن، كانوا من هؤلاء، ابتدعوا بدعة، وكفروا من خالفهم فيها، واستحلوا منع حقه وعقوبته، ومقلده هو الصحيح بلا حجة يبديها، ويذم من خالفه، مع أنه معذور.

فرع: في أنواع الاختلاف:

أنواع الافتراق والاختلاف في الأصل قسمان: اختلاف تنوع، واختلاف تضاد:

النوع الأول: اختلاف التنوع:

واختلاف التنوع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقًا مشروعًا، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حتى زجرهم النبي ﷺ، كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: سمعت رجلًا قرأ آية سمعت رسول الله

ﷺ يقرأ خلافها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهة، وقال: «**كلاكما محسن، لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا**» رواه البخاري[١]، ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، ومحل سجود السهو، والتشهد، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، ونحو ذلك، مما قد شرع جميعه، وإن كان بعض أنواعه أرجح أو أفضل. ثم تجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيتارها ونحو ذلك ! وهذا عين المحرم.

ومنه ما يكون كل من القولين هو في المعنى القول الآخر، لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود، وصوغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، ونحو ذلك. ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى والاعتداء على قائلها! ونحو ذلك.

النوع الثاني: اختلاف التضاد:

وأما اختلاف التضاد، فهو القولان المتنافيان، إما في الأصول، وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون: المصيب واحد، خلافًا للمتكلمين، والخطب في هذا أشد، لأن القولين يتنافيان، لكن نجد كثيرًا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقًّا ما، فيرد الحق مع الباطل، حتى يبقى هذا مبطلًا في البعض، كما كان الأول مبطلًا في الأصل، وهذا يجري كثيرًا لأهل السنة.

وأما أهل البدعة، فالأمر فيهم ظاهر، ومن جعل الله له هداية ونورًا رأى من هذا ما يبين له منفعة ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا وأشباهه، وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا، لكن نور على نور.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤١٠، ٣٤٧٦، ٥٠٦٢).

والاختلاف الأول، الذي هو اختلاف التنوع، لا ذم فيه وإنما الذم واقع على من بغى على الآخر فيه، وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك، إذا لم يحصل بغي، كما في قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر:٥]، وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار، فقطع قوم، وترك آخرون. وكما في قوله تعالى: ﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٨-٧٩] فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالحكم والعلم. وكما في إقرار النبي ﷺ يوم بني قريظة لمن صلى العصر في وقتها، ولمن أخرها إلى أن وصل إلى بني قريظة، فقد روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**» فحضرت الصلاة قبل وصولهم فأخّر بعضهم الصلاة حتى وصلوا بني قريظة وصلى بعضهم في الطريق حين خافوا خروج الوقت، فلم ينكر النبي على واحد منهم[١].

وكما في قوله: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر**»[٢] ولا زال السلف يختلفون في مسائل الفروع وهم خير القرون ولم يورث ذلك بينهم عداوة ولا تفرقًا، بخلاف أصول الدين والعقائد فليس بينهم فيها اختلاف، قال ابن قدامة في (اللمعة): ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم وترك الجدال والخصومات في الدين وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة وكل مقسم بغير الإسلام والسنة مبتدع، كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع أعاذنا الله منها، وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين كالطوائف

---

(١) رواه البخاري (٩٤٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأربع، فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم مثابون في اجتهادهم واختلافهم رحمة واسعة واتفاقهم حجة قاطعة. اهـ

وليس هذا منه ثناء على الاختلاف لذاته فإن الاتفاق خير من الاختلاف، وإنما مراده نفي الذم عنه وأن كل واحد من أئمة السنة المجتهدون في طلب الحق وبيانه محمود على ما قال، لأنه مجتهد فيه مريد للحق فهو محمود على اجتهاده وعلى اتباع ما ظهر له من الحق، وأن ذلك داخل في عفو الله ورحمته وتوسعته لعباده ورفع الحرج عنهم.

والاختلاف الثاني وهو اختلاف التضاد، هو ما حمد فيه إحدى الطائفتين، وذمت الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج:١٩] الآيات، وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة - من القسم الأول، وكذلك إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء. لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق، ولا تنصفها، بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زيادات من الباطل، والأخرى كذلك. ولذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة:٢١٣]، لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة، وقريب من هذا الباب ما خرجاه في الصحيحين، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: **«ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»**(١)، فأمرهم بالإمساك

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

عما لم يؤمروا به، معللا بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية والمخالفة.

ومن الاختلاف المذموم: الاختلاف في الحق بعدما تبيّن بدلائله من الكتاب والسنة، والإصرار على الرأي المخالف تعصبًا وعنادًا وكذلك الاختلاف في أصول الدين المحكمة في الشريعة بدلائلها من الكتاب والسنة وإجماع السلف كما في حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه ذات يوم وهم يختصمون في القدر، هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية، فكأنما فقئ في وجهه حب الرمان، فقال: **«أبهذا أمرتم؟ أم بهذا وكلتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ انظروا ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فانتهوا»**، وفي رواية: **«يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم، باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضا، ما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه فآمنوا به»**، وفي رواية: **«فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا، وإن المراء في القرآن كفر»**. وهو حديث مشهور، مخرج في المسانيد والسنن[1]، وقد روى أصل الحديث مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن رباح الأنصاري، أن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله ﷺ يوما، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يعرف في وجهه الغضب، فقال: **«إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»**[2] وجميع أهل البدع مختلفون في تأويله، مؤمنون ببعضه دون بعض، يقرون بما يوافق رأيهم من الآيات، وما يخالفه: إما أن يتأولوه تأويلًا يحرفون فيه الكلم عن مواضعه، وإما أن يقولوا: هذا متشابه لا يعلم أحد معناه، فيجحدون ما أنزله الله من معانيه وهو في معنى الكفر بذلك، لأن الإيمان باللفظ بلا معنى

---

(١) أخرجه أحمد (٦٨٤٥، ٦٦٦٨، ٦٧٠٢، ٦٧٤١، ٦٧٤٥)، وابن ماجه (٨٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٦).

هو من جنس إيمان أهل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة:٧٨]، أي: إلا تلاوة من غير فهم معناه. وليس هذا كالمؤمن الذي فهم ما فهم من القرآن فعمل به، واشتبه عليه بعضه فوكل علمه إلى الله، كما أمره النبي ﷺ بقوله: «فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه» فامتثل ما أمر به ﷺ، كما قال الله في صفة الراسخين في العلم بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

(٢٦)

الجهاد والحج مع ولاة الأمور، ودفع الزكاة إليهم

وأنّ الجهادَ ماضٍ -مذ بعث الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ إلى قيام الساعة- مع أولي الأمرِ من أئمة المسلمين لا يبطله شيءٌ والحجّ كذلك ودفع الصدقاتِ من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين.

(و) مما أدركوا عليه علماء أهل السنة مجمعينَ (أنّ الجهادَ ماضٍ -مذ بعث الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ إلى قيام الساعة- مع أولي الأمرِ من أئمة المسلمين) أبرارًا كانوا أو فجارًا، حق لازمٌ (لا يبطله شيءٌ) من فسقهم أو جورهم، (والحجّ كذلك) مع أولي الأمرِ من أئمة المسلمين، أبرارًا كانوا أو فجارًا (ودفع الصدقاتِ) الواجبة (من السوائم) من بهيمة الأنعامِ من الأموال الظاهرة (إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين) حق لازم؛ لما روى أبو داود عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**»[1]، وعن أبي هريرة مرفوعًا: «**الجهاد واجب عليكم مع كل أمير برًا كان أو فاجرًا والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برًّا كان أو فاجرًا، وإن عمل الكبائر والصلاة واجبة على كل مسلم برًّا كان أو فاجرًا وإن عمل الكبائر**» رواه أبو داود[2]، ولأن مخالفتهم في ذلك توجب شق عصا المسلمين والتمرد

(١) رواه أبو داود (٣/ ٤٠)، والبيهقي والضياء المقدسي في (المختارة الصحيحة) وفي سنده رجل مجهول، ولكن له شواهد.

(٢) رواه أبو داود (٥٩٤، ٢٥٣٣) بسند ضعيف.

عليهم، وخص الحج والجهاد لاحتياجهما إلى أمير يقاوم قطاع الطريق، ويسوس الجيش، ونحو ذلك مما يحصل بالبر والفاجر، وهذا محل اتفاق بين أهل السنة والجماعة، ولم يشذ عنهم إلا بعض أهل البدع، ولذا كان أهل السنة ينصّون عليه في عقائدهم، قال الإمام أحمد في (السنة): الجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولًا أتقياء[١]، وحكاه أبو عثمان الصابوني عن أهل السنة والسلف[٢].

وقال الإمام أحمد في أصول السنة رواية العطار: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة سُمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا، برًا كان أو فاجرًا[٣]. واحتج بما ثبت عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: وأصلي وراء من غلب[٤].

وعن زيد بن أسلم أن ابن عمر كان في زمان الفتنة لا يأتي أمير إلا صلى خلفه وأدى إليه زكاة ماله[٥]، وكان ابن عمر في تلك الفتنة امتنع أن يبايع لابن الزبير أو لعبد الملك، فلما غلب عبد الملك واستقام له الأمر بايع له[٦].

وعن عبد الله بن دينار قال: شهدت ابن عمر حيث اجتمع الناس على عبد الملك كتب: إني أقرّ بالسمع والطاعة لعبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين على سنة الله وسنة رسوله ما استطعت وأن بني قد أقروا بمثل ذلك[٧].

---

(١) السنة للإمام أحمد (ص:٤٦ ضمن شذرات البلاتين) ورسالة الإصطخري في طبقات الحنابلة (١/ ٢٦).
(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني كما في مجموعة الرسائل المنيرية (١/ ١٢٩).
(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٢٤١)، والأحكام السلطانية لأبي يعلىٰ (ص:٢٣).
(٤) الأحكام السلطانية (ص:٢٣).
(٥) رواه ابن سعد في الطبقات (٤/ ١٩٣).
(٦) فتح الباري (١٣/ ١٩٤).
(٧) رواه البخاري (١٣/ ١٩٣ فتح).

وعن حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة ويجمع الناس عليه فهو خليفة[١]، قال ابن حجر: وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء[٢]، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء[٣].

وقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يصلون خلف من يعرفون فجوره كما صلى عبدالله بن مسعود وغيره من الصحابة خلف الوليد بن عقبة ابن أبي معيط وقد كان يشرب الخمر، وصلى مرة الصبح أربعًا وجلده عثمان بن عفان على ذلك، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف الحجاج بن يوسف، وخلف المختار بن أبي عبيد وكان متهمًا بالإلحاد وداعيًا إلى الضلال.

ويذكرون هذه المسألة في العقيدة لأنه صار القول بها علَمًا على أهل السنة في مخالفة الروافض والخوارج أيضًا، وهي أن الإمارة والولاية من فرائض الدين ويمضى مع أهلها من الأمراء وولاة الأمور في الطاعة والمعروف والحج والجهاد والعبادات جميعًا، سواء أكان برًّا أو فاجرًا، وسواء أكان مطيعًا أم عاصيًا، وسواء أكان كاملًا كالخلفاء الراشدين أم كان يخلط عملا صالحًا وآخر سيئًا كغيره، ولو كان فاسقًا ظالمًا، فقد كان النبي ﷺ يأخذ العهد على أصحابه بعدم المنازعة، كما في حديث عبادة: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وعسرنا ويسرنا، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا

(١) رواه البيهقي في مناقب الشافعي (١/ ٤٤٨).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٧).
(٣) الدرر السنية (٧/ ٢٣٩ ط. الأولى).

بواحًا عندكم فيه من الله برهان»[١].

ونصب إمام للمسلمين أمر لا يستغنى عنه بحال بل هو واجب عنه عامة المسلمين ولم يخالف في هذا إلا من عميت بصيرتهم من بعض الخوارج والمعتزلة[٢]. قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة والخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة التي أتى بها رسول الله ﷺ حاشا النجدات من الخوارج فإنهم قالوا: لا يلزم الناس فرض الإمامة، وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم. اهـ[٣]

ووجوب نصب الإمام دل عليه الشرع قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]، وإن كان في المراد بولي الأمر خلاف إلا أن الراجح أنهم من يلي أمر المسلمين في الولاية من الأمراء وفي العلم من العلماء، كما ذكره ابن عباس وأبو هريرة وغيرهما من السلف وهو منصوص الإمام أحمد وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وغيرهم.

والأدلة من السنة من الكثرة بمكان في وجوب السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين، كما قال عمر بن الخطاب: إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة ولا إمارة إلا بطاعة. رواه الدارمي[٤].

وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: **«من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة**

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) انظر: الأحكام السلطانية للماوردى (ص:٥)، ولأبى يعلى بن الفراء (ص:١٩)، والسياسة الشرعية لابن تيمية (ص:١٦١)، ومقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٥).

(٣) الفصل في الملل (٤/ ٨٧).

(٤) رواه الدارمي في السنن (٢٥٧).

جاهلية»[١]، فلا يمكن أن يتصور انضباط الناس دون إمام يسوسهم. وخلو أي مجتمع من إمام يدير شؤونهم لدرء انتشار الفوضى والتعدي على الأعراض والأنفس والأموال في ذلك المجتمع. وكذا تفاقم الفتن. قال الإمام أحمد في رسالة محمد بن عوف الطائي: والفتنة إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس[٢]، وعن الإمام أحمد في رواية عبدوس العطار قال أحمد: والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين: البر والفاجر ممن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، وفي موضع آخر قال: ومن خرج على إمام من الأئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة، بأي وجه كان بالرضا والغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين[٣].

وفي هذا أيضًا تقرير لمذهب أهل السنة والجماعة: أن السمع والطاعة واجبة للإمام الشرعي سواء كان برًا أو فاسقًا، وطاعته إنما هي في المعروف، وفي غير معصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، فتجب الطاعة له ولو كان فاجرًا، أي: ولو كان مرتكبًا لكبيرة، كان ظالمًا يضرب هذا ويفعل مع هذا بعض الأفاعيل، هذه الأمور التي هي من قبيل الظلم والفسق والفجور لا ترفع طاعة هذا الإمام عند أهل السنة والجماعة، بل توجبها، وهذا قد دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ، ولهذا قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: **«تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»**[٤]. ولقوله ﷺ: **«ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئًا من معصية فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزعن يدًا من طاعة»**[٥]. رواه مسلم، وعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بايعنا رسول الله

---

(١) رواه مسلم (١٨٥١)، ونحوه في الصحيحين عن ابن عباس وعن أبي هريرة.

(٢) السنة للخلال وذكرها أبو يعلى بن الفراء في الأحكام السلطانية (ص:١٩).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٤).

(٤) رواه مسلم (١٨٤٧) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) رواه مسلم (١٨٥٥) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان. متفق عليه[1]. وقال ﷺ: **«يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»** قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: **«لا ما صلوا لا ما صلوا»**. أي: من كره بقلبه وأنكر بقلبه. رواه مسلم[2].

ومن فوائد الحديثين أن ترك الصلاة كفر بواح؛ لأن النبي ﷺ لم يجز الخروج على الأئمة إلا بكفر بواح، وجعل المانع من قتالهم فعل الصلاة، فدل على أن تركها مبيح لقتالهم، وقتالهم لا يباح إلا بكفر بواحٍ كما في حديث عبادة المتقدم.

وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ أنه لما قيل له: أفلا نقاتلهم؟ قال: **«لا، ما صلوا»**، فدل هذا على أن الإمام تجب له السمع والطاعة، ولا يجوز الخروج عليه إلا أن يترك الصلاة، أو يأمر بترك الصلاة، أو أن يأتي بكفر بواح ظاهر عندنا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيه برهان، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى.

ومن ثَمَّ فإن الحج والجهاد عند أهل السنة والجماعة ماضيان مع الإمام، سواء تولى الإمامة باختيار المسلمين له، أو باستخلاف من قبله، أو إذا تسلط بالقوة، وحكم بين الأمة بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ فالسمع والطاعة واجبة له، ففي هذه الحالات الثلاث يجب له السمع والطاعة.

وكذلك يجب الحج معه، فإذا قاد حجيج المسلمين فيجب الحج معه، وقد كان الخلفاء من قديم الزمان يقودون الحج، أو يرسلون من ينوب عنهم في قيادة الحج، وهذا كان موجودًا في زمن الدولة الأموية والعباسية، والمؤرخون في الحوليات إذا وصلوا إلى

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) رواه مسلم (١٨٥٤) عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

شهر الحج قالوا: وحج بالناس فلان، فيذكرون من حج بالناس، سواء كان الخليفة أو من ولاه أو غير ذلك. فهذا الحجاج بن يوسف على فسقه كان أمير الحج وكان السلف يحجون معه كابن عمر وغيره، وكذا كان مروان يحج بالناس ومعه أبو هريرة وأبو سعيد وغيرهم.

وكذلك الجهاد في سبيل الله، ولهذا قال علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه: لابد لهذه الأمة من إمامة برة أو فاجرة. قالوا: يا أمير المؤمنين! قد عرفنا البرة فما الفاجرة؟ قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه: الفاجرة حتى تحمي البيضة، وتقيم الحق، وتقيم الحدود.

فالجهاد لا بد منه حتى مع الفاجر، فما دام مجاهدًا للكفار وللمشركين فيجب أن يكون المؤمنون معه مطيعين مجاهدين في سبيل الله، وكل هذه الأمور ما دام لم ينقض ذلك بكفر بواح ظاهرٍ، عندنا فيه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ برهان الصلاة، وقد كان أبو أيوب الأنصاري وغيره يغزون مع يزيد بن معاوية الروم حتى مات على سور القسطنطينية فدفن هناك. قال ابن قدامة في (لمعة الاعتقاد): ونرى الحج والجهاد ماضيًا مع طاعة كل إمام، برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة. قال أنس: قال النبي ﷺ: «**ثلاثة من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله عَزَّوَجَلَّ حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار**»، رواه أبو داود[١]. اهـ[٢]، وقال الشيخ الحافظ أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله تعالى في بيان اعتقاد أهل السنة: ويرون الصلاة -الجمعة وغيرها- خلف كل إمام مسلم برًا كان أو فاجرًا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ فرض الجمعة وأمر بإتيانها فرضًا مطلقًا، مع علمه تعالى بأن القائمين يكون منهم الفاجر والفاسق، فلم يستثن وقتًا دون

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٣٢) وأبو عبيد القاسم بن سلام في الإيمان (ص:٤٧)، وسنده ضعيف لجهالة يزيد بن أبي نشبة.

(٢) انظر: اللمعة وشرحها، لابن عثيمين (ص:١٤٨).

وقت، ولا أمرًا بالنداء للجمعة دون أمر. ويرون جهاد الكافر معهم وإن كانوا جورة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل. ولا يرون الخروج بالسيف عليهم ولا القتال في الفتنة. ويرون قتال الفئة الباغية مع الإمام العدل إذا كان ووجد على شرطهم في ذلك. ويرون الدار دار إسلام لا دار كفر كما رأتها المعتزلة، ما دام النداء بالصلاة والإقامة ظاهرين وأهلها ممكنين منها آمنين. اهـ

فهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة ومنه أنهم يأمرون بالصلاة مع أئمة المسلمين ولو كانوا ظلمة أو مبتدعين، كما روى مسلم قال النبي ﷺ لأبي ذر: «**كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟**»، قال: فما تأمرني يا رسول الله؟ قال: «**صل الصلاة لوقتها ثم إن أقيمت الصلاة فصل معهم، فإنها لك زيادة خير**»، أو قال: «**فإنها لك نافلة**»[1]، وفي رواية له قال: «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبدًا مجدع الأطراف، وأن أصلي الصلاة لوقتها، فإن أدركت القوم وقد صلوا كنت قد أحرزت صلاتك، وإلا كانت لك نافلة»[2]، وله عن أبي العالية البراء، قال: أخر ابن زياد الصلاة، فجاءني عبد الله بن الصامت، فألقيت له كرسيا، فجلس عليه، فذكرت له صنيع ابن زياد، فعض على شفته، وضرب فخذي، وقال: إني سألت أبا ذر كما سألتني، فضرب فخذي كما ضربت فخذك، وقال: إني سألت رسول الله ﷺ كما سألتني، فضرب فخذي كما ضربت فخذك، وقال: «**صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتك الصلاة معهم فصل، ولا تقل إني قد صليت فلا أصلي**»[3] ولمسلم عن ابن مسعود موقوفًا: إنه ستكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن ميقاتها، ويخنقونها إلى شرق الموتى، فإذا رأيتموهم قد فعلوا

---

(١) رواه مسلم (٦٤٨).

(٢) رواه مسلم (٦٤٨).

(٣) رواه مسلم (٦٤٨).

ذلك، فصلوا الصلاة لميقاتها، واجعلوا صلاتكم معهم سبحة»[١]، ولأبي داود عن قبيصة بن وقاص عن النبي ﷺ قال: «**يكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة، فهي لكم وهي عليهم، فصلوا معهم ما صلوا القبلة**»[٢]، وصلى ابن عمر وغيره خلف المختار بن أبي عبيد وكان متهمًا بالزندقة والإلحاد ويدعي أنه يوحى إليه، وكان داعية ضلالة، وكذلك كان الوليد بن عقبة بن أبي معيط واليًا على الكوفة، وكان متهمًا بشرب الخمر، فتقدم مرة ليصلي بهم صلاة الفجر وهو سكران فصلى بهم أربعًا، فلما سلم قال: أزيدكم؟ فقال ابن مسعود: ما زلنا معك منذ اليوم في زيادة. فصلى خلفه ابن مسعود وهو عالم الصحابة الذي أرسله عمر إلى الكوفة ليفتي الناس ويعلمهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم لما ثبت ذلك عنه أمر عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجلده، فجلده عبد الله بن جعفر بأمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أربعين جلدة. وكذلك الحجاج بن يوسف والي العراق من قبل بني أمية اشتهر عنه نوع من المعاصي، وأكثرها الصلف والشدة والسجن للأبرياء، وكان سريع القتل فيقتل بالتهمة ويحبس في مكان ضيق. فاشتهر عنه هذا النوع من الظلم، ومع ذلك فإن الصحابة الذين في العراق كانوا يصلون خلفه، ولما حج بالناس في حياة ابن عمر كان ابن عمر يصلي خلفه حتى في عرفة، وكان هو الذي يتولى الخطبة والصلاة، فكان الصحابة يصلون خلفه. وذلك دليل على أنهم فهموا أن الصلاة خلفهم فيها جمع الكلمة، وأنها لا تعتبر باطلة، وقد ورد عن النبي ﷺ قال: «**يصلون لكم، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساءوا فلكم وعليهم**»[٣]، والأحاديث كثيرة في الأمر بالصلاة خلف الأمراء ولو كانوا عصاة أو نحوهم وأن الخروج على الإمام محرم، لقول عبادة بن

---

(١) رواه مسلم (٥٣٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤) وابن سعد في الطبقات (٧/ ٥٥-٥٦)، والبخاري في التاريخ الكبير (٧/ ١٣٧)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٣٤٣)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٩٥٩)، وفي الأوسط (٢٦٢٣)، وابن عبد البر في التمهيد (٨/ ٦٥-٦٦).

(٣) رواه البخاري (٦٩٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان. متفق عليه[١]، وقال ﷺ: «**يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا ما صلوا لا ما صلوا**»، أي: من كره بقلبه وأنكر بقلبه. رواه مسلم[٢]، ولمسلم عن عوف بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»، قال: قلنا يا رسول الله: أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «**لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليكم منهم فرآه يأتي شيئا من معصية الله عَزَّوَجَلَّ، فلينكر ما يأتي به من معصية الله، ولا تنزعن يدا من طاعة الله عَزَّوَجَلَّ**»[٣].

فيرى أهـل السنة وأهل الحديث الصلاة -جمعة كانت أو غيرها- خلف كل إمام مسلم برًا كان أو فاجرًا إذا كان الفجور لا يوصل إلى الكفر، فإن الله تعالى أمر بالجمعة وفرضها وأمر بإتيانها: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩]، والله تعالى عالم بأن القائمين عليها قد يكون منهم فاجر وفاسق، وعالم بأنه قد يتولاها غير تقي كما وقع ذلك، فلذلك فرض الإتيان إليها في قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، ولم يستثن الله وقتًا دون وقت، ولم يقل: إلا إذا كان المقيمون لها عصاة أو فجارًا، بل أطلق ذلك، ولا أمرًا بالنداء للجمعة بأمر وحال دون أمر، فالنداء للجمعة عام: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، ولو كان الذين يقيمونها عصاة أو فجارًا.

---

(١) رواه البخاري (٧٠٥٥، ٧٠٥٦)، ومسلم (١٧٠٩).

(٢) رواه مسلم (١٨٥٤) من حديث أم سلمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(٣) رواه مسلم (١٨٥٥).

والحكمة في ذلك جمع الكلمة، وذلك لأننا إذا عصيناهم فلابد أن يحصل ظلم وعسف وجبروت، ونحو ذلك، وقد حكى ابن قاسم النجدي إجماع السلف على الصلاة خلف أئمة الجور، فقال في حاشية الروض المربع: وأجمعوا عليه هم وتابعوهم؛ لأن أئمة الصلاة في تلك الأعصار في كل بلدة هم الأمراء، ولا يخفى حالهم، وأخرج البخاري في تاريخه عن عبد الكريم أنه قال: أدركت عشرة من أصحاب النبي ﷺ يصلون خلف أئمة الجور(١). اهـ

قال إبراهيم النخعي: كانوا يصلون خلف الأمراء ما كانوا(٢).

فرع في كيفية الإنكار على السلطان:

ذكر العلماء أن الواجب في الإنكار على السلطان أن يكون برفق وخفية لما صح عن عياض بن غنم أن رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قَبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له»**(٣).

قال العلامة شمس الدين ابن مفلح في (الآداب الشرعية): ولا ينكر أحد على سلطان إلا وعظًا له وتخويفًا وتحذيرًا من العاقبة في الدنيا والآخرة، فإنه يجب، ويحرم بغير ذلك، ذكره القاضي وغيره، والمراد: ولم يخف منه، بالتخويف والتحذير، وإلا سقط، وكان حكم ذلك كغيره، قال حنبل: اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم وفشا -يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك- ولا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكار

(١) حاشية الروض (٢/ ٣٠٧).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧٨).

(٣) أخرجه أحمد (٢٤/ ٥٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٢٢)، والحاكم (٣/ ٢٩٠).

بقلوبكم ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر، وقال: ليس هذا صوابًا، هذا خلاف الآثار، وقال المروذي: سمعت أبا عبد الله يأمر بكف الدماء وينكر الخروج إنكارًا شديدًا، وقال في رواية إسماعيل بن سعيد: الكفّ لأنا نجد عن النبي ﷺ: «ما صلوا فلا»، خلافًا للمتكلمين في جواز قتالهم كالبغاة، قال القاضي: والفرق بينهما من جهة الظاهر والمعنى، أما الظاهر فإن الله تعالى أمر بقتال البغاة بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ [الحجرات:٩]، وفي مسألتنا أمر بالكف عن الأئمة بالأخبار المذكورة، وأما المعنى فإن الخوارج يقاتلون بالإمام، وفي مسألتنا يحصل قتالهم بغير إمام، فلم يجز كما لم يجز الجهاد بغير إمام. انتهى كلامه.

وقال عبد الله بن المبارك:

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا

كم يدفع الله بالسلطان معضلة ... في ديننا رحمة منه ودنيانا

لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهبًا لأقوانا

وقال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنه: «يا بني احفظ عني ما أوصيك به، إمام عدل خير من مطر وبل، وأسد حطوم خير من إمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم».

قال ابن الجوزي: من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلطان التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو يا ظالم يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء، قال: والذي أراد المنع من ذلك، لأن المقصود إزالة المنكر وحمل السلطان بالانبساط

عليه، على فعل المنكر أكثر من فعل المنكر الذي قُصد إزالته، قال الإمام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يتعرض للسلطان فإنه سيفه مسلول وعصاه، فأما ما جرى للسلف من التعرض لأمرائهم فإنهم كانوا يهابون العلماء فإذا انبسطوا عليهم احتملوهم في الأغلب، ولأحمد من حديث عطية السعدي: «إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان»[1]. اهـ[2]

(١) أخرجه أحمد (١٧٩٨٤) بسند ضعيف.

(٢) الآداب الشرعية (١/ ١٧٥).

(٢٧)

المسلمون مؤمنون في أحكام الدنيا، وحكم الجزم والاستثناء في الإيمان

والناس مؤمنون في أحكامِهم ومواريثهم ولا ندري ما هم عند الله عَزَّوَجَلَّ فمن قال: إنه مؤمن حقًا فهو مبتدع، ومن قال: هو مؤمن عند الله فهو من الكاذبين، ومن قال: هو مؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ حقًا فهو مصيب.

(و) مما أدركوا عليه العلماء في الأمصار مجمعين أنّ (الناس) من المسلمين (مؤمنونَ في أحكامِهم ومواريثهم) على ظاهر حالهم، بغض النظر عن صلاحهم وفسقهم، (ولا ندري ما هم عند الله عَزَّوَجَلَّ)، لأن لنا الحكم في الظاهر والله يتولى السرائر، كما تعامل النبي ﷺ مع من أظهر الإيمان ولو كان منافقًا في الباطن، وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل المشهور قال: قام النبي ﷺ يصلي فقال: «**أين مالك بن الدخشم؟**» فقال رجل: ذلك منافق لا يحب الله ولا رسوله، فقال النبي ﷺ: «**لا تقل ذلك ألا تراه قد قال: لا إله إلا الله يريد بذلك وجه الله! وإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**». متفق عليه[1].

(**فمن قال: إنه مؤمن حقًا فهو مبتدع**) فإن هذا قول المرجئة المحدثُ حيث يجزمون بالإيمان قطعًا لأن الإيمان عندهم هو مجرد التصديق، (**ومن قال: هو مؤمن عند الله فهو من**

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٩، ٥٠)، ومسلم (٢٦٣).

الكاذبين)؛ لأن علم ذلك لا يعلمه إلا الله، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]، (ومن قال: هو مؤمن) أي مصدقٌ (بالله عَزَّوَجَلَّ حقًا فهو مصيب)، لأن التصديق معلوم ويكفى في ثبوته عدم الشك والريب، وأما الإيمان فهو أوسع من ذلك لأنهم يتضمن التصديق والقول والعمل، وهذه لا يمكن للعبد الجزم بها من حيث تحقيقها على الوجه المطلوب، قال الحافظ أبو حاتم الرازي: ونقول: إنا مؤمنون بالله عَزَّوَجَلَّ، وكره سفيان الثوري أن يقول: أنا مؤمن حقًا عند الله ومستكمل الإيمان، وكذلك قول الأوزاعي أيضا. اهـ(١)

قال الحافظ عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب (السنة)(٢): حدثني أبي: نا وكيع قال: قال سفيان الثوري: الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، ونرجو أن يكونوا كذلك، ولا ندري ما حالنا عند الله عَزَّوَجَلَّ. حدثني أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نا عبدالله بن نمير قال: سمعت سفيان -وذكر المرجئة- فقال: رأي محدث أدركنا الناس على غيره. حدثني أبي: نا عبد الصمد بن حسان: أنا سفيان الثوري عن يزيد يعني ابن أبي زياد عن مجاهد قال: الإيمان يزيد وينقص والإيمان قول وعمل. حدثني أبي: نا أبو سلمة الخزاعي قال: قال مالكٌ وشريكٌ وأبو بكر بن عياش وعبدالعزيز بن أبي سلمة وحماد بن سلمة وحماد بن زيد: الإيمان المعرفة والإقرار والعمل، إلا أن حماد بن زيد كان يفرق بين الإيمان والإسلام ويجعل الإسلام عامًا والإيمان خاصًا.

وقال عبد الله بن أحمد: حدثنا أبي نا عبدالله بن نمير عن جعفر الأحمر قال: قال منصور بن المعتمر في شيء: لا أقول كما قالت المرجئة الضالة المبتدعة. حدثني أبي: نا حجاج سمعت شريكًا وذكر المرجئة فقال: هم أخبث قوم وحسبك بالرافضة خبثا ولكن

---

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة.

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٣١٠).

المرجئة يكذبون على الله تعالى. حدثني أبي نا مؤمل نا سفيان نا سعيد بن صالح قال: قال إبراهيم: لأنا لفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة. حدثني أبي نا مؤمل سمعت سفيان يقول قال إبراهيم تركت المرجئة الدين أرق من ثوب سابري. اهـ

(٢٨)

التحذير من فرق طوائف أهل البدع

والمرجئة المبتدعة ضلال، والقدرية المبتدعة ضلال[١]، فمن أنكر منهم أن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما يكون قبل أن يكون فهو كافر، وأن الجهمية كفار، وأن الرافضة رفضوا الإسلام، والخوارج مرّاق.

من منهج أهل السنة والجماعة التحذير من طوائف أهل البدع المضلة، كما سيأتي في آخر هذا الاعتقاد التنبيه على ذلك إن شاء الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن البدع إنما يظهر منها أولًا فأولًا الأخف فالأخف، كما حدث في آخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج والشيعة، ثم في آخر عصر الصحابة بدعة المرجئة والقدرية، ثم في آخر عصر التابعين بدعة الجهمية معطلة الصفات، وأما هؤلاء المباحية المسقطون للأمر والنهي محتجين على ذلك بالقدر فهم شر من جميع هذه الطوائف وإنما حدثوا بعد هؤلاء كلهم. اهـ[٢]

وقال أيضًا: وكان ظهور البدع والنفاق بحسب البعد عن السنة والإيمان، وكلما كانت البدعة أشد تأخر ظهورها، وكلما كانت أخف كانت إلى الحدوث أقرب، فلهذا حدث أولًا بدعة الخوارج والشيعة ثم بدعة القدرية والمرجئة، وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية، حتى قال ابن المبارك ويوسف بن أسباط وطائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم: إن الجهمية ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة بل هم زنادقة، وهذا مع أن كثيرًا من

---

(١) في نسخة (والمرجئة مبتدعة ضلال، والقدرية مبتدعة ضلال).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٤٥٨).

بدعهم دخل فيها قوم ليسوا بزنادقة، بل قبلوا كلام الزنادقة جهلًا وخطأ. اهـ(١)

وظهور البدع له أسباب من أشدها ضعف العلم وقلة أهله، وكثرة الشبهات وأئمة الضلالة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: مبدأ البدع هو الطعن في السنة بالظن والهوى كما طعن إبليس في أمر ربه برأيه وهواه(٢). اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات في هذا القدر وغيره، إنما وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «**من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**»(٣)، ومعلوم أنه إذا استقام ولاة الأمور الذين يحكمون في النفوس والأموال، استقام عامة الناس، كما قال أبو بكر الصديق فيما رواه البخاري في صحيحه للمرأة الأحمسية لما سألته فقالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح؟ قال: ما استقامت لكم أئمتكم(٤)، وفي الأثر: صنفان إذا صلحوا صلح الناس: العلماء والأمراء، أهل الكتاب وأهل الحديد كما دل عليه قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ الآية، وهم أولو الأمر في قوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]، وكذلك من جهتهم يقع الفساد كما جاء في الحديث مرفوعًا وعن جماعة من الصحابة: «**إن أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون**»(٥)، فالأئمة المضلون هم الأمراء، والعالم

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص:١٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٠).

(٣) تقدّم.

(٤) أخرجه البخاري (٣٨٣٤)، وفيه: قالت: وما الأئمة؟ قال: أما كان لقومك رؤوس وأشراف، يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلىٰ، قال: فهم أولئك علىٰ الناس.

(٥) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢٢٢٠)، والبيهقي في القدر (٤٢٢) بسند ضعيف عن أبي الدرداء مرفوعًا: «أخاف علىٰ أمتي ثلاثًا: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، والتكذيب بالقدر» وصح عن عمر بن الخطاب

والمجادل هم العلماء لكن أحدهما: صحيح الاعتقاد يزل وهو العالم، كما يقع من أئمة الفقهاء أهل السنة والجماعة.

والثاني: كالمتفلسفة والمتكلمين الذين يجادلون بشبهات القرآن مع أنهم في الحقيقة منسلخون من آيات الله وإنما احتجاجهم به دفعًا للخصم لا اهتداء به واعتمادا عليه؛ ولهذا قال: «جدال منافق بالقرآن» فإن السنة والإجماع تدفع شبهته، والدين القائم بالقلب من الإيمان علمًا وحالًا هو الأصل، والأعمال الظاهرة هي الفروع وهي كمال الإيمان، فالدين أول ما يبنى من أصوله ويكمل بفروعه. فأصوله تمد فروعه وتثبتها، وفروعه تكمل أصوله وتحفظها فإذا وقع فيه نقص ظاهر فإنما يقع ابتداء من جهة فروعه؛ ولهذا قال ﷺ: «**أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة**»[1]، وروي عنه أنه قال: «أول ما يرفع الحكم بالأمانة»، والحكم هو عمل الأمراء وولاة الأمور كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء:٥٨]، وأما الصلاة فهي أول فرض وهي من أصول الدين والإيمان مقرونة بالشهادتين فلا تذهب إلا في الآخر كما قال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء**»[2]، فأخبر أن عوده كبدئه.

فلما ذهبت دولة الخلفاء الراشدين وصار ملكًا ظهر النقص في الأمراء فلابد أن يظهر أيضًا في أهل العلم والدين، فحدث في آخر خلافة علي بدعتا الخوارج والرافضة إذ هي متعلقة بالإمامة والخلافة وتوابع ذلك من الأعمال والأحكام الشرعية. وكان

= موقوفًا عليه قال: يهدم الإسلام زلة العالم وجدال المنافق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين. انظر مسند الفاروق لابن كثير (٢/ ٥٣٦)، وصححه الألباني في تخريج المشكاة (٢٥٩).

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص:٢٨)، والضياء المقدسي في المختارة الصحيحة (١/ ٤٩٥) من حديث شداد بن أوس، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٣٩).

(٢) تقدّم.

ملك معاوية ملكًا ورحمة فلما ذهب معاوية رحمة الله عليه وجاءت إمارة يزيد وجرت فيها فتنة قتل الحسين بالعراق وفتنة أهل الحرة بالمدينة وحصروا مكة لما قام عبد الله بن الزبير، ثم مات يزيد وتفرقت الأمة -ابن الزبير بالحجاز وبنو الحكم بالشام، ووثب المختار بن أبي عبيد وغيره بالعراق، وذلك في أواخر عصر الصحابة وقد بقي فيهم مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وغيرهم- **حدثت بدعة القدرية والمرجئة فردها بقايا الصحابة كابن عباس وابن عمر وجابر وواثلة بن الأسقع وغيرهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُم مع ما كانوا يردونه هم وغيرهم من بدعة الخوارج والروافض.**

وعامة ما كانت القدرية إذ ذاك يتكلمون فيه: أعمال العباد، كما يتكلم فيها المرجئة، فصار كلامهم في الطاعة والمعصية والمؤمن والفاسق ونحو ذلك من مسائل الأسماء والأحكام، والوعد والوعيد، ولم يتكلموا بعد في ربهم ولا في صفاته إلا في أواخر عصر صغار التابعين من حين أواخر الدولة الأموية، حين شرع القرن الثالث -تابعو التابعين- ينقرض أكثرهم، فإن الاعتبار في القرون الثلاثة بجمهور أهل القرن وهم وسطه، وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفر قليل وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعي التابعين انقرضوا في أواخر الدولة الأموية؛ وأوائل الدولة العباسية - وصار في ولاة الأمور كثير من الأعاجم وخرج كثير من الأمر عن ولاية العرب وعُرِّبت بعض الكتب العجمية من كتب الفرس والهند والروم وظهر ما قاله النبي ﷺ: **«ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل ولا يستشهد ويحلف ولا يستحلف»**[1]، حدث

---

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥، ٢٣٠٣) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال: حسن صحيح وهو كما قاله.

ثلاثة أشياء: الرأي والكلام والتصوف، وحدث التجهم وهو نفي الصفات، وبإزائه التمثيل!

فكان جمهور الرأي من الكوفة؛ إذ هو غالب على أهلها مع ما كان فيهم من التشيع الفاحش وكثرة الكذب في الرواية، مع أن في خيار أهلها من العلم والصدق والسنة والفقه والعبادة أمر عظيم؛ لكن الغرض أن فيها نشأ كثرة الكذب في الرواية، وكثرة الآراء في الفقه، والتشيع في الأصول.

وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة! فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين بقليل، ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء؛ ومن اتبعهما من أهل الكلام والاعتزال، وظهر أحمد بن عطاء الهجيمي الذي صحب عبد الواحد بن زيد، وعبد الواحد صحب الحسن البصري ومن اتبعه من المتصوفة وبنى دويرة للصوفية؛ هي أول ما بني في الإسلام وكان عبد الرحمن بن مهدي وغيره يسمونهم الفَقْرية، وكانوا يجتمعون في دويرة لهم.

وصار لهؤلاء من الكلام المحدث طريق يتدينون به مع تمسكهم بغالب الدين، ولهؤلاء من التعبد المحدَث طريق يتمسكون به مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع، وصار لهؤلاء حال من السماع والصوت حتى إن أحدهم يموت أو يغشى عليه. ولهؤلاء حال في الكلام والحروف حتى خرجوا به إلى تفكير أوقعهم في تحير.

وهؤلاء أصل أمرهم الكلام، وهؤلاء أصل أمرهم الإرادة. وهؤلاء يقصدون بالكلام التوحيد؛ ويسمون نفوسهم الموحدين! وهؤلاء يقصدون بالإرادة: التوحيد ويسمون نفوسهم أهل التوحيد والتجريد.

وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء وهؤلاء في القول والعمل، إذ لم ينحرفوا انحراف الطائفتين من الكوفيين والبصريين، هوى ورواية ورأيًا وكلامًا وسماعًا، وإن كان في بعضهم نوع انحراف لكن هم أقرب.

وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين وأهل أعمال قلبية أقرب إلى الحال المشروع من صوفية البصريين إذ ذاك.

ولهذا تجد كتب الكلام والتصوف إنما خرجت في الأصل من البصرة! فمتكلمة المعتزلة أئمتهم بصريون، مثل أبي الهذيل العلاف وأبي علي الجبائي وابنه أبي هاشم وأبي عبد الله (الجعل) وأبي الحسين البصري، وكذلك متكلمة الكلابية والأشعرية، كعبد الله بن سعيد بن كلاب؛ وأبي الحسن الأشعري وصاحبه أبي الحسن الباهلي والقاضي أبي بكر بن الباقلاني وغيرهم.

وكذلك كتب المتصوفة ومن خلط التصوف بالحديث والكلام، ككتب الحارث بن أسد المحاسبي وأبي الحسن بن سالم وأبي سعيد الأعرابي وأبي طالب المكي. وقد شَرَك هؤلاء من البغداديين والخراسانيين والشاميين خلق، لكن الغرض أن الأصول من ثَمَّ.

كما أن علم النبوة من الإيمان والقرآن، وما يتبع ذلك من الفقه والحديث وأعمال القلوب إنما خرجت من الأمصار التي يسكنها جمهور أصحاب رسول الله ﷺ وهي الحرمان والعراقان والشام، المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وسائر الأمصار تبع، فالقراء السبعة من هذه الأمصار؛ وكذلك أئمة أهل الحديث وأثبتهم أهل المدينة وأهل البصرة كالزهري ومالك وكقتادة وشعبة ويحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي.

وأهل الكوفة فيهم الصادق والكاذب! وأهل الشام لم يكن فيهم كثير كاذب، ولا أئمة كبار في القراءة والحديث، وكذلك أئمة الفقهاء فمالك عالم أهل المدينة، والثوري وأبو حنيفة وغيرهما من أهل الكوفة، وابن جريج وغيره من أهل مكة، وحماد بن سلمة وحماد بن زيد من أهل البصرة، والأوزاعي وطبقته بالشام، وقد قيل: إن مالكًا إنما احتذى موطأه على كتاب حماد بن سلمة، وقيل: إن كتاب ابن جريج قبل ذلك.

ثم الشافعي -وإن كان أصله مكيًا- فإنه تفقه على طريقة أهل الحديث غير متقيد بمصره، وكذلك الإمام أحمد -وإن كان أجداده بصريين- فإنه تفقه على طريقة أهل الحديث غير متقيد بالبصريين ولا غيرهم، كما أن عبد الله بن المبارك وإسحاق بن إبراهيم ومحمد بن إسماعيل البخاري وغيرهم من الخراسانيين، وكذلك أئمة الزهاد والعباد من هذه الأمصار، كما ذكره أبو الفرج بن الجوزي في (صفوة الصفوة).

فالعلم المشروع والنسك المشروع مأخوذ عن أصحاب رسول الله ﷺ، وأما ما جاء عمن بعدهم فلا ينبغي أن يجعل أصلًا وإن كان صاحبه معذورًا بل مأجورًا لاجتهاد أو تقليد، فمن بنى الكلام في العلم -الأصول والفروع- على الكتاب والسنة والآثار المأثورة عن السابقين، فقد أصاب طريق النبوة، وكذلك من بنى الإرادة والعبادة والعمل والسماع المتعلق بأصول الأعمال وفروعها من الأحوال القلبية والأعمال البدنية على الإيمان والسنة والهدي الذي كان عليه محمد ﷺ وأصحابه، فقد أصاب طريق النبوة.

وهذه طريق أئمة الهدى تجد الإمام أحمد إذا ذكر أصول السنة قال: هي التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ. وكتب كتب التفسير المأثور عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وكتب الحديث والآثار المأثورة عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين، وعلى ذلك يعتمد في أصوله العلمية وفروعه حتى قال في رسالته إلى خليفة وقته المتوكل: لا أحب الكلام في شيء من ذلك إلا ما كان في كتاب الله أو في حديث عن رسول الله ﷺ، أو الصحابة أو التابعين فأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود.

وكذلك في الزهد والرقاق والأحوال، فإنه اعتمد في (كتاب الزهد) على المأثور عن الأنبياء صلوات الله عليهم من آدم إلى محمد، ثم على طريق الصحابة والتابعين، ولم يذكر من بعدهم.

وكذلك وصفه لآخذ العلم: أن يكتب ما جاء عن النبي ﷺ ثم عن الصحابة ثم عن التابعين، وفي رواية أخرى: ثم أنت في التابعين مخير. وله كلام في الكلامي، والرأي الفقهي وفي الكتب الصوفية والسماع الصوفي ليس هذا موضعهن يحتاج تحريره إلى تفصيل وتبيين كيفية استعماله في حال دون حال. اهـ المقصود[1]

كبرى الطوائف والفرق المبتدعة التي حذر منها السلف:

١- المرجئة:

(و) مما أدركوا عليه جماعة العلماء من أهل السنة والجماعة: أنَّ (المرجئةَ المبتدعةَ ضُلالٌ)، والمرجئة: هم الذين يقولون بإرجاء العمل عن الإيمان، أي تأخيره عنه، فليس العمل عندهم من الإيمان، والإيمان عند غلاتهم مجرد الإقرار بالقلب، وهو الذي جرى عليه الأشعري والماتريدي وأكثر أتباعهم، وهو مذهب الجهمية، وذهب مرجئة الفقهاء إلى أنه التصديق مع النطق، فالفاسق عند المرجئة مؤمن كامل الإيمان، وإن فعل ما فعل من المعاصي أو ترك ما ترك من الطاعات، وقالوا: إذا حكمنا بكفر من ترك بعض شرائع الدين فذلك لعدم الإقرار بقلبه لا لمجرد ترك هذا العمل.

قال عبد الله بن أحمد[2]: حدثني أبي قال حدثنا وكيع حدثني القاسم بن حبيب عن رجل يقال له نزار عن عكرمة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: صنفان من هذه الأمة ليس لهما في الإسلام نصيب: المرجئة والقدرية. حدثني أبي نا وكيع عن سفيان عن سلمة بن كهيل قال اجتمعنا في الجماجم أبو البختري وميسرة وأبو صالح وضحاك المشرقي وبكير الطائي فأجمعوا على أن الإرجاء بدعة والولاية بدعة والبراءة بدعة والشهادة بدعة. حدثني أبي نا عبد الصمد نا يزيد يعني ابن إبراهيم عن الليث يعني ابن أبي سليم

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٥٤-٣٦٥).
(٢) السنة (١/ ٣٢٥).

عن الحكم عن سعيد الطائي عن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: الولاية بدعة والإرجاء بدعة والشهادة بدعة. حدثني يعقوب بن إبراهيم الدورقي نا عبدالرحمن بن مهدي قال بلغني أن شعبة قال لشريك: كيف لا تجيز شهادة المرجئة؟ قال: كيف أجيز شهادة قوم يزعمون أن الصلاة ليست من الإيمان. حدثني سويد بن سعيد الهروي نا شريك عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبدالله قال: أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يزك فلا صلاة له. اهـ

٢- القدرية:

(و) مما أدركوا عليه جماعة العلماء كذلكَ: أنَّ (القدَريةَ المبتدعة) أي نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم (ضُلّال) والقدرية: هم الذين يقولون بنفي القدر عن أفعال العبد، وأن للعبد إرادة وقدرة مستقلتين عن إرادة الله وقدرته! وأول من أظهر القول به معبد الجهني في أواخر عصر الصحابة تلقاه عن رجل مجوسي في البصرة.

وهم فرقتان: غلاة وغير غلاة، فالغلاة ينكرون علم الله، وإرادته، وقدرته، وخلقه لأفعال العبد وهؤلاء انقرضوا أو كادوا. وغير الغلاة يؤمنون بأن الله عالم بأفعال العباد، لكن ينكرون وقوعها بإرادة الله، وقدرته، وخلقه، وهو الذي استقر عليه مذهبهم. (فمن أنكر منهم أن الله عَزَّوَجَلَّ يعلم ما يكون قبل أن يكون فهو كافرٌ)، لإنكاره صفة العلم لله، المنصوص عليها في القرآن والسنة، ومن أنكر معلومًا من الدين بالضرورة فهو كافرٌ، قال عبد الله بن أحمد في السنة[1]: حدثني الحسن بن عيسى مولى عبد الله بن المبارك حدثني حماد ابن قيراط قال: سمعت إبراهيم بن طهمان يقول الجهمية كفار والقدرية كفار. قال عبد الله: حدثني أبي نا عبد الله بن يزيد نا سعيد بن أبي أيوب نا عطاء بن دينار عن حكيم بن شريك

(١) السنة (١/ ٣٨٤-٣٨٦).

الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن ربيعة الجرشي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال أبي وقال أبو عبد الرحمن مرة أخرى: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم**»[1]. قال عبد الله: سمعت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ وسأله علي بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافرًا؟ قال: إذا جحد العلم، إذا قال إن الله عَزَّوَجَلَّ لم يكن عالمًا حتى خلق علمًا، فعلم، فجحد علم الله عَزَّوَجَلَّ فهو كافر. قال عبد الله: حدثت عن حوثرة بن أشرس قال: سمعت سلامًا أبا المنذر غير مرة وهو يقول سلوهم عن العلم! هل علم أو لم يعلم؟ فإن قالوا: قد علم، فليس في أيديهم شيء! وإن قالوا: لم يعلم فقد حلت دماؤهم. قال حوثرة: وحدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي قال: قيل لعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: إن غيلان يقول في القدر كذا وكذا! فمرَّ به، فقال: أخبرني عن العلم، فقال: سبحان الله! فقد علم الله كل نفس ما هي عاملة وإلى ما هي صائرة، فقال عمر بن عبد العزيز: والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربت عنقك، اذهب الآن فاجهد جهدك. قال عبد الله: وسمعت أبي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لا يصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية. قال عبد الله: سألت أبي مرة أخرى عن الصلاة خلف القدري فقال: إن كان ممن يخاصم فيه ويدعو إليه فلا نصلي خلفه. حدثني سوار أو حدثت عنه حدثني معاذ بن معاذ قال: صليت خلف رجل من بني سعد ثم بلغني أنه قدري فأعدت الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة. اهـ

فمن البدع المكفرة بدعة القدرية الذين ينكرون علم الله السابق والكتابة السابقة، ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف، وقد اتفق على تكفيرهم من تأخر موته من الصحابة كابن عمر وأنس وأبي سعيد وأبي هريرة وغيرهم، وسار أهل السنة على هذا الاتفاق؛ ولذلك قالوا: ناظروهم في العلم فإن أنكروه كفروا وإن أثبتوه خصموا، كما هو مشهور

---

(١) وأخرجه أيضًا أحمد في المسند (٢٠٦)، وأبو داود (٤٧١٠، ٤٧٢٠).

عن الشافعي وأحمد وغيرهم ممن قبلهم وبعدهم[١]، فإن الله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه، وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه، فإنما يعذبه لأنه لا يفعل مع القدرة، وقد علم الله ذلك منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال:٢٢-٢٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨] وفي تفسير ابن أبي حاتم عن عروة بن الزبير قال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ أي لأنفذ لهم قولهم الذي قالوا بألسنتهم، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم، وعن عبد الرحمن بن زيد قال: ولو أسمعهم بعد إذ يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن ينفذ علمهم بأنهم لا ينتفعون به[٢].

وأما من لا يستطيع لعجزه فإن الله لا يكلفه ولا يعذبه على ما لم يستطعه. لقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أحد الأركان الستة التي يدور عليها فلك الإيمان؛ كما دل عليه حديث جبريل وغيره، وكما دلت عليه الآيات الصريحة من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ. وأجمعت الفرقة الناجية من أهل السنة والجماعة على الإيمان بالقدر خيره وشره، والإيمان بالقدر على أربع مراتب وهي: العلم ثم الكتابة ثم المشيئة ثم الخلق، كما قدم في مبحثه من هذا الاعتقاد.

وقد ضل في القدر طائفتان: الطائفة الأولى: القدرية نفاة القدر، الذين هم مجوس هذه الأمة؛ كما ورد ذلك في بعض الأحاديث مرفوعًا وموقوفًا من حديث ابن عمر عن

---

(١) شرح الطحاوية (ص:٢٧١).

(٢) رواهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٨٩٤٤، ٨٩٤٥).

رسول الله ﷺ أنه قال: «**القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا؛ فلا تعودوهم، وإن ماتوا؛ فلا تشهدوهم**»[١]، وهؤلاء ضلوا بالتفريط وإنكار القدر، وزعموا أنه لا يمكن الجمع بين ما هو ثابت بالضرورة من اختيار العبد في فعله ومسؤوليته عنه، وبين ما دلت عليه النصوص من عموم خلقه تعالى ومشيئته؛ لأن ذلك العموم في زعمهم إبطال لمسؤولية العبد عن فعله، وهدم للتكاليف، فرجحوا جانب الأمر والنهي، وخصصوا النصوص الدالة على عموم الخلق والمشيئة بما عدا أفعال العباد، وأثبتوا أن العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، فأثبتوا خالقين غير الله، ولهذا سموا مجوس هذه الأمة؛ لأن المجوس يزعمون أن الشيطان يخلق الشر والأشياء المؤذية، فجعلوه خالقا مع الله، فكذلك هؤلاء جعلوا العباد خالقين مع الله.

والطائفة الثانية: يقال لها: الجبرية، وهؤلاء غلوا في إثبات القدر، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل حقيقة، بل هو في زعمهم لا حرية له، ولا اختيار، ولا فعل؛ كالريشة في مهب الرياح، وإنما تسند الأفعال إليه مجازا، فيقال: صلى، وصام، وقتل، وسرق؛ كما يقال: طلعت الشمس، وجرت الريح، ونزل المطر، فاتهموا ربهم بالظلم وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه، ومجازاتهم على ما ليس من فعلهم، واتهموه بالعبث في تكليف العباد، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي، ألا ساء ما يحكمون[٢].

٣- الجهمية:

(و) مما أدركوا عليه إجماع العلماء (**أن الجهمية كفار**) والجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي الذي قتله سلم بن أحوز سنة ١٢١هـ فإن بدعتهم من البدع المكفرة

---

(١) رواه أبو داود (١٢/ ٤٥٢-عون)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/ ٦٩٣)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه، كما في تخريج شرح الطحاوية (ص:٢٧٣)، وتخريج السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٤٩).

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص:١٢٩-١٣٠).

وقد صرح بكفرهم أكثر من خمسمائة عالمٍ من أهل السنة، وذكر بعض أهل السنة اتفاق أهل السنة على أن الجهمية كفار خارجون عن الثلاث وسبعين فرقة ولا أن يوصفوا بأنهم من أهل القبلة. ومذهبهم في الصفات التعطيل، والنفي، وفي القدر القول بالجبر، وفي الإيمان القول بالإرجاء وهو أن الإيمان مجرد الإقرار بالقلب وليس القول والعمل من الإيمان ففاعل الكبيرة عندهم مؤمن كامل الإيمان فهم معطلة، جبرية، مرجئة وهذه أكبر مقالاتهم. قال في (فتح المجيد)(١): وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الإسراء:١١٠]، والرحمن اسمه وصفته، دل هذا الاسم على أن الرحمة وصفه سبحانه، وهي من صفات الكمال؛ فإذا كان المشركون جحدوا اسما من أسمائه تعالى، وهو من الأسماء التي دلت على كماله سبحانه وبحمده، فجحود معنى هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك، فإن جهم بن صفوان ومن تبعه يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة بالله تعالى، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، فلهذا كفرهم كثيرون من أهل السنة، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصّلوه من عند أنفسهم فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام! فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسمًا! هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه، ثم عطلوه من

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص:٤٠٢) ط. الفقي.

صفات كماله، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات؛ فشبهوا أولًا، وعطلوا ثانيًا، وشبهوه ثالثًا بكل ناقص ومعدوم، فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها؛ فإنهم أثبتوا لله ما أثبته له رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه، فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتًا لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صفات كماله ونعوت جلاله، لا تشبه صفاته صفات خلقه؛ فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب والسنة من ذلك وتناقضوا! فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل ولله الحمد والمنة، وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين.

وقد صنف العلماء رحمهم الله تعالى في الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم في إبطال هذه البدع، وما فيها من التناقض والتهافت: كالإمام أحمد رحمه الله تعالى في رده المشهور، و(كتاب السنة) لابنه عبد الله، وصاحب (الحيدة) عبد العزيز الكناني في رده على بشر المريسي، و(رد عثمان بن سعيد على الكافر العنيد)، وهو بشر المريسي، و(كتاب التوحيد) لإمام الأئمة محمد بن خزيمة الشافعي، و(كتاب السنة) لأبي بكر الخلال، وأبي عثمان الصابوني الشافعي، وشيخ الإسلام الأنصاري، وأبي عمر بن عبد البر النمري، وخلق كثير من أصحاب الأئمة الأربعة وأتباعهم، وأهل الحديث، ومن متأخريهم: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة، وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم رحمهم الله تعالى. فلله الحمد والمنة على بقاء السنة وأهلها مع تفرق الأهواء وتشعب الآراء. والله أعلم. اهـ

٤- الرافضة:

(و) مما أدركوا عليه إجماع العلماء: (أن الرافضةَ رفضوا الإسلام)، وهم الذين يغلون في آل البيت ويُكَفِّرون من عداهم من الصحابة أو يفسقونهم، وهم فرق شتى فمنهم الغلاة الذين ادعوا أن عليًا إله ومنهم دون ذلك.

وكان بدأ أمرهم في آخر خلافة عثمان بن عفان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إذ ادّعوا محبة آل البيت وغلوا في ذلك وكفّروا كثيرًا من الصحابة. وأول ما ظهرت بدعتهم في خلافة علي بن أبي طالب حين قال له عبد الله بن سبأ: أنت الإله، فأمر علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بإحراقهم وهرب زعيمهم عبد الله بن سبأ إلى المدائن. وكان مذهبهم في الصفات مختلفًا، فمنهم المشبه ومنهم المعطل ومنهم المعتدل.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألت أبي: من الرافضة؟ قال: الذين يسبّون أو يشتمون أبا بكر وعمر[١].

أما إطلاق اسم الرافضة عليهم فقد جاء متأخرا إذ كانوا يلقبون بالخشبية وسبب تسميتهم بالرافضة أنهم طلبوا من زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أن يتبرأ من أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حتى يكونوا معه فأبى ذلك وقال: بل أتولاهما وأتبرأ ممن تبرأ منهما فرفضوه فسموا بذلك. وقيل: سموا بذلك لرفضهم إمامة الشيخين[٢]، والبعض منهم يحاول التمويه ويقول: سموا بذلك لرفضهم الباطل، والحق: أنهم رفضوا الحق وقبلوا الباطل. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام، وقصة زيد بن علي بن الحسين كانت بعد العشرين ومائة، سنة إحدى وعشرين، أو اثنتين وعشرين ومائة في أواخر خلافة هشام. قال أبو حاتم

(١) السنة لعبد الله (١٢٧٣).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين للأشعرى (ص:١٦).

البستي: قتل زيد بن علي بن الحسين بالكوفة سنة اثنتين وعشرين ومائة، وصلب على خشبة، وكان من أفاضل أهل البيت، وعلمائهم، وكانت الشيعة تنتحله. قلت: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة، وزيدية، فإنه لما سئل عن أبي بكر، وعمر، فترحم عليهما رفضه قوم، فقال. لهم: رفضتموني، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديًا؛ لانتسابهم إليه، ولما صلب كانت العباد تأتي إلى خشبته بالليل، فيتعبدون عندها، فلم يكن لفظ الرافضة معروفًا إذ ذاك، ولكن كانوا يسمون بغير ذلك الاسم، كما كانوا يسمون الخشبية لقولهم: إنا لا نقاتل بالسيف إلا مع إمام معصوم، فقاتلوا بالخشب، ولهذا جاء في بعض الروايات عن الشعبي قال: ما رأيت أحمق من الخشبية. اهـ[1]

وسموا أنفسهم شيعة؛ لأنهم يزعمون أنهم يتشيعون لآل البيت وينتصرون لهم ويطالبون بحقهم في الإمامة، وقد كذبوا.

وهم فرق كثيرة على درجات متفاوتة تجمعهم أمور عدة في الخلافة والتفضيل.

أما مذاهبهم في أصول الدين فهم -في باب الصفات مثلا-: بعضهم مشبهة وبعضهم معطلة وفي القرآن يرون أنه مخلوق[2]، ولهم أكاذيب شنيعة في شأن القرآن الكريم الّذي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩]، فادعوا أن بعض الصحابة حرفوه وهذا بهتان عظيم كما أنهم عمدوا إلى بعض الآيات محاولين تسييرها وفق عقائدهم الباطلة، وهذا تحريف للقرآن الكريم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (منهاج السنة): وأما الرافضة، فأصل بدعتهم عن زندقة وإلحاد، وتعمد الكذب كثير فيهم، وهم يقرون بذلك حيث يقولون: ديننا التَّقِيَّة،

(١) منهاج السنة (١/ ٣٦).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (ص:٣١-٣٥،٤٠) والملل والنحل للشهرستانى (١/ ٢٢٤).

وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف ما في قلبه، وهذا هو الكذب والنفاق، ويدّعون مع هذا أنهم هم المؤمنون دون غيرهم من أهل الملة! ويصفون السابقين الأولين بالردة، والنفاق، فهم في ذلك، كما قيل: رمتني بدائها وانسلت، إذ ليس في المظهرين للإسلام أقرب إلى النفاق والردة منهم، ولا يوجد المرتدون، والمنافقون في طائفة أكثر مما يوجد فيهم، واعتبر ذلك بالغالية من النصيرية، وغيرهم، وبالملاحدة الإسماعيلية، وأمثالهم.

وعمدتهم في الشرعيات ما نقل لهم عن بعض أهل البيت، وذلك النقل منه ما هو صدق، ومنه ما هو كذب عمدًا، أو خطأً، وليسوا أهل معرفة بصحيح المنقول وضعيفه كأهل المعرفة بالحديث، ثم إذا صح النقل عن بعض هؤلاء، فإنهم بنوا وجوب قبول قول الواحد من هؤلاء على ثلاثة أصول: على أن الواحد من هؤلاء معصوم مثل عصمة الرسول، وعلى أن ما يقوله أحدهم فإنما يقول نقلا عن الرسول ﷺ، وأنهم قد علم منهم أنهم قالوا: مهما قلنا فإنما نقوله نقلا عن الرسول، ويدّعون العصمة في أهل النقل، والثالث: أن إجماع العترة حجة، ثم يدعون أن العترة هم الاثنا عشر، ويدعون أن ما نقل عن أحدهم، فقد أجمعوا كلهم عليه.

فهذه أصول الشرعيات عندهم، وهي أصول فاسدة، كما سنبين ذلك في موضعه، لا يعتمدون على القرآن، ولا على الحديث، ولا على إجماع إلا لكون المعصوم منهم، ولا على القياس، وإن كان، واضحًا جليًا.

وأما عمدتهم في النظر، والعقليات، فقد اعتمد متأخروهم على كتب المعتزلة، ووافقوهم في مسائل الصفات، والقدر، والمعتزلة في الجملة أعقل، وأصدق، وليس في المعتزلة من يطعن في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، بل هم متفقون على تثبيت خلافة الثلاثة. اهـ[1]

---

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٣٤-٣٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: ومذهب الرافضة شر من مذهب الخوارج المارقين ؛ فإن الخوارج غايتهم تكفير عثمان وعلي وشيعتهما. والرافضة تكفير أبي بكر وعمر وعثمان وجمهور السابقين الأولين وتجحد من سنة رسول الله ﷺ أعظم مما جحد به الخوارج وفيهم من الكذب والافتراء والغلو والإلحاد ما ليس في الخوارج وفيهم من معاونة الكفار على المسلمين ما ليس في الخوارج. والرافضة تحب التتار ودولتهم ؛ لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين. والرافضة هم معاونون للمشركين واليهود والنصارى على قتال المسلمين وهم كانوا من أعظم الأسباب في دخول التتار قبل إسلامهم إلى أرض المشرق بخراسان والعراق والشام وكانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذهم لبلاد الإسلام وقتل المسلمين وسبي حريمهم. وقضية ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة وقضيتهم في حلب مع صاحب حلب: مشهورة يعرفها عموم الناس. وكذلك في الحروب التي بين المسلمين وبين النصارى بسواحل الشام قد عرف أهل الخبرة أن الرافضة تكون مع النصارى على المسلمين وأنهم عاونوهم على أخذ البلاد لما جاء التتار وعز على الرافضة فتح عكة وغيرها من السواحل، وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصة عند الرافضة، وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيدا ومسرة عند الرافضة. اهـ[1]

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا: ومن أعظم خبث القلوب أن يكون في قلب العبد غل لخيار المؤمنين، وسادات أولياء الله بعد النبيين، ولهذا لم يجعل الله تعالى في الفيء نصيبًا لمن بعدهم إلا الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]. ولهذا كان بينهم وبين اليهود من المشابهة في الخبث، واتباع الهوى، وغير ذلك من أخلاق اليهود، وبينهم وبين

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٢٧-٥٢٨).

النصارى من المشابهة في الغلو، والجهل، وغير ذلك من أخلاق النصارى ما أشبهوا به هؤلاء من وجه، وهؤلاء من وجه، وما زال الناس يصفونهم بذلك.

ومن أخبر الناس بهم الشعبي[١] وأمثاله من علماء الكوفة، وقد ثبت عن الشعبي أنه قال: ما رأيت أحمق من الخشبية[٢]، لو كانوا من الطير لكانوا رخمًا[٣]، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرًا، والله لو طلبت منهم أن يملؤوا لي هذا البيت ذهبًا على أن أكذب على عليّ لأعطوني، ووالله ما أكذب عليه أبدًا، وقد روي هذا الكلام مبسوطًا عنه أكثر من هذا، لكن الأظهر أن المبسوط من كلام غيره. كما روى أبو حفص بن شاهين في كتاب (اللطيف في السنة): حدثنا محمد بن أبي القاسم بن هارون، حدثنا أحمد بن الوليد الواسطي، حدثني جعفر بن نصير الطوسي الواسطي، عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه قال: قال لي الشعبي: أحذركم هذه الأهواء المضلة، وشرها الرافضة لم يدخلوا في الإسلام رغبة، ولا رهبة، ولكن مقتًا لأهل الإسلام، وبغيا عليهم قد حرقهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار، ونفاهم إلى البلدان، منهم عبد الله بن سبأ: يهودي من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر، وآية ذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي، وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء، واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم، والحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«لا تزال أمتي على الفطرة ما لم**

---

(١) هو الإمام عامر بن شراحيل الشعبي أحد كبار التابعين.

(٢) هم الرافضة سموا بذلك لأنهم اتخذوا سيوفًا من خشب.

(٣) نوع من أحمق الطيور.

يؤخروا المغرب إلى اشتباك النجوم»[1]، واليهود تزول عن القبلة شيئًا، وكذلك الرافضة، واليهود تنود[2] في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة، واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن، واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة. واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم، والسام الموت، وكذلك الرافضة، واليهود لا يأكلون الجري، والمرماهى، والذناب[3]، وكذلك الرافضة، واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة. واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة، وقد أخبرنا الله عنهم بذلك في القرآن أنهم: **﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾** [آل عمران:٧٥]، وكذلك الرافضة، واليهود تسجد على قرونها[4] في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود لا تسجد حتى تخفق برءوسها مرارًا شبه الركوع، وكذلك الرافضة، واليهود تبغض جبريل، ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون: غلط جبريل بالوحي على محمد ﷺ، وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة، النصارى ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعًا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة.

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين: سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد ﷺ! أمروا بالاستغفار

---

(١) أخرجه الدارمي (١٢٤٦) عن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وله شواهد وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧٢٨٥)، والإرواء (٤/ ٣٣).

(٢) أي تتمايل في صلاتها.

(٣) أنواع من السمك.

(٤) أي على مكان منبت القرن من الجبين.

لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله.

قلت: هذا الكلام بعضه ثابت عن الشعبي كقوله: لو كانت الشيعة من البهائم لكانوا حمرًا، ولو كانت من الطير لكانوا رخمًا، فإن هذا ثابت عنه.

قال ابن شاهين: حدثنا محمد بن العباس النحوي، حدثنا إبراهيم الحربي، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا وكيع بن الجراح، حدثنا مالك بن مغول، فذكره، وأما السياق المذكور، فهو معروف عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول عن أبيه عن الشعبي.

ثم ذكر ما رواه أبو عاصم خشيش بن أصرم في (كتابه)، ورواه من طريقه أبو عمرو الطلمنكي في كتابه في (الأصول) من طريق عبد الرحمن بن مالك بن مغول، عن أبيه عن الشعبي نحوه وفيه: يا مالك لم يدخلوا في الإسلام رغبة فيه لله، ولا رهبة من الله، ولكن مقتًا من الله عليهم، وبغيًا منهم على أهل الإسلام يريدون أن يغمصوا دين الإسلام، كما غمص بولص بن يوشع ملك اليهود دين النصرانية، ولا تجاوز صلاتهم آذانهم، قد حرقهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنار، ونفاهم من البلاد، منهم عبد الله بن سبأ يهودي من يهود صنعاء نفاه إلى ساباط[1]، وأبو بكر الكروس نفاه إلى الجابية[2]، وحرق منهم قومًا أتوه، فقالوا: أنت هو، فقال: من أنا؟ فقالوا: أنت ربنا، فأمر بنار، فأججت، فألقوا فيها، وفيهم قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرا أججت ناري، ودعوت قنبرا[3]

(١) موضع.

(٢) موضع.

(٣) هو قنبر خادمه.

وفيه: ثم قال لي: يا مالك، وفضلتهم اليهود، والنصارى بخصلة. قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: حواري محمد، يعنون بذلك طلحة والزبير! أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم، فالسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، ودعوتهم مدحوضة، ورايتهم مهزومة، وأمرهم متشتت كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين.

وقد روى أبو القاسم الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في (شرح أصول السنة) نحو هذا الكلام عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول، فهذا الأثر قد روي عن عبد الرحمن بن مالك بن مغول من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضًا، وبعضها يزيد على بعض، لكن عبد الرحمن ابن مالك بن مغول ضعيف، وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى.

والظاهر أن هذا الكلام إنما هو نظم عبد الرحمن بن مالك بن مغول، وتأليفه، وقد سمع طرفا منه عن الشعبي، وسواء كان هو ألفه، أو نظمه لما رآه من أمور الشيعة في زمانه، ولما سمعه عنهم، أو لما سمع من أقوال أهل العلم فيهم، أو بعضه، أو مجموع الأمرين، أو بعضه لهذا، أو بعضه لهذا، فهذا الكلام معروف بالدليل لا يحتاج إلى نقل، وإسناد.

وقول القائل: إن الرافضة تفعل كذا، وكذا المراد به بعض الرافضة كقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]. ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة:٦٤] لم يقل ذلك كل يهودي، بل قاله بعضهم، وكذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ [آل عمران:١٧٣] المراد به جنس الناس، وإلا فمعلوم أن القائل لهم غير الجامع، وغير المخاطبين المجموع لهم.

وما ذكره موجود في الرافضة، وفيهم أضعاف ما ذكر.

إلى أن قال: وحماقاتهم يطول وصفها لا يحتاج إلى أن تنقل بإسناد... ومما ينبغي أن يعرف أن ما يوجد في جنس الشيعة من الأقوال، والأفعال المذمومة، وإن كان أضعاف ما ذكر لكن قد لا يكون هذا كله في الإمامية الاثني عشرية، ولا في الزيدية، ولكن يكون كثير منه في الغالية، وفي كثير من عوامهم مثل ما يذكر عنهم من تحريم لحم الجمل، وأن الطلاق يشترط فيه رضا المرأة، ونحو ذلك مما يقوله بعض عوامهم، وإن كان علماؤهم لا يقولون ذلك لكن لما كان أصل مذهبهم مستندا إلى جهل كانوا أكثر الطوائف كذبًا وجهلًا.

والرافضة في الأصل ليسوا أهل علم، وخبرة بطريق النظر، والمناظرة، ومعرفة الأدلة، وما يدخل فيها من المنع، والمعارضة، كما أنهم من أجهل الناس بمعرفة المنقولات، والأحاديث، والآثار، والتمييز بين صحيحها وضعيفها، وإنما عمدتهم في المنقولات على تواريخ منقطعة الإسناد، وكثير منها من وضع المعروفين بالكذب، بل وبالإلحاد، وعلماؤهم يعتمدون على نقل مثل أبي مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن محمد بن السائب، وأمثالهما من المعروفين بالكذب عند أهل العلم مع أن أمثال هؤلاء هم من أجل من يعتمدون عليه في النقل إذ كانوا يعتمدون على من هو في غاية الجهل، والافتراء ممن لا يذكر في الكتب، ولا يعرفه أهل العلم بالرجال.

وقد اتفق أهل العلم بالنقل، والرواية، والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب، قال: أبو حاتم الرازي: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: قال أشهب بن عبد العزيز سئل مالك عن الرافضة، فقال: لا تكلمهم، ولا ترو عنهم، فإنهم يكذبون، وقال أبو حاتم: حدثنا حرملة قال: سمعت الشافعي يقول: لم أر أحدًا أشهد بالزور من الرافضة، وقال مؤمل بن

إهاب: سمعت يزيد بن هارون يقول: يكتب عن كل صاحب بدعة إذا لم يكن داعية إلا الرافضة، فإنهم يكذبون، وقال محمد بن سعيد الأصبهاني: سمعت شَريكًا يقول: أحمل العلم عن كل من لقيت إلا الرافضة، فإنهم يضعون الحديث، ويتخذونه دينًا، وشريك هذا هو شَريك بن عبد الله القاضي، قاضي الكوفة، من أقران الثوري، وأبي حنيفة، وهو من الشيعة الذي يقول بلسانه: أنا من الشيعة[1]، وهذه شهادته فيهم، وقال أبو معاوية: سمعت الأعمش يقول: أدركت الناس، وما يسمونهم إلا الكذابين، يعني أصحاب المغيرة بن سعيد قال الأعمش: ولا عليكم ألا تذكروا هذا، فإني لا آمنهم أن يقولوا: إنا أصبنا الأعمش مع امرأة.

وهذه آثار ثابتة رواها أبو عبد الله بن بطة في (الإبانة الكبرى) هو وغيره، وروى أبو القاسم الطبري كلام الشافعي فيهم من وجهين من رواية الربيع قال: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت في أهل الأهواء قومًا أشهد بالزور من الرافضة، ورواه أيضًا من طريق حرملة، وزاد في ذلك: ما رأيت أشهد على الله بالزور من الرافضة، وهذا المعنى، وإن كان صحيحًا، فاللفظ الأول هو الثابت عن الشافعي، ولهذا ذكر الشافعي ما ذكره أبو حنيفة وأصحابه، أنه يرد شهادة من عرف بالكذب كالخطابية، ورد شهادة من عرف بالكذب متفق عليه بين الفقهاء، وتنازعوا في شهادة سائر أهل الأهواء هل تقبل مطلقًا؟ أو ترد مطلقًا؟ أو ترد شهادة الداعية إلى البدع؟ وهذا القول الثالث هو الغالب على أهل الحديث لا يرون الرواية عن الداعية إلى البدع، ولا شهادته، ولهذا لم يكن في كتبهم الأمهات كالصحاح، والسنن، والمسانيد الرواية عن المشهورين بالدعاء إلى البدع، وإن كان فيها الرواية عمن فيه نوع من بدعة كالخوارج، والشيعة، والمرجئة، والقدرية، وذلك لأنهم لم يدعوا الرواية عن هؤلاء للفسق كما يظنه بعضهم، ولكن من

---

(١) يعني الموالية لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أظهر بدعته وجب الإنكار عليه بخلاف من أخفاها، وكتمها، وإذا وجب الإنكار عليه كان من ذلك أن يهجر حتى ينتهي عن إظهار بدعته، ومن هجره أن لا يؤخذ عنه العلم، ولا يستشهد. اهـ[١]

وقال شيخ الإسلام أيضًا: وقد علم أنه بساحل الشام جبل كبير فيه ألوف من الرافضة يسفكون دماء الناس، ويأخذون أموالهم، وقتلوا خلقًا عظيمًا، وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون سنة غازان أخذوا الخيل والسلاح والأسارى، وباعوهم للكفار والنصارى بقبرص، وأخذوا من مر بهم من الجند، وكانوا أضر على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعض أمرائهم راية النصارى، وقالوا له: أيما خير: المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى، فقالوا له: مع من تحشر يوم القيامة؟، فقال: مع النصارى، وسلموا إليهم بعض بلاد المسلمين. ومع هذا فلما استشار بعض ولاة الأمر في غزوهم، وكتبت جوابا مبسوطًا في غزوهم... وذهبنا إلى ناحيتهم، وحضر عندي جماعة منهم، وجرت بيني وبينهم مناظرات ومفاوضات يطول وصفها، فلما فتح المسلمون بلدهم، وتمكن المسلمون منهم نهيتهم عن قتلهم، وعن سبيهم، وأنزلناهم في بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا. اهـ[٢]

فرع: في حكم الرافضة وأقوال العلماء فيهم:

قال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ: سئل أحمد عن الذي يشتم معاوية أيصلى خلفه؟ قال: لا يصلى خلفه ولا كرامة[٣]، وروى الخلال في السنة عن أبي بكر المروذي قال: سألت أبا عبد الله عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة قال: ما أراه على الإسلام، قال: وسمعت

(١) منهاج السنة النبوية (١/ ٢١-٦٣).
(٢) منهاج السنة (٣/ ٣٩).
(٣) مسائل ابن هانئ عن أحمد بن حنبل (١/ ٦٠).

أبا عبد الله يقول: قال مالك: الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس لهم سهم أو قال: نصيب في الإسلام. وعن عبد الملك بن عبد الحميد الميموني قال: سمعت أبا عبد الله قال: من شتم أخاف عليه الكفر مثل الروافض، ثم قال: من شتم أصحاب النبي ﷺ لا نأمن أن يكون قد مرق عن الدين. وذكر ابن الجوزي عن عبد الملك بن عبدالحميد الميموني: قال أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن إذا رأيت رجلًا يذكر أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام(١). وعن شاهين بن السميذع قال: سألت أبا عبد الله قلت: أصلي خلف الجهمي؟ قال: لا تصل خلف الجهمي، ولا خلف الرافضي(٢).

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي: حدثنا سعيد بن أبي سعيد أبو نصر الأرطائي قال: سمعت أحمد بن حنبل، وسئل عن الصلاة خلف المبتدعة فقال: أما الجهمية فلا، وأما الرافضة الذين يردون الحديث فلا(٣).

وقال أحمد في رسالته إلى مسدد بن مسرهد: وأما الرافضة: فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: إن علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر الصديق، وإن إسلام علي كان أقدم من إسلام أبي بكر، فمن زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر فقد رد الكتاب والسنة لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح:٢٩] فقدم الله أبا بكر بعد النبي ﷺ، وقال النبي ﷺ: **«لو كنت متخذًا لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن الله قد اتخذ صاحبكم خليلًا ولا نبي بعدي»**(٤).

فمن زعم أن إسلام علي أقدم من إسلام أبي بكر فقد كذب لأن أول من أسلم عبد الله بن عثمان بن عتيق بن أبي قحافة وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة وعلي ابن

---

(١) مناقب أحمد (ص:٢٠٩).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ١٧٢).

(٣) طبقات الحنابلة (١/ ١٦٨).

(٤) أخرجه البخاري (٤٦٧)، ومسلم (٥٣٢).

سبع سنين لم تجر عليه الأحكام والفرائض والحدود[١].

وفي (كتاب السنة) للإمام أحمد و(رسالة الإصطخري) عنه قال: والمنصورية -وهم رافضة- أخبث الروافض والسبئية -وهم رافضة- وصنف منهم يقولون: علي يبعث قبل يوم القيامة وهذا كذب وزور وبهتان. وأما الرافضة: فإنهم يسمون أهل السنة: ناصبة، وكذبت الرافضة بل هم أولى بهذا لانتصابهم لأصحاب رسول الله ﷺ بالسب والشتم، وقالوا فيهم بغير الحق! ونسبوهم إلى غير العدل! كفرًا وظلمًا وجرأةً على الله عَزَّوَجَلَّ واستخفافًا بحق الرسول ﷺ، وهم أولى بالتعيير والانتقام منهم، وهم فيما يزعمون ينتحلون حب آل محمد ﷺ! وكذبوا، بل هم المبغضون لآل محمد ﷺ دون الناس، إنما الشيعة لآل محمد المتقون أهل السنة والأثر، مَن كانوا وحيث كانوا، الذين يحبون آل محمد ﷺ وجميع أصحاب محمد ﷺ، ولا يذكرون أحدًا منهم بسوء ولا عيب ولا منقصة، فمن ذكر أحدًا من أصحاب محمد عَلَيْهِ السَّلَامُ بسوء أو طعن عليهم أو تبرأ من أحد منهم أو سبهم أو عرض بعيبهم فهو رافضي خبيث مخبث[٢].

وقال الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن يونس[٣]: لو أن يهوديًا ذبح شاة، وذبح رافضي لأكلت ذبيحة اليهودي، ولم آكل ذبيحة الرافضي، لأنه مرتد عن الإسلام[٤].

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعادَون[٥] ولا يناكحون ولا يشهدون

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٣٤٣).

(٢) انظر: السنة ضمن شذرات البلاتين (ص:٥١)، وطبقات الحنابلة (١/ ٣٢-٣٦).

(٣) قال عنه أحمد بن حنبل آمرًا أحد تلامذته: اخرج إلى أحمد بن يونس، فإنه شيخ الإسلام. ت سنة ٢٢٧هـ، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة. انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٢٩).

(٤) الصارم المسلول (ص:٥٧٠).

(٥) يعني إذا مرضوا.

ولا تؤكل ذبائحهم[١].

وقال ابن حزم الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الروافض ليسوا من المسلمين، إنما هي فرقة حدث أولها بعد موت رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة... وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر[٢].

وقال الشيخ عبد القاهر البغدادي: وما رأينا ولا سمعنا بنوع من الكفر إلا وجدنا شعبة منه في مذهب الروافض. وقال أيضًا: وتكفير هؤلاء واجب في إجازتهم على الله البداء، وقولهم بأنه قد يريد شيئًا ثم يبدو له، وقد زعموا أنه إذا أمر بشيء ثم نسخه، فإنما نسخه لأنه بدا له فيه[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة: إن أصل كل فتنة وبلية هم الشيعة، ومن انضوى إليهم، وكثير من السيوف التي في الإسلام، إنما كان من جهتهم، وبهم تسترت الزنادقة. اهـ[٤]

وقال أيضًا: فهم يوالون أعداء الدين الذين يعرف كل أحد معاداتهم من اليهود والنصارى والمشركين، ويعادون أولياء الله الذين هم خيار أهل الدين، وسادات المتقين.. وكذلك كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديما على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم. اهـ[٥]

وقال أيضًا: فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه

---

(١) خلق أفعال العباد (ص:١٢٥).
(٢) الفصل في الملل والنحل (٢/ ٢١٣).
(٣) الفرق (ص:٥٢).
(٤) منهاج السنة (٣/ ٢٤٣).
(٥) منهاج السنة (٤/ ١١٠).

على المسلمين. اهـ[١]

وقال شيخ الإسلام أيضًا: وقد رآهم المسلمون بسواحل الشام وغيرها إذا اقتتل المسلمون والنصارى هواهم مع النصارى ينصرونهم بحسب الإمكان، ويكرهون فتح مدائنهم كما كرهوا فتح عكا وغيرها، ويختارون إدالتهم على المسلمين حتى إنهم لما انكسر المسلمون سنة غازان سنة تسع وتسعين وخمسمائة، وخلت الشام من جيش المسلمين عاثوا في البلاد، وسعوا في أنواع من الفساد من القتل وأخذ الأموال، وحمل راية الصليب، وتفضيل النصارى على المسلمين، وحمل السبي والأموال والسلاح من المسلمين إلى النصارى بقبرص وغيرها، فهذا وأمثاله قد عاينه الناس، وتواتر عند من لم يعاينه. اهـ[٢]

وقال شيخ الإسلام أيضًا في (مجموع الفتاوى): وفي دولة بني بويهِ ونحوهم: الأمر بالعكس فإنهم كان فيهم أصناف المذاهب المذمومة، قوم منهم زنادقة وفيهم قرامطة كثيرة ومتفلسفة ومعتزلة ورافضة، وهذه الأشياء كثيرة فيهم غالبة عليهم. فحصل في أهل الإسلام والسنة في أيامهم من الوهن ما لم يعرف حتى استولى النصارى على ثغور الإسلام وانتشرت القرامطة في أرض مصر والمغرب والمشرق وغير ذلك وجرت حوادث كثيرة. اهـ[٣]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا: فالرافضة يوالون من حارب أهل السنة والجماعة ويوالون التتار ويوالون النصارى. وقد كان بالساحل بين الرافضة وبين الفرنج مهادنة حتى صارت الرافضة تحمل إلى قبرص خيل المسلمين وسلاحهم وغلمان

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٣٨).

(٢) منهاج السنة (٣/ ٢٤٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢).

السلطان وغيرهم من الجند والصبيان. وإذا انتصر المسلمون على التتار أقاموا المآتم والحزن وإذا انتصر التتار على المسلمين أقاموا الفرح والسرور. وهم الذين أشاروا على التتار بقتل الخليفة وقتل أهل بغداد. ووزير بغداد ابن العلقمي الرافضي هو الذي خامر على المسلمين وكاتب التتار حتى أدخلهم أرض العراق بالمكـر والخديعة ونهى الناس عن قتالهم.

وقد عرف العارفون بالإسلام: أن الرافضة تميل مع أعداء الدين. ولما كانوا ملوك القاهرة كان وزيرهم مرة يهوديا ومرة نصرانيا أرمينيا وقويت النصارى بسبب ذلك النصراني الأرميني وبنوا كنائس كثيرة بأرض مصر في دولة أولئك الرافضة المنافقين وكانوا ينادون بين القصرين: من لعن وسب فله دينار وإردب. وفي أيامهم أخذت النصارى ساحل الشام من المسلمين حتى فتحه نور الدين وصلاح الدين. وفي أيامهم جاءت الفرنج إلى بلبيس وغلبوا من الفرنج؛ فإنهم منافقون وأعانهم النصارى والله لا ينصر المنافقين الذين هم يوالون النصارى فبعثوا إلى نور الدين يطلبون النجدة فأمدهم بأسد الدين وابن أخيه صلاح الدين. فلما جاءت الغزاة المجاهدون إلى ديار مصر قامت الرافضة مع النصارى فطلبوا قتال الغزاة المجاهدين المسلمين وجرت فصول يعرفها الناس حتى قتل صلاح الدين مقدمهم شاور. ومن حينئذ ظهرت بهذه البلاد كلمة الإسلام والسنة والجماعة وصار يقرأ فيها أحاديث رسول الله ﷺ كالبخاري ومسلم ونحو ذلك. ويذكر فيها مذاهب الأئمة ويترضى فيها عن الخلفاء الراشدين ؛ وإلا كانوا قبل ذلك من شر الخلق. فيهم قوم يعبدون الكواكب ويرصدونها وفيهم قوم زنادقة دهرية لا يؤمنون بالآخرة ولا جنة ولا نار ولا يعتقدون وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، وخير من كان فيهم الرافضة والرافضة شر الطوائف المنتسبين إلى القبلة. اهـ(١)

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٣٦-٦٣٨).

٥- الخوارج:

(و) مما أدركوا عليه إجماع العلماء: أنّ (الخوارج مُرّاق) وهم الذين خرجوا لقتال علي بن أبي طالب بسبب التحكيم. ومن مذهبهم التبرؤ من عثمان، وعلي، والخروج على الإمام وتكفير فاعل الكبيرة، وتخليده في النار، وهم فرق عديدة، وقد استفاضت النصوص في التحذير منهم ومن مسلكهم وأنهم شرار الخلق ويمرقون من الدين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: من أول البدع والتفرق الذي وقع في هذه الأمة، بدعة الخوارج المكفرة بالذنب فإنهم تكلموا في الفاسق الملي فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة ومنهم من قال: والصغيرة لا تجامع الإيمان أبدًا بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام، قالوا: لأن الإيمان هو فعل المأمور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات.

ثم قالت الخوارج: فيكون العاصي كافرًا؛ لأنه ليس إلا مؤمن وكافر ثم اعتقدوا أن عثمان وعليًّا وغيرهما عصوا ومن عصى فقد كفر، فكفروا هذين الخليفتين وجمهور الأمة. وقالت المعتزلة بالمنزلة: بين المنزلتين إنه يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر. اهـ[1]

فرع: سبب ظهور بدعة الخوارج:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه! فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا: فمن لم يكن برًّا تقيًا فهو كافر وهو مخلد في النار! ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله فكانت بدعتهم لها مقدمتان:

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٧٠).

الواحدة: أن من خالف القرآن بعمل أو برأي أخطأ فيه فهو كافر.

والثانية: أن عثمان وعليًا ومن والاهما كانوا كذلك!

ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فإنه أول بدعة ظهرت في الإسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم وقد ثبت عن النبي ﷺ أحاديث صحيحة في ذمهم والأمر بقتالهم، قال الإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: صح فيهم الحديث من عشرة أوجه؛ ولهذا قد أخرجها مسلم في (صحيحه) وأفرد البخاري قطعة منها، وهم مع هذا الذم إنما قصدوا اتباع القرآن فكيف بمن تكون بدعته معارضة القرآن والإعراض عنه وهو مع ذلك يكفر المسلمين كالجهمية ثم الشيعة لما حدثوا لم يكن الذي ابتدع التشيع قصده الدين؛ بل كان غرضه فاسدًا، وقد قيل: إنه كان منافقًا زنديقًا فأصل بدعتهم مبنية على الكذب على رسول الله ﷺ وتكذيب الأحاديث الصحيحة؛ ولهذا لا يوجد في فرق الأمة من الكذب أكثر مما يوجد فيهم بخلاف الخوارج فإنه لا يعرف فيهم من يكذب.

وهاتان الطائفتان -الخوارج والشيعة- حدثوا بعد مقتل عثمان وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر وصدرًا من خلافة عثمان -في السنة الأولى من ولايته- متفقين لا تنازع بينهم، ثم حدث في أواخر خلافة عثمان أمور أوجبت نوعًا من التفرق، وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان.

ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء، فكف عنهم أمير المؤمنين وقال: لكم علينا أن لا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نمنعكم المساجد، إلى أن استحلوا دماء المسلمين وأموالهم فقتلوا عبدالله بن خباب وأغاروا على سرح المسلمين؛ فعلم علي أنهم الطائفة التي ذكرها رسول الله ﷺ حيث قال: «**يحقر**

أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، آيتهم فيهم رجل مخدج اليد عليها بضعة عليها شعرات»، وفي رواية: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»[١]، فخطب الناس وأخبرهم بما سمع من رسول الله ﷺ وقال: هم هؤلاء القوم قد سفكوا الدم الحرام وأغاروا على سرح الناس، فقاتلهم ووجد العلامة بعد أن كاد لا يوجد فسجد لله شكرًا. اهـ[٢]

وقال أيضًا: أول البدع ظهورًا في الإسلام وأظهرها ذما في السنة والآثار: بدعة الحرورية المارقة؛ فإن أولهم قال للنبي ﷺ في وجهه: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، وأمر النبي ﷺ بقتلهم وقتالهم، وقاتلهم أصحاب النبي ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. والأحاديث عن النبي ﷺ مستفيضة بوصفهم وذمهم والأمر بقتالهم، قال أحمد بن حنبل: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه[٣] قال النبي ﷺ: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم. فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة**»، ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

أحدهما: خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٠-٣٣).

(٣) أخرجها البخاري (٣٦١٠، ٣٦١١، ٤٣٥٧، ٤٦٦٧، ٥٠٥٧، ٥٠٥٨، ٦١٦٣، ٦٩٣٠، ٦٩٣١، ٦٩٣٢، ٦٩٣٣، ٦٩٣٤، ٧٤٣٢، ٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٨) من طرق عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

اعدل فإنك لم تعدل! حتى قال له النبي ﷺ: «**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبتَ وخسرتَ إن لم أعدل**»(١)، فقوله: «فإنك لم تعدل»، جعل منه لفعل النبي ﷺ سفهًا وترك عدل، وقوله: «اعدل» أمر له بما اعتقده هو حسنة من القسمة التي لا تصلح، وهذا الوصف تشترك فيه البدع المخالفة للسنة فقائلها لابد أن يثبت ما نفته السنة وينفي ما أثبتته السنة ويحسن ما قبحته السنة أو يقبح ما حسنت السنة، وإلا لم يكن بدعة، وهذا القدر قد يقع من بعض أهل العلم خطأ في بعض المسائل؛ لكن أهل البدع يخالفون السنة الظاهرة المعلومة.

والخوارج جوزوا على الرسول نفسه أن يجور ويضل في سنته ولم يوجبوا طاعته ومتابعته وإنما صدقوه فيما بلغه من القرآن دون ما شرعه من السنة التي تخالف -بزعمهم- ظاهر القرآن.

وغالب أهل البدع غير الخوارج يتابعونهم في الحقيقة على هذا؛ فإنهم يرون أن الرسول لو قال بخلاف مقالتهم لما اتبعوه، كما يحكى عن عمرو بن عبيد في (حديث الصادق المصدوق) وإنما يدفعون عن نفوسهم الحجة، إما برد النقل؛ وإما بتأويل المنقول، فيطعنون تارة في الإسناد وتارة في المتن، وإلا فهم ليسوا متبعين ولا مؤتمين بحقيقة السنة التي جاء بها الرسول بل ولا بحقيقة القرآن.

الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع: أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات! ويترتب على تكفيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم وأن دار الإسلام دار حرب ودارهم هي دار الإيمان، وكذلك يقول جمهور الرافضة؛ وجمهور المعتزلة والجهمية وطائفة من غلاة المنتسبة إلى أهل الحديث والفقه ومتكلميهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠، ٦٩٣٣)، ومسلم (١٠٦٥) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فهذا أصل البدع التي ثبت بنص سنة رسول الله ﷺ وإجماع السلف أنها بدعة وهو جعل العفو سيئة وجعل السيئة كفرًا.

فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين وما يتولد عنهما من بعض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم.

وهذان الأصلان هما خلاف السنة والجماعة، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعته فهو مبتدع خارج عن السنة، ومن كفر المسلمين بما رآه ذنبًا سواء كان دينًا أو لم يكن دينًا وعاملهم معاملة الكفار فهو مفارق للجماعة.

وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين.

أما الأول فشبه التأويل الفاسد أو القياس الفاسد: إما حديث بلغه عن الرسول لا يكون صحيحًا أو أثر عن غير الرسول قلده فيه، ولم يكن ذلك القائل مصيبًا أو تأويل تأوله من آية من كتاب الله أو حديث عن رسول الله ﷺ صحيح أو ضعيف أو أثر مقبول أو مردود ولم يكن التأويل صحيحًا، وإما قياس فاسد أو رأي رآه اعتقده صوابًا وهو خطأ.

فالقياس والرأي والذوق هو عامة خطأ المتكلمة والمتصوفة وطائفة من المتفقهة، وتأويل النصوص الصحيحة أو الضعيفة عامة خطأ طوائف المتكلمة والمحدثة والمقلدة والمتصوفة والمتفقهة.

وأما التكفير بذنب أو اعتقاد سني فهو مذهب الخوارج، والتكفير باعتقاد سني مذهب الرافضة والمعتزلة وكثير من غيرهم.

وأما التكفير باعتقاد بدعي فقد بينته في غير هذا الموضع، ودون التكفير قد يقع من البغض والذم والعقوبة -وهو العدوان- أو من ترك المحبة والدعاء والإحسان وهو التفريط ببعض هذه التأويلات ما لا يسوغ، وجماع ذلك ظلم في حق الله تعالى

أو في حق المخلوق كما بينته في غير هذا الموضع. ولهذا قال أحمد بن حنبل لبعض أصحابه: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس. اهـ[١]

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المتأول الذي أخطأ في تأويله في المسائل الخبرية والأمرية وإن كان في قوله بدعة يخالف بها نصًا أو إجماعًا قديمًا، وهو لا يعلم أنه يخالف ذلك، بل قد أخطأ فيه كما يخطئ المفتي والقاضي في كثير من مسائل الفتيا والقضاء باجتهاده، يكون أيضًا مثابًا من جهة اجتهاده الموافق لطاعة الله تعالى، غير مثاب من جهة ما أخطأ فيه، وإن كان معفوًا عنه، ثم قد يحصل فيه تفريط في الواجب، أو اتباع لهوى يكون ذنبًا منه، وقد يقوى فيكون كبيرة، وقد تقوم عليه الحجة التي بعث الله عَزَّوَجَلَّ بها رسله ويعاندها مشاقًا للرسول من بعد ما تبين له الهدى متبعًا غير سبيل المؤمنين، فيكون مرتدًا منافقًا أو مرتدًا ردة ظاهرة.

فالكلام في الأشخاص لا بد فيه من هذا التفصيل، وأمّا الكلام في أنواع الأقوال والأعمال باطنًا وظاهرًا، من الاعتقاد والإرادات وغير ذلك، فالواجب فيها تنوزع في ذلك أن يرد إلى الله والرسول ﷺ، فما وافق الكتاب والسنة فهو حق، وما خالفهما فهو باطل، وما وافقهما من وجه دون وجه فهو ما اشتمل على حق وباطل. والمقصود هنا: أن أهل العلم والإيمان في تصديقهم لما يصدقون به وتكذيبهم لما يكذبون به، وحمدهم لما يحمدونه وذمهم لما يذمونه، متفقون على هذا الأصل، فلهذا يوجد أئمة أهل العلم والدين من المنتسبين إلى الفقه والزهد يذمون أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة في الاعتقادات والأعمال من أهل الكلام والرأي والزهد والتصوف ونحوهم، وإن كان في أولئك من هو مجتهد له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له. اهـ[٢]

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٧١).
(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص:١٩٩).

(٢٩)

كفر من قال بخلق القرآن

ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله كفرًا ينقل من الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر، ومن شك في كلام الله فوقف شاكًا فيه، ويقول: لا أدري مخلوقٌ أم غير مخلوق! فهو جهمي، من وقف في القرآن جاهلًا عُلِّمَ وبُدِّع ولم يُكفَّر؛ ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، أو قال: القرآن بلفظي مخلوق، فهو جهمي.

(و) مما أدركوا عليه إجماع العلماء أنّ (من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر -بالله العظيم- كفرًا ينقل من الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر)، فإن القرآن الكريم من كلام الله تعالى، والكلام صفة من صفاته، وصفاته كذاته غير مخلوقة، وهو كلام الله حروفه ومعانيه، قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، يعني القرآن، وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]، ومما يدل على أنه غير مخلوق قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فجعل الأمر غير الخلق والقرآن من الأمر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ﴾ [الطلاق:٥].

قال الشيخ أبو القاسم الأصبهاني في كتاب (الحجة): قال علماء السلف: قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، ففرق بين الخلق والأمر، وأعلمنا في كتابه أنه يخلق الخلق بكلامِهِ وقولِهِ، فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:٤٠]، أعلمنا أنه يكون كل مكون من خلقه بقوله: ﴿كُن﴾، وقوله: ﴿كُن﴾ هو كلامه

الذي يكوّن الخلق، فكلامه الذي يكوّن به الخلق غير الخلق الذي يكوْن مكوَّنًا بكلامه، وفيما رويناه عن النبي ﷺ بيان أن كلام الله غير مخلوق، قال: «**سبحان الله عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته**»[١]، ولو كانت كلمات الله من خلقه، لما فرق بينهما، ألا ترى حين ذكر العرش الذي هو مخلوق ذكره بلفظة لا تقع على العدد، فقال: «**زنة عرشه**» والوزن غير العدد، وقال في كتابه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى﴾ [الكهف:١٠٩] الآية، يفسره قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان:٢٧] الآية، يعني يكتب بها كلمات الله، وكان البحر مدادًا، فنفد ماء البحر لو كان مدادًا لم ينفد كلمات ربنا ولم يرد بالبحر بحرًا واحدًا، أَعْلَمَ اللهُ تعالى أنه لو جيء بمثل البحر مدادًا، وزيد على مائه سبعة أبحر لم تنفد كلمات الله، فدل بهذه الأشياء أن كلمات ربنا ليست بمخلوقة. اهـ[٢]

ولا شك في تكفير من أنكر أن القرآن كلام الله، أو قال إنه كلام محمد أو غيره من الخلق، مَلَكًا كان أو بشرًا، قال ابن القيم في النونية:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان

واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني

يعني أن القائلين بخلق القرآن كفّرهم خمسمائة عالم من علماء المسلمين، حكاه عنهم الإمام الحافظ أبو القاسم اللالكائي في (أصول السنة) وقد ذكر أقوال السلف والأئمة بأن القرآن كلام الله غير مخلوق وما ورد عنهم من تكفير من يقول ذلك ثم قال: فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا وأكثر من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة الخيرين على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام وفيهم نحو من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٣٧).

مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتدينوا بمذاهبهم.

قال: ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة لكن اختصرت، فنقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر، لا ينكر عليهم منكر، ومن أنكر قولهم استتابوه وأمروا بقتله أو نفيه أو صلبه.

قال: ولا خلاف بين الأمة: أن أول من قال: القرآن مخلوق، الجعد بن درهم، ثم الجهم بن صفوان، فأما جعد فقتله خالد بن عبد الله القسري، وأما جهم فقتل بمرو في خلافة هشام بن عبد الملك.

وقد حكى نحوًا من هذا الطبراني في (كتاب السنة) له. قال الشيخ عبدالعزيز بن باز في شرح بلوغ المرام: المعتزلة والجهمية كفار. اهـ

مسألة: في حكم الشك والوقف في القرآن:

(و) مما أدركوا عليه إجماع العلماء أنّ (**من شك في كلام الله فوقف شاكًا فيه فيقول: لا أدري مخلوقٌ أم غير مخلوق! فهو جهمي**) ضال (و) مما أدركوا عليه إجماع العلماء أنّ (**من وقف في القرآن جاهلًا عُلِّمَ وبُدِّع ولم يُكفَّر**)؛ لأنه جاهل لم تقم عليه الحجة فيعذر بالجهل، وأما إن كان عالمًا فاهمًا فإنه يكفر، ذكر اللالكائي عن أبي حاتم الرازي أنه قال في بعض كتبه: ومن زعم أنه مخلوق مجعول فهو كافر بالله كفرًا ينقل عن الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهل فهو كافر، والواقفة واللفظية جهمية، جهّمهم أبو عبد الله أحمد بن حنبل. اهـ

وفي (حاشية الروض المربع) للشيخ عبد الله العنقري: قال المجد ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الصحيح أن كل بدعة كفّرنا فيها الدعية، فإنا نفسّق المقلد فيها، كمن يقول بخلق القرآن أو أن ألفاظنا به مخلوقة، أو أن علم الله مخلوق أو أن أسماءه مخلوقة، أو أنه لا يرى

في الآخرة، أو يسب الصحابة تدينًا، أو أن الإيمان مجرد الاعتقاد، وما أشبه ذلك، فمن كان عالمًا في شيء من هذه البدع، يدعو إليه ويناظر عليه، فهو محكوم بكفره، نص عليه أحمد صريحًا في مواضع. اهـ[1]

مسألة: في حكم اللفظية:

(و) مما أدركوا عليه إجماع العلماء أنّ (من قال: **لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، أو**) قال: (**القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي**)، قال الحافظ أبو القاسم الأصبهاني في (الحجة): وأخبرنا طلحة بن الحسين الصالحاني، أنا جدي أبو ذر الصالحاني، أنا أبو الشيخ قال: إن القرآن كلام الله تكلم به، فيه أمره ونهيه ووعده ووعيده، وذكر رحمته ونقمته، وعذابه وسخطه، وذكر النعيم والمنن، والأهوال والشدائد في الترغيب والترهيب، بقوله الصادق وعلمه النافذ ومشيئته السابقة وحجته البالغة، وذكر سلطانه الدائم، وليس منها شيء مخلوق لأنها كلها قوله من علمه الأزلي من أوله إلى آخره كلام الله غير مخلوق، فالمنكر فيه كالشاك، والشك والإنكار فيه كفر، فالمنكر الجهمي، والشاك الواقفي، وهو كلامه في الأحوال كلها حيث تلي وتصرف، في الدفتين بين اللوحين، وفي صدور الرجال، وحيث ما قرئ في المحاريب وغيرها، وحيث ما سمع أو حفظ، أو كتب، أو تلي، منه بدًا وإليه يعود.

ومن زعم أن القرآن أو بعضه، أو شيئًا منه مخلوق، فلا يشك فيه عندنا وعند أهل العلم من أهل السنة والفضل والدين أنه كافر كفرًا انتقل به عن الملة، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل غير مخلوق فهو جهمي أخبث قولًا من الأول وشر منه، ومن قال: لا أقول مخلوق ولا غير مخلوق فهو جهمي، ومن شك في كفر من قال: القرآن مخلوق بعد علمه وبعد أن سمع من العلماء المرضيين ذلك فهو مثله، ومن وقف عند اللفظ فهو واقفي ومن وقف عند القرآن فهو جهمي.

---

(١) حاشية الروض المربع، للعنقري (١/ ٢٤٩).

قال أبو الشيخ: نا عبد الله بن محمد بن زكريا، نا موسى بن عبد الله الطرسوسي، قال: سمعت أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن زعم أن هذه الآية مخلوقة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه:١٤]، فقد كفر، ومن زعم أن هذه الآية مخلوقة: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [طه:٩-١٦]، وقال الله: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي﴾ [السجدة:١٣]، فالقول ممن هو؟ إنما هو منه، والقرآن من علم الله فمن زعم أن من علم الله شيئًا مخلوق فقد كفر. اهـ[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: أول ما ابتدع الجهمية القول بخلق القرآن ونفي الصفات، فأنكرها من كان في ذلك الوقت من التابعين، ثم تابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة وكفروا قائلها.

ثم ابتدع بعض أهل الحديث والكلام الذين ناظروا الجهمية: القول بأن القرآن المنزل مخلوق! أو أنه ليس بكلام الله! أو أنه ليس في المصاحف ولا في الصدور! وأنكر بعضهم أن تكون حروف القرآن كلام الله! أو أن يكون الله تكلم بالصوت! وأنكر الإمام أحمد وأئمة وقته ذلك.

وقابلهم قوم من أهل الكلام والحديث؛ فزعموا أن ألفاظ العباد وأصوات العباد غير مخلوقة! أو ادعوا أن بعض أفعال العباد أو صفاتهم غير مخلوقة! أو أن ما يسمع من الناس من القرآن هو مثل ما يسمع من الله تعالى من كل وجه ونحو ذلك!

فأنكر الإمام أحمد وعامة أئمة وقته وأصحابه وغيرهم من العلماء ذلك.

وإنكار جميع هذه البدع وردها موجود عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة في الكتب الثابتة مثل (كتاب السنة) للخلال و(الإبانة) لابن بطة وكتب (المحنة) التي رواها حنبل

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٣٩).

وصالح و(كتاب السنة) لعبد الله بن أحمد و(السنة) للالكائي و(السنة) لابن أبي حاتم، وما شاء الله من الكتب.

فأما الرد على الجهمية القائلين بنفي الصفات وخلق القرآن ففي كلام التابعين وتابعيهم والأئمة المشاهير من ذلك شيء كثير، وفي مسألة القرآن من ذلك آثار كثيرة جدًا، مثل ما روى ابن أبي حاتم وابن شاهين واللالكائي وغيرهم من غير وجه عن علي بن أبي طالب رَضِيَاللَّهُعَنْهُ أنه قيل له يوم صفين: حكّمت رجلين فقال: ما حكّمت مخلوقًا ما حكّمتُ إلا القرآن، وعن عكرمة قال: كان ابن عباس في جنازة فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له! فوثب إليه ابن عباس فقال له: مه! القرآن منه، وفي رواية: القرآن كلام الله وليس بمربوب، منه خرج وإليه يعود. وعن عبد الله بن مسعود قال: من حلف بالقرآن فعليه بكل آية كفارة، فمن كفر بحرف منه فقد كفر به أجمع.

ومن المستفيض عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار -وربما وقفه بعضهم على سفيان والأول هو المشهور- قال: أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، ومشايخ عمرو من لقي عمرو من الصحابة والتابعين.

وعن علي بن الحسين زين العابدين وابنه جعفر بن محمد: ليس القرآن بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله. ومثل هذا مأثور عن الحسن البصري وأيوب السختياني وحماد بن أبي سليمان وابن أبي ليلى وأبي حنيفة وابن أبي ذئب وابن الماجشون والأوزاعي والشافعي وأبي بكر بن عياش وهشيم وعلي بن عاصم وعبد الله بن المبارك وأبي إسحاق الفزاري ووكيع بن الجراح والوليد بن مسلم وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان ومعاذ بن معاذ وأبي يوسف ومحمد والإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وبشر بن الحارث ومعروف الكرخي وأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي ثور والبخاري

ومسلم وأبي زرعة وأبي حاتم ومن لا يحصى كثرة.

قال أبو القاسم اللالكائي -وقد سمى علماء القرون الفاضلة ومن يليهم الذين نقل عنهم في كتابه أن القرآن كلام الله غير مخلوق-: فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسًا من التابعين وأتباع التابعين والأئمة المرضيين -سوى الصحابة- على اختلاف الأعصار ومضي السنين والأعوام، وفيهم نحو من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتمذهبوا بمذاهبهم ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفًا كثيرة، فنقلت عن هؤلاء عصرًا بعد عصر، لا ينكر عليهم المنكر، ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه.

قال: ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال: القرآن مخلوق الجعد بن درهم ثم الجهم بن صفوان، وكلاهما قتله المسلمون.

وممن أفتى بقتل هؤلاء: مالك بن أنس ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وسفيان بن عيينة وأبو جعفر المنصور الخليفة ومعمر بن سليمان ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن ابن مهدي ومعاذ بن معاذ ووكيع بن الجراح وأبوه وعبد الله بن داود الخريبي وبشر بن الوليد -صاحب أبي يوسف- وأبو مصعب الزهري وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو ثور وأحمد بن حنبل وغير هؤلاء من الأئمة.

وكذلك ذم الواقفة وتضليلهم -الذين لا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق- مأثور عن جمهور هؤلاء الأئمة مثل ابن الماجشون وأبي مصعب ووكيع بن الجراح وأبي الوليد وأبي الوليد الجارودي صاحب الشافعي والإمام أحمد بن حنبل وأبي ثور وإسحاق بن راهويه، ومن لا يحصي عدده إلا الله.

وأما البدعة الثانية -المتعلقة بالقرآن المنزل: تلاوة العباد له وهي مسألة اللفظية، فقد أنكر بدعة اللفظية- الذين يقولون: إن تلاوة القرآن وقراءته واللفظ به مخلوقٌ أئمةُ

زمانهم، وجعلوهم من الجهمية وبينوا أن قولهم: يقتضي القول بخلق القرآن وفي كثير من كلامهم تكفيرهم.

وكذلك من يقول: إن هذا القرآن ليس هو كلام الله وإنما هو حكاية عنه[١] أو عبارة عنه[٢] أو أنه ليس في المصحف والصدور إلا كما أن الله ورسوله في المصاحف والصدور! ونحو ذلك، وهذا[٣] محفوظ عن الإمام أحمد وإسحاق وأبي عبيد وأبي مصعب الزهري وأبي ثور وأبي الوليد الجارودي ومحمد بن بشار ويعقوب بن إبراهيم الدورقي ومحمد بن يحيى بن أبي عمرو العدني ومحمد بن يحيى الذهلي ومحمد بن أسلم الطوسي وعدد كثير لا يحصيهم إلا الله من أئمة الإسلام وهداته.

وكذلك أنكر بدعة اللفظية المثبتة -الذين يقولون: إن لفظ العباد أو صوت العباد به غير مخلوق، أو يقولون: إن التلاوة التي هي فعل العبد وصوته غير مخلوقة-: الأئمة الذين بلغتهم هذه البدعة: مثل الإمام أحمد بن حنبل وأبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح وأبي بكر المروذي أخص أصحاب الإمام أحمد بن حنبل به وأخذ في ذلك أجوبة علماء الإسلام إذ ذاك، ببغداد والبصرة والكوفة والحرمين والشام وخراسان وغيرهم، مثل عبد الوهاب الوراق، وأبي بكر الأثرم، ومحمد بن بشار بندار، وأبي الحسين علي بن مسلم الطوسي، ويعقوب الدورقي، ومحمد بن سهل بن عسكر، ومحمد بن عبد الله المخرمي الحافظ، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، والعباس بن محمد الدوري، وعلي بن داود القنطري، ومثنى بن جامع الأنباري، وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد، ومحمد ابن يحيى الأزدي، والحسن بن عبد العزيز الجروي، وعبد الكريم بن الهيثم العاقولي، وأبي

---

(١) هو قول ابن كلاب وأصحابه.

(٢) هو قول الأشعري وأصحابه.

(٣) أي تكفيرهم.

موسى بن أبي علقمة النفروني، وغيره من علماء المدينة، ومحمد بن عبد الرحمن المقري، وأبي الوليد بن أبي الجارود، وأحمد بن محمد بن القاسم بن أبي مرة، وغيرهم من أهل مكة، وأحمد بن سنان الواسطي، وعلي بن حرب الموصلي، ومن شاء الله تعالى من أئمة أهل السنة وأهل الحديث، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل وغيرهم، ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن أو صوته به أو غير ذلك من صفات العباد المتعلقة بالقرآن غير مخلوقة، ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره، وقد جمع بعض كلامهم في ذلك أبو بكر الخلال في كتاب (السنة) ومن المشهور كتاب (صريح السنة) لمحمد بن جرير الطبري -وهو متواتر عنه- لما ذكر الكلام في أبواب السنة قال: وأما القول في ألفاظ العباد بالقرآن، فلا أثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفا إلا عمن في قوله الشفاء والعفاء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى: أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فإن أبا إسماعيل الترمذي حدثني قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول: اللفظية جهمية، يقول الله: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، ممن يسمع؟ قال ابن جرير: وسمعت جماعة من أصحابنا -لا أحفظ أسماءهم- يحكون عنه أنه كان يقول: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع! قال ابن جرير: ولا قول في ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله؛ إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه، وفيه الكفاية والمقنع، وهو الإمام المتبع.

وقال أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل في كتاب (المحنة): تناهى إلي أن أبا طالب حكى عن أبي أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق! فأخبرت أبي بذلك فقال: مَن أخبركَ؟ فقلت: فلان! فقال: ابعث إلى أبي طالب، فوجهت إليه فجاء وجاء فُوران، فقال له أبي: أنا قلت لك: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وغضب وجعل يرتعد! فقال له: قرأت عليك: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١]، فقلت لي: هذا ليس بمخلوق، قال

له: فلم حكيت عني أني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ وبلغني: أنك وضعت ذلك في كتابك وكتبت به إلى قوم فإن كان في كتابك فامحه أشد المحو، واكتب إلى القوم الذين كتبت إليهم: أني لم أقل هذا، وغضب، وأقبل عليه، فقال: تحكي عني ما لم أقل لك؟! فجعل فوران يعتذر له، وانصرف من عنده وهو مرعوب، فعاد أبو طالب فذكر أنه حكَّ ذلك من كتابه، وأنه كتب إلى القوم يخبرهم أنه وهم على أبي عبد الله في الحكاية.

قال الفضل بن زياد: كنت أنا والبستي عند أبي طالب قال: فأخرج إلينا كتابه وقد ضرب على المسألة وقال: كان الخطأ من قبلي وأنا أستغفر الله، وإنما قرأت على أبي عبد الله القرآن فقال: هذا غير مخلوق، كان الوهم من قبلي يا أبا العباس.

وقال الخلال في (السنة): حدثنا المروذي: قال لي أبو عبد الله: قد غيظ قلبي على ابن شداد! قلت: أي شيء حكى عنك؟ قال: حكى عني في اللفظ، فبلغ ابن شداد أن أبا عبد الله قد أنكر عليه، فجاءنا حمدون بن شداد بالرقعة فيها مسائل، فأدخلتها على أبي عبد الله، فنظر فرأى فيها: أن لفظي بالقرآن غير مخلوق -مع مسائل فيها- فقال أبو عبد الله: فيها كلام ما تكلمت به، فقام من الدهليز فدخل فأخرج المحبرة والقلم وضرب أبو عبد الله على موضع: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وكتب أبو عبد الله بخطه بين السطرين: القرآن حيث تصرف غير مخلوق، وقال: ما سمعت أحدًا تكلم في هذا بشيء، وأنكر على من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق.

وقال الخلال في كتاب (السنة): أخبرني زكريا بن الفرج الوراق قال حدثنا أبو محمد فوران قال جاءني صالح -وأبو بكر المروذي عندي- فدعاني إلى أبي عبد الله، وقال: إنه قد بلغ أبي أن أبا طالب قد حكى عنه أنه يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق، فقمت إليه فتبعني صالح فدار صالح من بابه فدخلنا على أبي عبد الله، فإذا أبو عبد الله غضبان شديد الغضب، بيّنٌ الغضبُ في وجهه، فقال لأبي بكر: اذهب فجئني بأبي طالب فجاء

أبو طالب، وجعلت أسكّن أبا عبد الله، قبل مجيء أبي طالب، وأقول: له حُرْمةٌ، فقعد بين يديه -وهو متغير اللون- فقال له أبو عبدالله: حكيت عني أني قلت: لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ فقال: إنما حكيت عن نفسي فقال: لا تحك هذا عنك ولا عني فما سمعت عالمًا يقول هذا -أو العلماء شك فوران- وقال له: القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف، فقلت لأبي طالب - وأبو عبد الله يسمع إن كنت حكيت هذا لأحد فاذهب حتى تخبره أن أبا عبد الله نهى عن هذا، فخرج أبو طالب فأخبر غير واحد بنهي أبي عبد الله، منهم أبو بكر بن زنجويه والفضل بن زياد القطان وحمدان بن علي الوراق وأبو عبيد وأبو عامر، وكتب أبو طالب بخطه إلى أهل نصيبين -بعد موت أبي عبدالله- يخبرهم أن أبا عبد الله نهى أن يقال: لفظي بالقرآن غير مخلوق، وجاءني أبو طالب بكتابه وقد ضرب على المسألة من كتابه. قال زكريا بن الفرج: فمضيت إلى عبدالوهاب الوراق فأخذ الرقعة فقرأها فقال لي: من أخبرك بهذا عن أحمد فقلت له: فوران بن محمد فقال: الثقة المأمون على أحمد، قال زكريا: وكان قبل ذلك قد أخبر أبو بكر المروذي عبد الوهاب فصار عند عبد الوهاب شاهدان. قال زكريا وسمعت عبد الوهاب قال: من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق يهجر ولا يكلم ويحذر عنه، وكان قبل ذلك قال: هو مبتدع.

وروى الخلال عن أبي الحارث قال سمعت رجلًا يقول لأبي عبد الله: يا أبا عبد الله أليس نقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق بمعنى من المعاني وعلى كل حال وجهة؟ فقال أبو عبد الله: نعم. اهـ[(١)]

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/ ٤١٧).

(٣٠)

علامات أهل البدع

قال أبو محمد وسمعت أبيْ يقول: وعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حَشْوية يريدون إبطال الآثار، وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبَّهة، وعلامة القدرية تسميتهم أهلَ السنة مجبرةً، وعلامة المرجئة: تسميتهم أهلَ السنةِ مخالفةً ونقصانيةً، وعلامة الرافضة: تسمية أهل السنة نابتة، ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، ويستحيل أن يجمعه هذه الأسماء.

(قال) الحافظ (أبو محمد) عبد الرحمن بن أبي حاتم: (وسمعت أبيْ يقول: وعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر) يعني أهل الحديث لأجل أنهم يقتفون أثره ولا يلتفتون لتلك الآراء الكلامية والبدع المحدثة، (وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل الأثر حَشْوية) أي يتبعون الأثر بلا رأي، من الحشو، وهو: ما لا خير فيه، (يريدون) بذلك التنفير (إبطال الآثار)، والحشو: من الكلام الفضل الذي لا يعتمد عليه، وكذلك هو من الناس، وحشوة الناس رذالتهم(١).

والزنادقة عند العلماء: هم من أظهر الإسلام وأبطن الكفر أو عقائد خلاف المعلوم من الدين، وهم المنافقون.

قال الخلال في (أحكام أهل الملل): أخبرني عصمة قال: حدثنا حنبل قال: سمعت

---

(١) انظر: لسان العرب (١٤/ ١٨٠).

أبا عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- يقول: وأما الزنادقة الذين ينتحلون الإسلام وهم على دين غير ذلك فإن رجع وإلا قتل، قال النبي ﷺ: **«من بدّل دينه فاقتلوه»**، فالحكم فيهم القتل إذا ترك الإسلام وكان ممن ولد على الفطرة. قال حنبل: سمعت أبا عبد الله سئل عن الزنديق والساحر، يستتابان؟ قال: وكيف يعلم توبتهما؟ أما الزنديق فإنه يصوم ويصلي، ورأى قتلهما. اهـ(١)

وقال شيخ الإسلام: وأما قتل من أظهر الإسلام وأبطن كفرًا منه وهو المنافق الذي تسميه الفقهاء الزنديق، فأكثر الفقهاء على أنه يقتل وإن تاب كما هو مالك وأحمد في أظهر الروايتين وأحد القولين في مذهب أبي حنيفة والشافعي. اهـ(٢)

وقال أيضًا: الزنديق في عرف الفقهاء هو المنافق الذي كان على عهد النبي ﷺ وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره، سواء أبطن دينًا من الأديان، كدين اليهود والنصارى أو غيرهم، أو كان معطلًا جاحدًا للصانع والمعاد والأعمال الصالحة، ومن الناس من يقول: الزنديق هو الجاحد المعطل، وهذا يسمى الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكلام والعامة ونقلة مقالات الناس، ولكن الزنديق الذي تكلم الفقهاء في حكمه هو الأول. اهـ(٣)

(وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبِّهة) يعنون بذلك إثبات الصفات، زعمًا منهم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فإن كثيرًا من المؤولة يسمى غالب السلفيين بالحشوية ولا سيما المعتزلة.

وأهل الكلام والمنطق يُسمون أهل السنة (حشوية). من الحشو، وهو: ما لا خير فيه، ويسمونهم (نوابت) وهي بذور الزرع التي تنبت معه ولا خير فيها. ويسمونهم (غثاء)

---

(١) أحكام أهل الملل للخلال (٢/ ٥٢٤-٥٢٥).

(٢) الفتاوى الكبرى (٣/ ٥١٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧١-٤٧٢).

وهو ما تحمله الأودية من الأوساخ، لأن هؤلاء المناطقة زعموا أن من لم يحط علمًا بالمنطق فليس على يقين من أمره، بل هو من الرعاع الذين لا خير فيهم.

والحقّ أن هذا العلم الذي فخروا به لا يغني من الحق شيئًا، كما قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (الرد على المنطقيين): إني كنت دائمًا أعلم أن المنطق اليوناني لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به البليد. اهـ[1]

قَالَ ابْن الصّلاح: فتح الشين غلط وَإِنَّمَا هُوَ بالإسكان، وَكَذَلِكَ قَالَ الْبرمَاوِيّ بِالسُّكُونِ لِأَنَّهُ إِمَّا من الحشو لأنهم يَقُولُونَ بِوُجُود الحشو فِي كَلَام الْمَعْصُوم أَوْ نَحْو ذَلِك[2].

(وعلامة القدرية) النفاة للقدرِ (تسميتهم أهلَ السنة مجبرةً)، لأن إثبات القدر جبر عند هؤلاء النفاة.

(وعلامة المرجئة) وهم الذين يخرجون العمل عن الإيمان (تسميتهم أهلَ السنةِ مخالفةً ونقصانيةً)، لأن أهل السنة يقولون الإيمان ينقص بالمعاصي، ويسمونهم شكاكًا؛ لأن أهل السنة يستثنون في الإيمان بقولهم: مؤمن إن شاء الله، لأن الإيمان عند المرجئة هو إقرار القلب، أو إقرار القلب وقول اللسان، والاستثناء شك فيه عند هؤلاء المرجئة.

(وعلامة الرافضة: تسمية أهل السنة نابتة) والنوابت بذور الزرع التي تنبت معه ولا خير فيها، والرافضة أولى بهذه التسمية، فهم الفرقة المحدثة التي لا خير فيها.

(ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد، ويستحيل أن يجمعهم هذه الأسماء)؛ لأنها متناقضة المدلول، وكل منها ينفي الآخر، مما يدل على كذب هؤلاء المبتدعة في تلقيب

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٥٢)، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص:١١٣).

(٢) توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية (٢/ ٧٧)، لابن عيسى.

أهل السنة بتلك الأسماء المحدثة، التي أحدثوها لأجل التنفير منهم، قال الموفق في اللمعة: وكل مُتَّسِم بغير الإسلام والسُّنة مبتدع، كالرافضة، والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة والكرامية والكلابية ونظائرهم، فهذه فرق الضلال، وطوائف البدع، أعاذنا الله منها. اهـ

واعلم أن من حكمة الله تعالى أن جعل لكل نبي عدوًّا من المجرمين، يصدون عن الحق بما استطاعوا من قول وفعل، بأنواع المكائد، والشبهات، والدعاوى الباطلة؛ ليتبين بذلك الحق، ويتضح ويعلو على الباطل، وقد لقي النبي ﷺ وأصحابه من هذا شيئًا كثيرًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران:١٨٦]، فقد وضع أولئك الظالمون المشركون للنبي ﷺ، وأصحابه ألقاب التشنيع والسخرية. مثل: ساحر، مجنون، كاهن، كذّاب، ونحو ذلك. ولما كان أهل العلم والإيمان هم ورثة النبي ﷺ، لقوا من أهل الكلام والبدع، مثل ما لقيه النبي ﷺ، وأصحابه من أولئك المشركين، فكانت كل طائفة من هذه الطوائف تلقّب أهل السنة بما برأهم الله منه من ألقاب التشنيع والسخرية، إما لجهلهم بالحق، حيث ظنوا صحة ما هم عليه وبطلان ما عليه أهل السنة، وإما لسوء القصد حيث أرادوا بذلك التنفير عن أهل السنة، والتعصب لآرائهم مع علمهم بفسادها.

وقد قال هذا قبلهم كل مشرك وعابد لغير الله، حتى إن قريشًا قالوا للنبي ﷺ: إنه صابئي، ولقبوه به، والجهمية المعطلة يسمون أهل السنَّة: حشوية، والرافضة يسمونهم: نواصب ونوابت، والقدرية يسمونهم: مجبرة.

وأول من عرف عنه أنه تكلم في الإسلام بهذا اللفظ عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة فإنه ذكر له عن ابن عمر شيء يخالف قوله فقال: كان ابن عمر حشويًا: نسبة إلى الحشو وهو العامة والجمهور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : وأما قول القائل

حشوية، فهذا لفظ له مسمى معروف لا في شرع ولا في اللغة ولا في العرف العام، ولكن يذكر أن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد قال: كان عبد الله بن عمر حشويًا، وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولا تخالف به الجمهور والعامة ينسب إلى أنه قول الحشوية: أي الذين هم حشو في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم، فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشويًا، والجهمية يسمون مثبتة الصفات حشوية، والقرامطة كأتباع الحاكم يسمون من أوجب الصلاة والزكاة والصيام والحج حشويًا، وذكر في موضع آخر أن أهل الكلام والفلسفة أحق بهذا اللفظ لقلة الفائدة في كلامهم. اهـ[1]

وقد فسر الشيخ ابن القيم في (النونية) قصدهم من ذلك التلقيب، فقال: فصل فِي تلقيبهم أهل السّنة بالحشوية وَبَيَان من أولى بِالْوَصْفِ المذموم من هَذَا اللقب من الطائفين وَذكر أول من لقب بِهِ أهل السّنة من أهل الْبِدْعَة:

وَمن الْعَجَائِب قَوْلهم لمن اقْتدى ... بِالْوَحْي من أثر وَمن قُرْآن

حشوية يعنون حَشْوًا فِي الْوُجُو ... د وفضلةً فِي أمة الإنسان

ويظن جاهلهم بأنهم حَشْوا ... ربَّ الْعباد بداخل الأكوان

إِذْ قَوْلهم فَوق الْعباد وَفِي السما ... ء الرب ذُو الملكوت وَالسُّلْطَان

ظن الْحمير بِأَن (فِي) للظرفِ والر ... حمنَ محويٌّ بظرف مَكَان

وَالله لم يسمع بذا مِن فرقةٍ ... قالته فِي زمن من الْأَزْمَان

لَا تبهتوا أهلَ الحَدِيث بِهِ فَمَا ... ذَا قَوْلهم تبًّا لذِي الْبُهْتَان

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٣/ ٢٧)، (١٢/ ١٧٦)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٤٤) وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/ ١٧٩).

بــل قَوْلــهم إِن السَّــمَاوَات العُــلى ... فِي كــف خَــالق هَــذِه الأكــوان
حَقًــا كخردلــة تــرى فِي كــف ممــ ... ــسكها تَعَــالَى الله ذُو السُّــلْطَان
أترونــه المحصــورَ بعــدُ أم الســما ... يَــا قَومنَــا ارتــدعوا عَــن الْعــدوان
كــم ذَا مشــبهة وَكــم حشــوية ... فالبهــت لَا يخفــى عــلى الــرَّحْمَن
يَــا قــوم إِن كَــانَ الْكتــاب وَســنة ... الْمُخْتَــار حَشْــوًا فَاشْــهَدُوا بِبَيَــان
أَنَــا بِحَمْــد إلــهنا حشــوية ... صرفٌ بِــلَا جحــد وَلَا كــتمان
تَــدْرُونَ مــن ســمّت شــيوخكم ... بِهَــذَا الِاسْــم فِي المَــاضِي مــن الْأَزْمَــان
ســمى بِــهِ ابْــنُ عبيــدٍ عبــدَ الله ذَا ... ك بــن الخَلِيفَــة طــارد الشَّــيْطَان
فــورثتم عمــرًا كَــمَا ورثــوا لعبــد ... الله أَنــى يســتوى الإرثــان
تَــدْرُونَ مــن أولى بِهَــذَا الِاسْــم وَهــ ... ــوَ مُنَاسِــب أحوالــه بــوزان
من قد حشى الأوراق والأذهــان مــن ... بــدع تخَــالف مُوجــب الْقُــرْآن
هَــذَا هُــوَ الحشــوي لَا أهــل الحَديــ ... ــث أَئِمَّــة الإِســلام وَالْإِيــمَان[1].

فقد فسر ابن القيم: معنى الحشوية بقوله: يعنون حَشْوًا فِي الْوُجُود وفضلة إلخ، أَي أن المعطلة يعنون بقَوْلهمْ حشوية أن المثبتة حَشْو فِي الْوُجُود وفضلة فِي النَّاس، وأما جهالهم فيظنون أن معنى الحشو أن أهل السنة بقَوْلهمْ: إن الله سُبْحَانَهُ فِي السَّماء وَفَوق خلقه، قد حَشوا رب الْعباد بالأكوان! وَهَذَا معنى قَوْله: ظن الْحمير بِأَن (فِي) للظرف، أَي ظنُّوا أنا إِذا قُلْنَا: الله فِي السَّماء فَإِن (فِي) للظرفية! تَعَالَى الله عَن ذَلِك، وَلِهَذَا قَالَ:

وَالله لــم يســمع بــذا مِــن فرقــةٍ ... قالتــه فِي زمــن مــن الْأَزْمَــان

(١) نونية ابن القيم مع توضيح المقاصد لابن عيسى (٢/ ٧٦، ٧٩).

وَقد صنف أبو إسحاق إبراهيم بن عُثْمَان ابْن درباس الشَّافِعِي مصنفا سَمَّاهُ (تَنْزِيه أئمة الشَّرِيعَة عَن الألقاب الشنيعة).

وقال الشيخ نعمان الآلوسي: وقال الإمام أبو محمد عبد الله بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧١هـ في (تأويل مختلف الأحاديث) ما نصه: إن أصحاب البدع سموا أهل الحديث بالحشوية، والنابتة والمجبرة والجبرية، وسموهم الغثاء، وهذه كلها أنباز لم يأت بها خبر عن رسول الله ﷺ، كما أتى في القدرية: أنهم **«مجوس هذه الأمة، فإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا يشهدوا جنائزهم»**، وفي الرافضة: **«يكون قوم في آخر الزمان يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام، ويلفظونه، فاقتلوهم، فإنهم مشركون»**[١]، وفي المرجئة: **«صنفان من أمتي لا تنالهم شفاعتي، لعنوا على لسان سبعين نبيًا، المرجئة والقدرية»**[٢]، وفي الخوارج: **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**[٣]، و**«كلاب أهل النار»**[٤]، هذه أسماء رسول الله ﷺ، وتلك أسماء مصنوعة. انتهى[٥]. وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره: إن الباطنية تسمى أهل الحديث حشوية لقولهم بالأخبار وتعلقهم بالآثار[٦]. وقال مسند الوقت الشيخ الأجل أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه (حجة الله البالغة): واستطال هؤلاء الخاضعون على معشر أهل الحديث وسموهم مجسمة ومشبهة، وقالوا: هم المتسترون بالبلكفة. وقد وضح علي وضوحًا بينًا أن استطالتهم هذه ليست

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٨١) وغيره.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٦٤٩)، من حديث ابن عباس مرفوعا بلفظ: **«صنفان من أمتي لا تنالهما شفاعتي: المرجئة والقدرية»**، وسنده ساقط.

(٣) أخرجه البخاري (٦٩٣٤، ٦٩٣٣، ٣٦١٠، ٤٣٥١، ٥٠٥٨)، ورواه مسلم (٢٤٦٢).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٣٥٥)، وابن ماجه (١٧٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤٣٨) رقم (٩٠٤) وهو صحيح.

(٥) انظر: تأويل مختلف الحديث (ص:٥٥).

(٦) انظر: الغنية، لعبد القادر الجيلاني (١/ ٨٥).

بشيء، وأنهم مخطئون في مقالتهم رواية ودراية وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى[1]. انتهى[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على الرافضي: فتسميته لأهل الآثار والإثبات مشبهة كتسميتهم لمن أثبت خلافة الثلاثة ناصبيًا بناء على اعتقادهم أنه لا ولاية لعلي إلا بالبراءة من الثلاثة، وإنما النصب هو بغض أهل البيت ومعاداتهم، والتشبيه هو جعل صفات الرب مثل صفات العبد.

ومن أراد أن يمدح أو يذم فعليه أن يبين دخول الممدوح والمذموم في تلك الأسماء التي علق الله ورسوله بها المدح والذم، أما إذا كان الاسم ليس له أصل في الشرع ودخول الداخل فيه مما ينازع فيه المدخل، بطلت كل من المقدمتين، والكتاب والسنة ليس فيهما لفظة ناصبة ولا مشبهة ولا حشوية بل ولا فيهما لفظ رافضي! فنحن إذا قلنا: رافضة نذكره للتعريف لدخول أنواع مذمومة بالنص فيه، فبقي عَلَمًا على هؤلاء الجهلة الذين عدموا الصدق والتوفيق. اهـ[3]

فمن علامات أهل البدع: أنهم يتصفون بغير سمة الإسلام والسنة بما يحدثونه من البدع القولية والفعلية والعقائدية، ومنها أنهم يتعصبون لآرائهم فلا يرجعون إلى الحق وإن تبين لهم. ومنها أنهم يكرهون أئمة الإسلام والدين، وينبزونهم بالأنباز المكروهة، قال الله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]. قال القرطبي: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير: لا يطعن بعضكم على بعض.. ويقال النبز والنزب لقب السوء. وتنابزوا بالألقاب:

---

(١) حجة الله البالغة لشاه ولي الله الدهلوي (١/ ٦٤).

(٢) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (ص:٤٣٧).

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال (ص:١١٥).

أي لقب بعضهم بعضًا. وقال قتادة: هو قول الرجل للرجل: يا فاسق يا منافق، وقاله مجاهد والحسن أيضا. ﴿بِئْسَ ٱلِاسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١١] أي بئس أن يسمى الرجل كافرًا أو زانيًا بعد إسلامه وتوبته، قاله ابن زيد. وقيل: المعنى أن من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. وفي الصحيح: «**من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**» فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية والهمز والنبز فذلك فسوق، وذلك لا يجوز[(١)]. قال الكيا الـهراسي: نهى الله تعالى بهذه الآيـة عن عيب من لا يستحق أن يعاب تحقيرًا له، لأن ذلك هو معنى السخرية به، فأخبر أنه وإن كان أرفع حالًا منه في الدنيا، فعسى أن يكون المسخور منه خيرًا في الآخرة، وخيرًا عند الله تعالى. اهـ[(٢)] وقال الطبري: والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعم الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه، أو صفة يكرهها، وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض، لأن كل ذلك مما ينهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضًا. اهـ[(٣)]

فالواجب على المسلمين أن يتسموا بما سماهم الله به من أسماء الإسلام والإيمان وعباد الله، وما دلت عليه السنة من الأوصاف المناسبة لهم كالجماعة وأهل السنة، قال الله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ

---

(١) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٧-٣٢٨).

(٢) أحكام القرآن للكيا الهراسي (٤/ ٣٨٢).

(٣) تفسير الطبري (٢٦/ ١٣٢-١٣٣).

مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨]، فقوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ يحتمل العود على الله عَزَّوَجَلَّ فإنه هو الذي أذن بذلك وقدره ورضي به، ويحتمل العود إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه دعا بذلك في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨].

قال ابن كثير: قال ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ قال: الله عَزَّوَجَلَّ، وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل بن حيان، وقتادة، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ يعني إبراهيم، وذلك لقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، قال ابن جرير: وهذا لا وجه له لأنه من المعلوم أن إبراهيم لم يسمّ هذه الأمة في القرآن مسلمين، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ قال مجاهد: الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر، ﴿وَفِى هَٰذَا﴾ يعني القرآن، وكذا قال غيره، قال ابن كثير: وهذا هو الصواب لأنه تعالى قال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ثم حثهم وأغراهم إلى ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة أبيهم الخليل، ثم ذكر منته تعالى على هذه الأمة بما نوّه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الأنبياء يتلى على الأحبار والرهبان فقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل هذا القرآن ﴿وَفِى هَٰذَا﴾، روى النسائي عند تفسير هذه الآية عن الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا بدعوى الجاهلية، فإنه من جثي جهنم**» قال رجل: يا رسول الله وإن صام وصلى؟ قال: «**نعم، وإن صام وصلى، فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله**». اهـ(١)

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩١٠)، والترمذي (٢٨٦٣) وقال: حسن صحيح، وهو كما قال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلام سبق في بيان عقيدة السلف: وهذا هو قول الذين وافقوا سنة النبي ﷺ ظاهرًا وباطنًا؛ لكن لا بد للمنحرفين عن سنته أن يعتقدوا فيهم نقصا يذمونهم به ويسمونهم بأسماء مكذوبة، كقول القدري: من اعتقد أن الله أراد الكائنات وخلق أفعال العباد فقد سلب العباد الاختيار والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا إرادة لها ولا قدرة، وكقول الجهمي: من قال: إن الله فوق العرش فقد زعم أنه محصور وأنه جسم مركب مشابه لخلقه، وكقول الجهمية والمعتزلة: من قال إن لله علما وقدرة فقد زعم أنه جسم مركب وهو مشبه لأن هذه الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجوهر متحيز وكل متحيز جسم مركب أو جوهر فرد ومن قال ذلك فهو مشبه لأن الأجسام متماثلة.

قال: ومن حكى عن الناس المقالات وسماهم بهذه الأسماء المكذوبة أخذًا من لازم عقيدتهم فهو وربه أعلم. والله من ورائه بالمرصاد: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣].

قال: والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل لا نصًا ولا ظاهرًا على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر، وما رأيت أحدًا منهم نفاها وإنما ينفون التشبيه وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه وينكرون على من ينفي الصفات كقول نعيم بن حماد شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا. وكانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات قالوا: هذا جهمي معطل، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئًا من الصفات مشبهًا، كذبًا منهم وافتراء، فالروافض تسمي أهل السنة نواصب، والقدرية يسمونهم مجبرة، والمرجئة يسمونهم شكاكًا، والجهمية يسمونهم مشبهة، وأهل

الكلام يسمونهم حشوية، والمتصوفة يسمونهم محجوبين، كما كانت قريش تسمي النبي ﷺ تارة مجنونًا وتارة شاعرًا وتارة كاهنًا وتارة مفتريًا! وهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة[١].

---

(١) الفتوى الحموية لابن تيمية (ص:٨٢) وعنه في (أقاويل الثقات) للشيخ مرعي الحنبلي (ص:١١٣-١١٥).

(٣١)

هجر أهل البدع

قال أبو محمد: وسمعت أبي وأبا زرعة يأمران بهجرانِ أهل الزيغ والبدع، يغلظان في ذلك أشد التغليظ.

(قال أبو محمد) عبد الرحمن بن أبي حاتم: (وسمعت أبي) أبا حاتم محمد بن إدريس (وأبا زرعة) عبيد الله بن عبد الكريم (**يأمران بهجرانِ أهل الزيغ والبدع، يغلظان في ذلك أشد التغليظ**).

قال ابن قدامة في اللمعة: ومن السُّنة: هجران أهل البدع، ومُبَاينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدِّين، وترك النظر في كتب المبتدعة والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثةٍ في الدِّين بدعة. اهـ

والهجران مصدر هَجَرَ وهو لغة: الترك، والمراد بهجران أهل البدع الابتعاد عنهم، وترك محبتهم وموالاتهم والسلام عليهم وزيارتهم وعيادتهم ونحو ذلك. وهجران أهل البدع واجب لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة:٢٢]، ولأن النبي ﷺ هجر الثلاثة حين تخلَّفوا عن غزوة تبوك(١).

وفي السنن بسند صحيح عن عرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله

---

(١) قصة توبة كعب بن مالك وصاحبيه في صحيحي البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»، رواه أبو داود والترمذي وصححه وابن ماجه. وفي رواية له: «لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا...». ثم ذكره بمعناه[1]. والبيضاء: أي الطريق، والمراد الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه، وإليه الإشارة بقوله: «ليلها كنهارها».

ولمسلم عن جابرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعةٍ ضلالة»[2].

والمحدثات: جمع محدثة، والمراد بها ما أحدِث وليس له أصلٌ في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة؛ فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودًا أو مذمومًا، وكذا القول في المحدثة وفي الأمر المحدث الذي ورد في حديث عائشة: «من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد»[3]، قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قد أصبحتم على الفطرة إنكم ستحدِثون ويحدث لكم؛ فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالهدي الأول[4].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)، أبو داود (٤٦٠٧)، وابن أبي عاصم في كتاب السنة (٣٢، ٥٧)، وصححه ابن حبان (١/ ١٧٨) ابن ماجه (٤٣)، والآجري في الشريعة (ص:٤٧) وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: صحيح، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم (٨٦٧).

(٣) رواه البخاري (٢٦٩٧، ٧٣٠٦)، ومسلم (١٧١٨).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٢٥٣).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به»**، رواه البغوي في شرح السنةِ وأبو الفتح في الحجة وصححه النووي(١).

وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: **«ليأتين على أمتي كما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعلِ حتى إنْ كان فيهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل افترقت على اثِنتين وسبعين مِلة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النَّار إلا واحدة»**. قالوا: من هي يا رسول الله؟. قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**. رواه الترمذي(٢).

فرع: في خطر البدعة على الدين:

واعلم أن البدعة أشد من الكبائر، لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨] وقوله تعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:٢٥]، وفي الصحيحين أنه ﷺ قال في الخوارج: **«أينما لقيتموهم فاقتلوهم»**، وفيه أنه نهى عن قتل أمراء الجور ما صلوا، كما في الصحيحين، وعن جرير عن عبد الله أن رجلا تصدق بصدقة ثم تتابع الناس، فقال رسول الله ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»** رواه مسلم، ولمسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجورِ من تبعه**

---

(١) رواه البغوي في شرح السنة (١٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٩) وقال النووي في الأربعين: صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٤١)، والآجري في الشريعة (ص:١٥-١٦)، والمروزي في السنة (١٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٤٥، ١٤٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامِهم شيئًا»[١].

وقد صح عن النبي ﷺ: «إن الله احتجر التوبة على صاحب البدعة»[٢]، وسئل أحمد بن حنبل عن معنى ذلك فقال: لا يوفق ولا ييسر صاحب بدعة لتوبة[٣]، قال الشيخ تقي الدين: لأن اعتقاده لذلك يدعوه إلى ألا ينظر نظرًا تامًا إلى دليل خلافه، فلا يعرف الحق، ولهذا قال السلف: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، وقال أيوب السختياني وغيره: إن المبتدع لا يرجع. اهـ[٤]

وذكر ابن وضاح في (البدع) عن أيوب قال: كان عندنا رجل يرى رأيا فتركه فأتيت محمد بن سيرين فقلت: أشعرت أن فلانا ترك رأيه؟ قال: انظر إلى ماذا؟ إن آخر الحديث أشد عليهم من أوله: «يمرقون من الإسلام، ثم لا يعودون إليه»[٥]. وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» متفق عليه[٦].

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطا ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) رواه ابن ماجه (٥٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٧)، وحسنه المنذري وصححه الألباني والسيوطي من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٥٩).

(٤) الآداب الشرعية (١/ ٥٩).

(٥) تقدم تخريجه من الصحيحين.

(٦) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

يدعو إليه» وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣][١].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة يجري الناس عليها؛ فإذا غير منها شيء قيل: تركت سنةٌ. قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كثر قراؤكم، وقل فقهاؤكم، وكثرت أموالكم، وقل أمناؤكم، والتمِستِ الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين، رواه الدارِمي[٢].

وفي الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ ذكر له أن بعض الصحابة قال: أما أنا فلا آكل اللحم، وقال آخر: أما أنا فأقوم ولا أنام وقال آخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر فقال ﷺ: «**لكنني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[٣]، فإذا كان بعض الصحابة أراد التبتل للعبادة قيل فيه هذا الكلام الغليظ وسمي فعله رغوبا عن السنة فما ظنك بغير هذا من البدع وما ظنك بغير الصحابة؟ وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**وددت أنا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي، وإخواني هم الذين لم يأتوا بعد**»، قالوا: فكيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك؟ قال: «**أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلى، قال: «**فإنهم يأتون غر محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليذادن رجال يوم القيامة عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم**»، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك فأقول: «**سحقًا سحقًا**»[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (٤١٤٢، ٤٤٣٧)، والدارمي (٢٠٨) بسند صحيح.

(٢) رواه الدارمي (١٩١، ١٩٢)، والبيهقي في المدخل (١/ ٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٦)، ومسلم (٢٤٩).

(٣٢)

ذم الرأي والكلام

وينكران وضع الكتب برأي بغير آثار.

(و) كان أبو حاتم وأبو زرعة على طريقة السلف (ينكران وضع الكتب) في العلم فروعه وأصوله (برأي) مجرد لا دليل عليه و(بغير آثار) أي أدلة مأثورة من الكتاب والسنة وآثار السلف، فإن هذا الدين شريعة منقولة بالأسانيد الصحيحة في القرآن والسنة، وإجماع السلف، وقد كملها الله وأتمها، فمن حاول أن يدخل فيها شيئًا فقد نازع الله في شرعة، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، ولا مدخل للرأي في التشريع إلا في الفهم والإدراك، وإلحاق النظير بنظيره بالقياس الصحيح فيما ليس فيه نصٌّ، ولا يصادم نصًّا. وقد صح في الكتاب والسنة وآثار السلف التحذير من اعتماد الرأي والشبهات، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨]، روى ابن أبي حاتم في تفسيره عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا ونحو هذا في القرآن، قال: أمر الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين بالجماعة، ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين. وله عن ابن عون عن محمد بن سيرين في هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [الأنعام:٦٨]، قال: كان يرى أن هذه الآية نزلت في أهل الأهواء[١].

(١) رواهما ابن أبي حاتم في تفسيره (٧٤٢٦، ٧٤٢٧).

وقال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧]. والمحكمات أي المبينات المفصلات، سميت محكمات من الإحكام، كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها، ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أي أصله الذي يعمل عليه في الأحكام، وذكر البغوي: عن محمد بن جعفر بن الزبير قال: المحكم ما لا يحتمل من التأويل غير وجه واحد والمتشابه ما احتمل أوجهًا، وقيل: المحكم ما يعرف معناه وتكون حججها واضحة ودلائلها لائحة لا تشتبه، والمتشابه هو الذي يدرك علمه بالنظر، ولا يعرف العوام تفصيل الحق فيه من الباطل. وقال بعضهم: المحكم ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أي ميل عن الحق وقيل شك، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾، قال ابن جريج: هم المنافقون، وقال الحسن: هم الخوارج، وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، قال: إن لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدري من هم، وقيل: هم جميع المبتدعة[(١)]. وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ -إلى قوله- ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ: **«فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»**[(٢)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النّار»**[(٣)].

---

(١) تفسير البغوي (٢/ ٩).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٢٠٩)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٣) رواه الترمذي (٢٩٥٠)، والنسائي في الكبرى (٨٠٨٥)، والبغوي في شرح السنة (١١٨، ١١٩) وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال البغوي: حسن.

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها؛ فإن الأول لم يدع للآخرِ مقالًا، فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم. رواه أبو داود. وللبخاري عن حذيفة قال: يا معشر القراء استقيموا؟ فقد سبقتم سبقا بعيدا، فإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدًا[1].

وعن سعيد بن المسيب قال قام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الناس فقال: أيها الناس ألا إن أصحاب الرأي أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا إذا سألهم الناس أن يقولوا لا ندري؛ فعاندوا السنن برأيهم فضلوا وأضلوا كثيرا، والذي نفس عمر بيده ما قبض الله نبيه ولا رفع الوحي عنهم حتى أغناهم عن الرأي، ولو كان الدين يؤخذ بالرأي لكان أسفل الخف أحق بالمسح من ظاهره، فإياك وإياهم ثم إياك وإياهم[2].

وفي (الصحيحين) عن عبد الله بنِ عمرٍو عن النبي ﷺ: **«إن الله لا يقبِض العلم انتزاعًا ينتزِعه من العباد، ولكن يقبِض العلم بموت العلماءِ، حتى إِذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا؛ فسئِلوا؛ فأفتوا بغير علمٍ فضلوا وأضلوا»**[3].

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عليكم بالعلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهلِهِ، عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إِليه أو يفتقر إلى ما عنده، وستجدون أقوامًا يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورِهم، عليكم بالعلمِ وإياكم والبِدع والتنطع والتعمق، وعليكم بالعتيقِ. رواه الدارِمي[4].

---

(١) رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة من صحيحه (٧٢٨٢).

(٢) رواه الهروي في ذم الكلام وأهله (٢٦٧).

(٣) رواه البخاري (١٠٠، ٧٣٥٧)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٤) رواه الدارمي (١٤٥).

وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمدٍ ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة؛ أبرها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبةِ نبيه ﷺ ولإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبِعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسِيرهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم(١).

وعن ابن عمر قال: قال عمر بن الخطاب: يا أيها الناس اتهموا الرأي على الدين! فلقد رأيتني أرد أمر رسول الله ﷺ برأيي اجتهادًا! والله ما آلو عن الحق، وذلك يوم أبي جندل والكتاب بين يدي رسول الله ﷺ وبين أهل مكة، فقال رسول الله ﷺ: «اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم» قالوا: إنا قد صدقناك إذن بما تقول! ولكنا نكتب كما كنا نكتب باسمك اللهم! فرضي رسول الله ﷺ، وأبيت عليه، حتى قال رسول الله ﷺ: «تراني أرضى وتأبى»، قال: فرضيت(٢).

وعن أبي حصين قال: لما كان يوم صفين وحكم الحكمان سمعت سهل بن حنيف يقول: يا أيها الناس اتهموا رأيكم، فلقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ يوم أبي جندل، ولو نستطيع أن نرد على رسول الله ﷺ أمره لرددناه! وايم الله ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يفظعنا إلا أسلمت بنا إلى أمر نعرفه، إلا هذا الأمر، والله ما نسد منه خُصمًا إلا انفتح علينا منه خُصم آخر(٣).

وعن ابن عباس قال: إياكم والرأي فإن الله رد على الملائكة الرأي ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:٤٨]

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧)، ورزين العبدري كما في المشكاة (١٩٣).
(٢) رواه الهروي (٢٧٣).
(٣) رواه الهروي (٢٧٢).

ولم يقل بها رأيت[١].

وعن ابن عباس قال: «من أحدث رأيا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله ﷺ لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله»[٢].

وعن جابر بن زيد أن ابن عمر لقيه في الطواف فقال له: يا أبا الشعثاء إنك من فقهاء البصرة فلا تفت إلا بقرآن ناطق أو سنة ماضية، فإنك إن فعلت غير ذلك هلكت وأهلكت[٣].

وعن الشعبي قال: قال ابن مسعود: إياكم وأرأيت أرأيت فإنما هلك من كان قبلكم بأرأيت أرأيت، ولا تقيسوا شيئا بشيء فتزل قدم بعد ثبوتها، وإذا سئل أحدكم عما لا يدري فليقل لا أعلم فإنه ثلث العلم[٤].

وعن مسروق قال: قال عبد الله: ليس عام إلا الذي بعده شر منه ولا عام خير من عام ولا أمة خير من أمة، ولكن ذهاب خياركم وعلمائكم ثم يحدث قوم يقيسون الأمور برأيهم فينهدم الإسلام وينثلم[٥].

وعن الزبير بن عربي قال سأل رجل ابن عمر عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال: قلت: أرأيت إن زحمت أرأيت إن غلبت؟ فقال: اجعل أرأيت باليمن، رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. وعن غيلان بن جرير قال: جعل رجل يقول لابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أرأيت أرأيت! قال: اجعل أرأيت عند الثريا[٦].

---

(١) رواه الهروي (٢٧٥).

(٢) رواه الهروي (٢٨٠).

(٣) رواه الهروي (٢٨٢).

(٤) رواه الهروي (٢٨٦).

(٥) رواه الهروي (٢٨٨).

(٦) رواهما الهروي (٢٨٩، ٢٩٠).

وعن عبد الله بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خادم النبي ﷺ قال: جاء عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصحيفة فقال: يا رسول الله بعث إلي بهذه الصحيفة رجل من بني قريظة فيها جوامع من التوراة أقرؤها عليك، فجعل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرؤها وجعل وجه رسول الله ﷺ يتغير فغمزت عمر وقلت: مسخ الله وجهك، ألا ترى وجه رسول الله ﷺ يتغير فرمى عمر الصحيفة بشماله وقال: رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولًا، فما زال يقولها حتى أسفر وجه رسول الله ﷺ ثم قال: «**والذي نفس محمد بيده لو أصبح موسى فيكم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من الأنبياء**»[١].

وعن أبي عمرو بن نجيد يقول: سمعت أبا عثمان يقول: من أمّر السنة على نفسه؛ نطق بالحكمة قولًا وفعلًا، ومن أمرّ البدعة على نفسه؛ نطق بالبدعة. وقرأ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ [النور:٥٤][٢].

وعن محمد بن الحسين قال: بلغني أن بعض أصحاب أبي علي الجوزجاني سأله: كيف الطريق إلى الله؟ قال: أصح الطرق وأعمرها وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولًا وفعلًا وعزمًا وعقدًا ونية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾، فسأله: كيف الطريق إلى اتباع السنة؟ قال: مجانبة البدع، واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله، والتباعد عن مجالس الكلام وأهله، ولزوم طريقة الاقتداء والاتباع، بذلك أمر النبي ﷺ بقوله: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ﴾ [النحل:١٢٣][٣].

وعن ابن أبي حاتم؛ قال: كان أبي وأبو زرعة يقولان: من طلب الدين بالكلام ضل[٤].

---

(١) رواه الهروي (٥٩٠).

(٢) رواه الهروي في ذم الكلام (١٢٥٠).

(٣) رواه الهروي (١٢٥٢).

(٤) رواه الهروي (١٢٥٤).

وعن ابن أخي أبي زرعة الرازي؛ قال: سمعت أبا زرعة يقول: لا تذاكروا من لا يحسن؛ فيشككم فيما تحسنون[١].

وعن محمد بن الحسين؛ قال: رأيت بخط أبي عمرو بن مطر يقول: سئل ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات؛ فقال: بدعةٌ ابتدعوها، ولم تكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين مثل مالك وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويحيى بن يحيى وابن المبارك ومحمد بن يحيى وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف يتكلمون في ذلك، وينهون عن الخوض فيه، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة؛ فإياك والخوض فيه والنظر في كتبهم بحال[٢].

وعن أبي بكر بن بسطام قال: سألت أبا بكر بن سيار عن الخوض في الكلام؛ فنهاني عنه أشد النهي، وقال: عليك بالكتاب والسنة وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين؛ فإني رأيت المسلمين في أقطار الأرض ينهون عن ذلك وينكرونه، ويأمرون بالكتاب والسنة[٣].

هذا هو الأصل في مجالسة أهل البدع وأنها ممنوعة، لكن إن كان في مجالستهم مصلحة لتبيين الحق لهم وتحذيرهم من البدعة فلا بأس بذلك إذا ظن نفع ذلك بلا ضرر، وربما يكون ذلك مطلوبًا لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]. وهذا قد يكون بالمجالسة والمشافهة وقد يكون بالمراسلة والمكاتبة، ومن هجر أهل البدع ترك النَّظر في كتبهم خوفًا من الفتنة بها أو ترويجها بين الناس فالابتعاد عن مواطن الضلال واجب؛ لقوله ﷺ في الدجال: «من سمع به فلينأ

(١) رواه الهروي (١٢٥٦).
(٢) رواه الهروي (١٢٦٣).
(٣) رواه الهروي (١٢٦٤).

عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات»[١]، لكن إن كان الغرض من النظر في كتبهم معرفة بدعتهم بالنسبة للعالم للرد عليها فلا بأس بذلك لمن كان عنده من العقيدة الصحيحة ما يتحصن به، وكان قادرًا على الرد عليهم بل ربما كان واجبًا؛ لأن رد البدعة واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣، ٤٤١) وأبو داود (٤٣١٩) والحاكم (٤/ ٥٣١)، من حديث عمران بن حصين. وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٣٣)

النهي عن مجالسة أهل الكلام والمخاصمة فيه

وينهيان عن مجالسة أهل الكلام، والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدًا.

(و) كان أبو حاتم وأبو زرعة على طريقة السلف (ينهيان عن مجالسة أهل الكلام) ومجادلتهم ومخاصمتهم، (و) ينهيان عن (النظر في كتب المتكلمين، و) كانا (يقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدًا) فإن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتبهم تؤدي إلى الاغترار بهم وربما علق في القلب شيء من زخرف قولهم الباطل، وكذلك المجادلة معهم والخصومة تزيد من شرهم وترفع من قدرهم، وينقسم الخصام والجدال في الدين إلى قسمين:

الأول: أن يكون الغرض من ذلك إثبات الحق وإبطال الباطل، وهذا مأمور به إما وجوبًا أو استحبابًا بحسب الحال لقوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥].

الثاني: أن يكون الغرض منه التعنيت أو الانتصار للنفس أو للباطل، فهذا قبيح منهي عنه لقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [غافر:٤]، وقوله: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر:٥].

ولقد جاء ذم الجدال والخصومة في الدين بالباطل في الكتاب والسنة والمراد به المراء بالباطل والإعراض عن الحجج الشرعية والسنن والأدلة وكثرة الخصومات، كما صحّ عن

أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨][(١)]، وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أبغض الرجالِ إلى الله الألد الخصِم**»، متفق عليهِ[(٢)]، قال البغوي: الألد: الشديد الخصومة، واللدد: الجدال والخصومة يقال: رجل ألد، وامرأة لداء، وقوم لد، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم:٩٧] وقال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨] يقال: لددته ألده: إذا جادلته فغلبته، قال ابن حجر: الألد: الكذاب، وكأنه أراد أن من يكثر المخاصمة يقع في الكذب كثيرًا. والسبب في بغْض الله سبحانه للمخاصم لأن كثرة المخاصمة تفضي غالبًا إلى ما يذم صاحبه، لأن أكثر المخاصمة تكون في باطل من أحد الطرفين[(٣)].

قال العباس بن غالب الوراق: قلت لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا عبد الله، أكون في المجلس ليس فيه من يعرف السنة غيري، فيتكلم مبتدع فيه، هل أرد عليه؟ قال: لا تنصب نفسك لهذا، أخبره بالسنة ولا تخاصم! فأعدت عليه القول! فقال: ما أراك إلّا مخاصمًا[(٤)].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن ابني العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما قالا: ما جلسنا مجلسًا في عهد رسول الله ﷺ كنا به أشد اغتباطًا، جئنا فإذا رجال عند حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يتراجعون في القدر فلما رأيناهم اعتزلناهم، ورسول الله ﷺ خلف الحجرة يسمع

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٥٢، ٢٥٦)، والترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، والطبراني (٨/ ٨٠٦٧)، والحاكم (٢/ ٤٤٧)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٢٤٥٧، ٤٥٢٣، ٧١٨٨).

(٣) فتح الباري (١٣/ ١٨١).

(٤) طبقات الحنابلة (١/ ٢٣٦).

كلامهم، فخرج علينا رسول الله ﷺ مغضبًا يعرف في وجهه الغضب حتى وقف عليهم فقال ﷺ: **«يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض، وإن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، ولكن نزل القرآن يصدق بعضه بعضًا، ما عرفتم منه فاعلموا به وما تشابه فآمنوا به»**، وفي رواية: خرج على أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم يتنازعون في القدر هذا ينزع بآية وهذا ينزع بآية فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان فقال: **«أبهذا أمرتم أم بهذا وكلتم، أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمرتم به فاتبعوه وما نهيتم عنه فانتهوا»**. وفي رواية عبد الرحمن بن ثوبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فخرج علينا رسول الله ﷺ كالمغضب، فقال: **«أيها الناس دعوا المراء في القرآن، فإن الأمم قبلكم لم يلعنوا حتى اختلفوا وإن المراء في القرآن كفر»**[(١)].

وفي رواية عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا عند رسول الله ﷺ وقد ضربت قبة في مؤخر المسجد ورجلان يتماريان في القرآن، فسمعنا شيئا يحرك أطناب القبة فالتفتنا فإذا برسول الله ﷺ قد طلع حاسرًا عن ذراعيه قد احمارَّ وجهه فقال: **«أما إنه لم تهلك الأمم حتى إنهم وقعوا في مثل هذا يضربون القرآن بعضه ببعض ما كان من حلال فأحلوه وما كان من حرام فحرموه وما كان من متشابه فآمنوا به»**[(٢)].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«إن الله يبغِض البليغ من الرجالِ الذي يتخلل بلسانِهِ كما تتخلل البقرة بلسانها»** رواه الترمذي وأبو داود[(٣)].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٨٥) وابن ماجه (٨٥) والهروي في ذم الكلام (٥٢) وسنده حسن.

(٢) رواه الهروي في ذم الكلام (٥٣).

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٦٥، ١٨٧) وأبو داود (٥٠٠٥)، والترمذي (٢٨٥٣)، وقال الترمذي: حسن غريب، وفي الباب عن سعد. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٨٠).

وعن زياد بن حديْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا، قال: يهدِمه زلة العالِم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضِلين. رواه الدارمي[١].

عن كعب بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب العِلم ليجاري بِهِ العلماء أو ليمارِي به السفهاء أو يصرِف به وجوه الناس إليهِ؛ أدخله الله النَّار**»، رواه الترمذِي[٢].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»[٣].

وقد كان السلف ينهون عن النظر في كتب أهل الباطل، حتى لو زعم أربابها أنها من العلم أو الكلام، ففي الكتاب والسنة غنية مغنية عن كل ما سواهما، كما صح عن جابر أنَّ عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبي ﷺ فغضب وقال: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلَّا أن يتبعني**»[٤]. وعن مرة الهمداني أن أبا قرة الكندي أتى ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكتاب فقال: إني قرأت هذا بالشام فأعجبني فإذا هو كتاب من كتب أهل الكتاب، فقال عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب

---

(١) رواه الدارمي (٢٢٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٤)، وهو حسن بشواهده عن ابن عمر عند ابن ماجه (٢٥٣)، وعن جابر، رواه ابن ماجه (٢٥٤) وعن أبي هريرة رواه أبو داود (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وعن ابن مسعود رواه الدارمي (٣٧٣).

(٣) رواه بسند صحيح أحمد (١٨٥١، ٣٢٤٨)، والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩) بسند صحيح.

(٤) أخرجه أحمد (١٥١٥٦)، والدارمي بنحوه (٤٤٩).

وتركهم كتاب الله، فدعا بطست وماء فوضعه فيه وأماثه بيده حتى رأيت سواد المداد[١].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل الله على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله، تقرءونه لم يشب، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلهم! ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم[٢].

وعن بكير عن زيد بن رفيع قال: بعث الله نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ وشرع له الدين فكان الناس في شريعة نوح فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وشرع له الدين فكان الناس في شريعته فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وشرع له الدين فما أطفأها إلا الزندقة. فإذا زيد بن رفيع لا يخاف على هذا الدين إلا الزندقة[٣].

وقد أمرنا الله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ في غير ما آية، وأمر بالرد إلى كتابه وسنة رسوله فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ

---

(١) رواه الهروي (٦٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٢٢٣).

(٣) رواه الهروي (٦١).

إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٥٩-٦٥].

فبيَّن سبحانه أنه لا يعرض عن الكتاب والسنة ويذهب إلى غيرهما من الكلام والرأي ونحو ذلك إلا الذين في قلوبهم مرض من المنافقين.

وعن هشام بن عروة عن أبيه إن بني إسرائيل لم يزل أمرهم معتدلا حتى نشأ فيهم المولّدون أبناء سبايا الأمم فأخذوهم بالرأي فضلوا وأضلوا[1].

وعن أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي صاحب العقيدة المشهور، قال: حدثنا المزني: حدثنا الشافعي: سمعت عبد الله بن المؤمل المخزومي يحدث عن عمر ابن عبد العزيز أنه قال: لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيمًا حتى حدث فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم فقالوا فيهم بالرأي فضلوا وأضلوا[2].

وعن جبير بن نفير حدثني عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء يوما فقال: «**هذا أوان يرفع العلم**»، فقال له رجل من الأنصار يقال له زياد بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله يرفع العلم وقد أثبت ووعته القلوب، فقال رسول الله ﷺ: «**إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة، ثم ذكر ضلالة اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله**» قال: فلقيت شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحدثته بحديث عوف بن مالك فقال: صدق عوف، ألا أخبرك بأول ذلك يرفع قلت: بلى، قال: «الخشوع حتى

(١) رواه الهروي (٦٤).

(٢) رواه الهروي (٦٥).

لا ترى خاشعًا»[١]. وفي رواية وعن زياد بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر النبي ﷺ شيئًا فقال: ذلك عند أوانِ ذهاب العِلمِ، قلت: يا رسول الله كيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن ونقرئه أبناءنا ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: «**ثكِلتك أمك يا زياد! إِن كنت لأراك من أفقهِ رجلٍ في المدينة، أو ليس هذهِ اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا يعملون بِشيء مما فيهما؟**»، رواه أحمد وابن ماجه[٢].

وعن إبراهيم النخعي سمعته يقول في قوله ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ [المائدة:١٤] أغري بعضهم ببعض في الجدال في الدين[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المراء في القرآن كفر**»[٤]، وفي رواية: «**المراء في القرآن كفر ثلاث مرات ما عرفتم فاعملوا به، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه**»[٥].

وعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن للقرآن منارا كمنار الطرق فما عرفتم فتمسكوا به وما أشكل عليكم فردوه[٦].

وعن عطاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإن ذلك يوقع الشك في قلوبكم[٧].

والواجب لزوم السنة واعتمادها إذا ثبتت كاعتماد القرآن قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ

---

(١) رواه الهروي (٦٨).

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٦٠، ٢١٨، ٢١٩)، وابن ماجه (٤٠٤٨)، والحاكم (١/ ١٠٠).

(٣) رواه الهروي (٦٩).

(٤) أخرجه أحمد (٩٤٧٩)، وأبو داود (٤٦٠٣) بسند صحيح.

(٥) أخرجه أحمد (٧٩٨٩).

(٦) رواه الهروي (١٧٧).

(٧) رواه الهروي (١٧٨).

عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤]، فالسنة وحيٌ كالقرآن، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، وعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[(١)].

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لعل أحدكم أن يأتيه حديث من حديثي وهو متكئ على أريكته فيقول: دعونا من هذا ما وجدنا في كتاب الله اتبعنا».

وعن المقدام بن معدي كرب: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يوشك الرجل يتكئ على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، إن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله»[(٢)].

وفي رواية: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك شبعان على أريكته يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه حلالا فأحلوه وما وجدتم فيه حراما فحرموه»[(٣)].

وعن الأوزاعي عن مخلد بن الحسين عن أيوب السختياني أنه قال: إذا حدثتَ الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا حسبنا القرآن؛ فاعلم أنه ضال، قال الأوزاعي: وذلك أن السنة قاضية على الكتاب ولم يجيء القرآن قاضيا على السنة[(٤)]. يعني أنها شارحة له قاضية ببيانه.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣٨٧٦)، وأبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجه (١٣) بسند حسن.

(٢) أخرجه أحمد (١٧١٩٤)، وابن ماجه (١٢)، والدارمي (٦٠٦) بسند حسن.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤).

(٤) رواه الهروي في ذم الكلام (٢١٦).

وعن الفضل بن زياد قال: سمعت أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روي أن السنة قاضية على القرآن، فقال: ما أجسر على هذا ولكن السنة تفسر القرآن وتبينه[(١)].

وعن حماد بن زيد عن أيوب قال: إذا سمعت أحدهم يقول لا نريد إلا القرآن فذاك حين ترك القرآن[(٢)].

وعن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل بالقرآن والسنة، ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن[(٣)].

وعن مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] قال: إلى كتاب الله وسنة رسوله[(٤)].

وعن وكيع عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران في قوله ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ قال إلى كتاب الله والرد إلى رسول الله ﷺ إذا قبض إلى سنته، وقال وكيع وإلى رسول الله ما دام حيا فإذا قبض فإلى سنته[(٥)].

وعن الحسين بن حرب عن الحسين بن بشر الأدمي قال: قال لي: يا حسين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَٰبِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ [غافر:٧٠] ما هو بعد الكتاب، قلت: السنة، قال: صدقت كان جبريل يختلف إلى رسول الله ﷺ بالسنة كما يختلف إليه بالكتاب[(٦)].

---

(١) رواه الهروي (٢٢١).

(٢) رواه الهروي (٢٢٠).

(٣) رواه الهروي (٢٢٤).

(٤) رواه الهروي (٢٢٨).

(٥) رواه الهروي (٢٣٠).

(٦) رواه الهروي (٢٤٠).

وعن الحسن قال: بينما عمران بن حصين يحدث عن سنة نبينا ﷺ، إذ قال له رجل: يا أبا نجيد! حدثنا بالقرآن! فقال له عمران: أرأيت أنت وأصحابك تقرؤون القرآن، أكنت تحدثني عن الزكاة في الإبل والذهب والبقر وأصناف المال؟ لكن قد شهدت وغبت! ثم قال له: فرض رسول الله ﷺ الزكاة كذا وكذا، فقال: أحييتني أحياك الله يا أبا نجيد، ثم قال الحسن: فما مات الرجل حتى صار من فقهاء المسلمين. وفي رواية أبي نضرة قال: كنا عند عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجعل يحدثنا، فقال رجل: حدثنا عن كتاب الله! فغضب عمران! وقال: إنك أحمق، ذكر الله الزكاة في كتابه، فأين في مئتين خمسة دراهم، وذكر الله الصلاة في كتابه، فأين الظهر والعصر أربعًا، حتى أتى على الصلوات، ذكر الله الطوف في كتابه، فأين بالبيت سبعًا وبالصفا والمروة سبعًا، إنما يحكم ما هناك وتفسره السنة(١).

وعن أبي إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي قال: كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أحمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله ذكروا لابن أبي قتيلة -بمكة- أصحاب الحديث! فقال: قوم سوء! فقام أحمد أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال: زنديق زنديق زنديق، ودخل بيته(٢).

وعن ابن مسعود يقول: يا أيها الناس إن الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه القرآن وفرض عليه الفرائض وأمره أن يعلم أمته؛ فبلغ رسالته ونصح لأمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وبين لهم ما يجهلون، فاتبعوه ولا تبتدعوا فقد كفيتم، كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة(٣).

(١) رواه الهروي (٢٤٩، ٢٥٠).

(٢) رواه الهروي (٢٤١).

(٣) رواه الهروي (٢٤٧).

وعن جابر قال كان القرآن ينزل على رسول الله ﷺ ويبينه لنا كما أمره الله قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة:١٨-١٩]، وقال: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤][(١)].

قال أبو عمر بن عبد الله في كتاب العلم: ما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نقل الثقات وصح عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهو علم يدان به، وما أحدث بعدهم لم يكن له أصل فيما جاء عنهم فهو بدعة وضلالة، وما جاء في أسماء الله وصفاته عنهم، نسلّم له ولم نناظر كما لم يناظروا، ورواها السلف وسكتوا عنها وكانوا أعمق الناس علمًا وأوسعهم فهمًا وأقلهم تكلفًا ولم يكن سكوتهم عن عيٍّ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر[(٢)].

وعن سليمان بن يسار: أن رجلًا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، فأخذ عرجونا فضربه، وقال أنا عبد الله عمر، فجعل له ضربا حتى دمى رأسه، فقال: يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي[(٣)].

وفي رواية: أبي عثمان النهدي قال: كتب إلينا عمر: لا تجالسوا صبيغًا، فلو جاء ونحن مائة نفر لتفرقنا عنه ولربما قال لما جالسناه[(٤)].

قال اللالكائي: ووجدت في بعض كتب أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ مما سمع منه، يقول: والاتباع للأثر عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة

---

(١) رواه الهروي (٢٥٣).

(٢) تحريم النظر في كتب الكلام لابن قدامة (ص:٣٨).

(٣) رواه الهروي (٧١٨).

(٤) رواه الهروي (٧١٩).

والتابعين بعدهم بإحسان. وترك كلام المتكلمين، وترك مجالستهم وهجرانهم، وترك مجالسة من وضع الكتب بالرأي بلا آثار. ومذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان، وترك النظر في موضع بدعهم، والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم، وأبي عبيد القاسم بن سلام، والشافعي. ولزوم الكتاب والسنة، والذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف، واختيار ما اختاره أهل السنة من الأئمة في الأمصار مثل: مالك بن أنس في المدينة، والأوزاعي بالشام، والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري، وحماد بن زيد بالعراق من الحوادث مما لا يوجد فيه رواية عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين. وترك رأي الملبسين المموهين المزخرفين الممخرقين الكذابين، وترك النظر في كتب الكرابيسي، ومجانبة من يناضل عنه من أصحابه وشاجر فيه مثل داود الأصبهاني وأشكاله ومتبعيه. اهـ

وفي أصول السنة للإمام أحمد رواية عبدوس بن ملك العطار قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والاقتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات في الدين، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء، إنما هو الاتباع وترك الهوى. اهـ(١)

فالواجب اتباع المرسلين، واتباع ما أنزل الله عليهم. وقد ختمهم الله بمحمد ﷺ، فجعله آخر الأنبياء، وجعل كتابه مهيمنًا على ما بين يديه من كتب السماء، وأنزل عليه الكتاب والحكمة، وجعل دعوته عامة لجميع الثقلين، الجن والإنس، باقية إلى يوم القيامة، وانقطعت به حجة العباد على الله.

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد ابن حنبل (ص:١٧) ط. دار المنار بالخرج.

وقد بين الله به كل شيء، وأكمل له ولأمته الدين خبرًا وأمرًا، وجعل طاعته طاعة له، ومعصيته معصية له، وأقسم بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه فيما شجر بينهم، وأخبر أن المنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى غيره، وأنهم إذا دعوا إلى الله والرسول -وهو الدعاء إلى كتاب الله وسنة رسوله- صدوا صدودًا، وأنهم يزعمون أنهم إنما أرادوا إحسانًا وتوفيقًا، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ۝٦١ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٥٩-٦٥] كما يقوله كثير من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم: إنما نريد أن نحس الأشياء بحقيقتها، أي: ندركها ونعرفها، ونريد التوفيق بين الدلائل التي يسمونها العقليات، وهي في الحقيقة: جهليات! وبين الدلائل النقلية المنقولة عن الرسول، أو نريد التوفيق بين الشريعة والفلسفة. وكما يقوله كثير من المبتدعة، من المتنسكة والمتصوفة: إنما نريد الأعمال بالعمل الحسن، والتوفيق بين الشريعة وبين ما يدعونه من الباطل، الذي يسمونه حقائق، وهي جهل وضلال. وكما يقوله كثير من المتملكة والمتأمرة: إنما نريد الإحسان بالسياسة الحسنة، والتوفيق بينها وبين الشريعة، ونحو ذلك.

فكل من طلب أن يحكم في شيء من أمر الدين غير ما جاء به الرسول، ويظن أن ذلك حسن، وأن ذلك جمع بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه - فله نصيب من ذلك، بل ما جاء به الرسول كاف كامل، يدخل فيه كل حق. وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه، فلم يعلم ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثير من الأحوال العبادية، ولا في كثير من الإمارة السياسية، أو نسبوا إلى شريعة الرسول، بظنهم وتقليدهم ما ليس منها، وأخرجوا عنها كثيرا مما هو منها.

فبسبب جهل هؤلاء وضلالهم وتفريطهم، ولبس عدوان أولئك وجهلهم ونفاقهم، كثر النفاق، ودرس كثير من علم الرسالة.

بل إنما يكون البحث التام، والنظر القوي، والاجتهاد الكامل، فيما جاء به الرسول ﷺ ليعلم ويعتقد، ويعمل به ظاهرا وباطنا، فيكون قد تلي حق تلاوته، وأن لا يهمل منه شيء. وإن كان العبد عاجزا عن معرفة بعض ذلك، أو العمل به، فلا ينهى عما عجز عنه مما جاء به الرسول، بل حسبه أن يسقط عنه اللوم لعجزه، لكن عليه أن يفرح بقيام غيره به، ويرضى بذلك، ويود أن يكون قائما به، وأن لا يؤمن ببعضه ويترك بعضه، بل يؤمن بالكتاب كله، وأن يصان عن أن يدخل فيه ما ليس منه، من رواية أو رأي، أو يتبع ما ليس من عند الله، اعتقادًا أو عملًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٤٢] وهذه الطريقة من لزوم الكتاب والسنة كانت طريقة السابقين الأولين، وهي طريقة التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، وأولهم السلف القديم من التابعين الأولين، ثم من بعدهم، ومن هؤلاء أئمة الدين المشهود لهم عند الأمة الوسط بالإمامة.

وقد زجر السلف عن علم الكلام وشددوا في ذلك وضللوا أهله.

وذكر في شرح الطحاوية نهي العلماء عن علم الكلام، فقال: عن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه قال لبشر المريسي: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسا في الكلام قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة، أراد بالجهل به اعتقاد عدم صحته، فإن ذلك علم نافع، أو أراد به الإعراض عنه أو ترك الالتفات إلى اعتباره، فإن ذلك يصون علم الرجل وعقله، فيكون علما بهذا الاعتبار. والله أعلم.

وعنه أيضا أنه قال: من طلب العلم بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن طلب غريب الحديث كذب.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام.

وقال أيضا رحمه الله تعالى:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وإلا الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

وذكر أصحابنا في الفتاوى: أنه لو أوصى لعلماء بلده: لا يدخل المتكلمون، وأوصى إنسان أن يوقف من كتبه ما هو من كتب العلم، فأفتى السلف أن يباع ما فيها من كتب الكلام. ذكر ذلك بمعناه في الفتاوى الظهيرية.

فكيف يرام الوصول إلى علم الأصول، بغير اتباع ما جاء به الرسول؟! ولقد أحسن القائل:

أيها المغتدي ليطلب علما كل علم عبد لعلم الرسول

تطلب الفرع كي تصحح أصلا كيف أغفلت علم أصل الأصول

ونبينا ﷺ أوتي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه، فبعث بالعلوم الكلية والعلوم الأولية والأخروية على أتم الوجوه، ولكن كلما ابتدع شخص بدعة اتسعوا في جوابها، فلذلك صار كلام المتأخرين كثيرا، قليل البركة، بخلاف كلام المتقدمين، فإنه قليل، كثير البركة، لا كما يقوله ضلال المتكلمين وجهلتهم: إن طريقة القوم أسلم، وإن طريقتنا أحكم وأعلم! ولا كما يقوله من لم يقدرهم من المتنسبين إلى الفقه: إنهم لم يتفرغوا لاستنباط الفقه وضبط قواعده وأحكامه اشتغالا منهم بغيره! والمتأخرون تفرغوا لذلك، فهم أفقه!

فكل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلة تكلفهم، وكمال بصائرهم. وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء. فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدرا.

والسلف لم يكرهوا التكلم بالجوهر والجسم والعرض ونحو ذلك لمجرد كونه اصطلاحا جديدا على معان صحيحة، كالاصطلاح على ألفاظ العلوم الصحيحة، ولا كرهوا أيضا الدلالة على الحق والمحاجة لأهل الباطل.

بل كرهوه لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحق، ومن ذلك مخالفتها للكتاب والسنة، ولهذا لا تجد عند أهلها من اليقين والمعرفة ما عند عوام المؤمنين، فضلا عن علمائهم، ولاشتمال مقدماتهم على الحق والباطل، كثر الكلام، وانتشر القيل والقال، وتولد لهم عنها من الأقوال المخالفة للشرع الصحيح والعقل الصريح ما يضيق عنه المجال.

والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن الأغلوطات[(١)]، ونهى عن قيل وقال وكثرة السؤال[(٢)]، وعن تشقيق الخطب، فقال: «**فإنما تشقيق الكلام من الشيطان**»، وقال: «**إن من البيان لسحرًا**»[(٣)].

وعن معاوية قال: «لعن رسول الله ﷺ الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر»[(٤)].

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٥٦)، وأحمد في المسند (٥/ ٤٣٥) من حديث معاوية، قال الأوزاعي: الأغلوطات: شداد المسائل وصعابها.

(٢) رواه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (١٧١٥) عن المغيرة بن شعبة.

(٣) رواه أحمد (٥٦٨٧) بسند صحيح، عن ابن عمر، وقوله: «إن من البيان لسحرًا» رواه البخاري (٥١٤٦).

(٤) رواه أحمد (١٦٩٠٠).

قال ابن قدامة في (تحريم النظر في كتب الكلام): قال الإمام أحمد: لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا يرى أحد نظر في الكلام إلا في قلبه دغل، وقال الإمام الشافعي: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح، وقال: حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام، وقال أبو يوسف: من طلب العلم بالكلام تزندق. وقال أبو عمر ابن عبد البر: أجمع أهل الفقه والآثار من جميع أهل الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ لا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والمتفقه فيه. وقال أحمد بن إسحاق المالكي: أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري، لا تقبل له شهادة ويهجر ويؤدب على بدعته فإن تمادى عليها استتيب منها. اهـ[١]

---

(١) تحريم النظر في كتب الكلام (ص:٤١-٤٢).

خاتمة

قال أبو محمد: وبه أقول أنا، وقال أبو علي بن حبيش المقرئ: وبه أقول، قال شيخنا ابن المظفر: وبه أقول، وقال اللالكائي: وبه أقول، وقال الطريثيثي وبه أقول، وقال السلفي: وبه نقول.

(قال) الحافظ (أبو محمد) عبد الرحمن بن أبي حاتم (وبه) أي هذا الاعتقاد (أقول أنا، وقال) الراوي عنه الحافظ (أبو علي بن حبيش المقرئ: وبه أقول، قال شيخنا) الحافظ محمد (ابن المظفر) المقرئ: (وبه أقول، وقال) الحافظ أبو القاسم (اللالكائي: وبه أقول، وقال) الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن الحسين بن زكريا (الطريثيثي) هو راوي السنة عن اللالكائي: (وبه أقول، وقال) الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد (السلفي) الأصفهاني: (وبه نقول).

قال شارحه سعد بن شايم الحُضيري العنزي عفا الله عنه: «وبه أقول».

وبالله التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله أولًا وآخرًا.

تم رقمه بفضل الله ومراجعته في مجالس متباعدة

كان آخرها في: ١٥/٣/١٤٤٠هـ

في مدينة عرعر السعودية حرسها الله وعمرها بطاعته

والحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ٥

تمهيد ٦

متن الكتاب ٢١

ابتداء الشرح ٢٧

١- الإيمان ٢٩

٢- القرآن كلام الله غير مخلوق ٤١

٣- القدر ٥٥

٤- أفضل الصحابة ٧٦

٥-الخلافة ١١٤

٦- العشرة المبشرون بالجنة ١٣٤

٧- الترحم على جميع الصحابة ١٣٨

٨- الكف عما شجر بين الصحابة ١٤٧

٩- الاستواء على العرش ١٥٤

١٠- رؤية الله تعالى في الآخرة ١٥٩

١١- صفة الكلام لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وأن المؤمنين يسمعون كلامه في الجنة ١٧٨

١٢- الإيمان بالجنة والنار ١٨٤

١٣- الصراط ١٩٣

١٤- الميزان ٢٠٢

١٥- الحوض ٢٠٩
١٦- الشفاعة ٢١٣
١٧- عذاب القبر.. ٢٢٦
١٨- الإيمان بالملائكة الكاتبين ٢٤٦
١٩- البعث والنشور ٢٥٧
٢٠- حكم صاحب الكبيرة والحكم بالظاهر ٢٦٣
٢١- إقامة الجهاد والحج مع الأمراء المسلمين.. ٢٨٩
٢٢- تحريم الخروج على الأئمة.. ٢٩٢
٢٣- تحريم القتال في الفتنة.. ٢٩٦
٢٤- السمع والطاعة لولاة الأمور ٣٠٢
٢٥- لزوم السنة والجماعة وترك الفرقة والاختلاف.. ٣١١
٢٧- المسلمون مؤمنون في أحكام الدنيا، وحكم الجزم والاستثناء في الإيمان ٣٣٣
٢٨- التحذير من فرق طوائف أهل البدع ٣٣٦
٢٩- كفر من قال بخلق القرآن ٣٧٢
٣٠- علامات أهل البدع ٣٨٣
٣١- هجر أهل البدع.. ٣٩٥
٣٢- ذم الرأي والكلام.. ٤٠٠
٣٣- النهي عن مجالسة أهل الكلام والمخاصمة فيه ٤٠٨
خاتمة.. ٤٢٥
فهرس الموضوعات.. ٤٢٧